الحمد لله النصف الثاني من كتاب الجيش العرمرم لابي عبد الله محمد

الكنسوسي المراكشي المتوفى سنة 1294 نقله بخط الفقيه العلامة الاديب

المشارك الشريف سيدي عبد الواحد بن محمد ابن المواز الحسني والد

الفقيه العلامة الاديب الناظم الناثر شيخنا سيدي احمد خالد عمار جبه

معرب ما بيد مالكه بشراء او بيع فهو في اوائل ربيع عام 1359

[redacted] به بعض زيادة تمامه على المطبوع

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الرابعة الحمراء المشرقة اللون التي لعلم الائمة
الاشراف الحسنيين في دولة مولانا عبد الرحمن بن مولانا
هشام بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل

فـــما اتصلنا كيفية العقد الشريف المبارك وانشـاء
ارساله من مراكش في ثاني ربيع الاول ولما بلغ لحضرة فاس في سادس وعشرين
من ذلك الشهر وافق وروده خبر موت السلطان فكأنما كانا على ميعاد
فاجتمع اعيان فاس من العلماء والشرفاء والقاضي الشريف مولاي
احمد بن عبد الملك والمفتي العلامة سيدي محمد بن ابراهيم والتاجر الامين
الحاج الطالب بن جلون والعلماء والاشراف وكبراء الدولة من الوداية
والعبيد فقرأ عليهم العقد المبارك الشريف فتباشر الجميع على موت
السلطان وارتفعت الاصوات بالدعاء والترحم عليه وبالنصر والتأييد
لخليفته المطيع الرشيد فأخذ القاضي بيعته وبايعه ثم ادخل الحاضرون
على تغسيله ومتابعته ووضعه في مدفنه في المدينة والاشتغال باعلام
الخاصة والعامة فتسامعت القبائل بذلك فوردت وفود التهنية
من الحواضر والبوادي والاعراب والبربر وحضرت رؤساؤهم الذين لهم الحل
والعقد والنهي والامر مثل الحاج محمد الغازي الزموري والحسن بن حم

واعزيز

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والعزيز وعلى هاذه يتردد وابن التبان كلهم في ذلك الوقت
فكتبت الكتب إلى الأقطار المغربية فوهبت بيعاتهم وهداياهم
ولم يخالف احد وارسل الله سواكب وكثرت الامطار وكثرت الخيرات
وانفجت الاسعار واستبشر الناس بطلعة هاذه الدولة الميمونة
اللائحة الانوار التي اتتها السعادة بدون استشراف ولا انتظار **قال**
كاتبه ووزيره اخونا في الله الفقيه ابو عبد الله سيدي
محمد بن ادريس رحمه الله تعالى

مولاي نعم احد بالتاييد بشراك ● فربك الله بالتوفيق سراك
الفتح والنصر فردا با جيشهما ● والسعد باليمن فرحبا محياك
الله ابصرك الاقبال مكرمة ● وبالتقى والنهى والعلم حلاك
وراسة الملك المرحوم قد صرفت ● لما تعرس فيه من وجاك
اعرت للدين والدنيا جمالهما ● فلا فجاءة حلى من حسن معناك
وزارك الغيث غوثا في سحائبه ● فجاد بالغيث فطرا فيه ماواك

فطلع السلطان لدار الملك وهي النصر التي لا يبرح محاسنها
الخير والخصم وكان السلطان المرحوم فر عن الكل واحرم اولاده
على الخصوص فخصص بمعين لمولاي الطيب مع امه رقية بنت عبد الله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ابن الخضر القصر المسمى بدار عبادة الكبيرة ولمولاي ادريس
واخويه مولاي عثمان ومولاي يوسف وامهم مشره
القصر المسمى بدار عبادة الصغيرة وكان ليس للقصور كلها الا باب
واحد وهو الباب الاكبر المعروف فلما هلك السلطان المؤيد
لدار الملك فتح لقصورهم ابوابا الى خارج وسد ما بينهم وبين دار قبة
النصر واما مولاي علي فدار والده العادل بنا له ولمولاي ابراهيم
دارين عظيمتين بعاصر البالي ولم يبق بدار قبة النصر الا اخته
وامه مولات الدار الامينة بنت سليمان فاتفق اسم ابيهما
مع اسم ابي مولات الدار لسيدي محمد بن عبد الله الا فاطمة بنت
سليمان وكلتاهما من شرفاء الاطلاب اولاد مولاي سليمان
ابن اسماعيل ومولاي سليمان والد الهادي ليس نحو والد مولاي
اسماعيل الطلبه بل صنوه بخلاف مولاي سليمان والد مولات الدار
عند سيدي محمد فانه ولد الطلبه وذكرت هذا لانه وقع فيه غلط
لم يكن به الاطلاع على داخل الاحوال وقال انهما اختان شقيقتان
من اب واحد **فلما** طلع المؤيد بعد خروج مولات
الدار وبنتها وخلت الدار لمولاي علي بعاصر البالي لم يزل [illegible]

الدار

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

3

5

محمد بن الطيب

الدار ما يساو درهما واحدا مما كنا ذكر لي السلطان المؤيد واما
لغيبته فيشكوا بمولاي علي فالي والتي مات كونها في الدار حكيم ولاما
يساو درهما فتهدلهم ذلك بل زادهم همهم ورحمهم الله بمنه
فلما فرغ من مباشرة الوفود والتهاني التفت الى تمهيد
اركان المملكة فصير على فاس وصيفه بوجمعة بن سالم البركالي
بوابا على الدار الكبيرة بفاس الجديد ثم بعد مدة قريبة لما اراد الفعل
فيّر عليه نسيبه محمد بن الطيب ولد عمه واما القاضي فابقاه على عمله
ثم نهض بموكب العز والاقبال وخرج من فاس بنية تفقد الممالك
ومباشرة احوالها فبلغ الى قصر كتامة ونزلت المحلة بظهر كدية
مولانا اسماعيل ونعماته فرضنا عليه من الكثير فعرج بنا لكل الفرح
ونبصر وصولنا امر بدخولي اليه لشدة تشوقه لحب مولانا العادل
المرحوم فدخلت اليه وهو في قبة السلطانية وجلست بين
يديه نحو شهر عشية مسائلا عن كل شاردة وواردة داخلة وخارجة وبعد
خروجي من عنده اذن لمولانا عبد السلام بن سليمان لانها انتباه في صحبته
ورفقة واحدة فلما خرجنا وجدت الاحوال التي كنت اعرفها
قد تبدلت والافواه قد تنكرت وكان قدومي ودخولي على السلطان
وجد من قرة في عيونهم وشجى في قلوبهم وصدورهم ولما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

صلينا مع السلطان العصر وردت مكاتب من قبطوات النصارى من
صفحة جبر علا السلطان فقرأتها عليه فزمت للمجلس واجتمعت مع مولاي
عبد السلام بحضرة الفقيه الكاتب اخونا في الله تعالى سيدي
محمد بن ادريس بتلك المكاتب وقال لي سيدنا الامام انيك بها
لتخبرني كيف كنتم في قبضة النصارى فاخبرته بوجيزة صوابها
فمن استنقذ فدوهم مع انني معه كنا كاخوين شفيقين ولما صلى
السلطان المغرب ودخل على اي فاوسالني ايضا عن بقية
الاضياف وحدثني مولانا بما وقع له مع اولاد عمه السلطان
العادل وما كان منهم من كراهة ولابنه فقلت له يا سيدي ان كان
ذلك فسمعوا بمنزلة لم يكن في احد من البلاد لا سيما من الاشراف
الذين لا عقول لهم وحلم مولانا وفضله يسع ذلك ومن هم حتى يلقوا
ما زال منهم فقال معاذ الله والله اني من مولاه الخير والاجر بكذ
بالوقائع التي جرت في الحرب وهنا قال ان مولاي علي وامه
لا صبية مانه كوا في الدار حصرا وكل ما يتفا ودرهما واحدا
ثم سالني عن كتاب الفقير الذي كان عنده بخط مولانا الملك العادل
الرجوع وقد كان سمع خبره وما وقع من عمه مولاي موسى وما
وقع من مولاي عبد السلام كان اخبره بذلك كله مولاي الوليد

ح هؤلاء

ح تلامس

سليطي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

سليمان لانه كان حاضر المحفل السلطاني وقدم قبلنا فلما سالني
عن مثال هذا الكتاب دهشت من اخباره بالواقع خوفا على مولاي
عبد السلام لانه لما قدم من تعلالت كما فرقنا وكنا مع جماعة منهم
مولاي الوليد المذكور فجعل مولاي عبد السلام يخبره ببيعة مولاي عبد الواحد
وبيعتهما ويذكر من حضر من العلماء والشرفاء وكبراء ايت عطة وايت ازدك
ثم التفت اليه وقال اين الكتاب الذي عندك ايها الكذاب ما اكذبكم ايها
الكتاب فقال له مولاي الوليد والله ما كذب وهل يجهل احد خط السلطان
فلم اجد بدا من اخراجه فاخذه مولاي بوبكر وجعل يقراه عليه فانتهره
منه ومزقه فقام مولاي الوليد مغضبا ثم رده فلما سالني
السلطان علمت انه بلغه الواقع على حاله فقلت يا سيدي هذا
من جنس ما ذكرت عن مولاي علي ومولاي الطيب ثم اني اخبرت سيدي
بالصدق وان مولاي عبد السلام يحب سيدنا اليوم محبة تامة
ويثني الثناء الجميل على مقامه ويقر باحسانه والبر المرحوم حيث
لم يقدم احدا من اخوانه ويحلف انه لو قدم غير سيدنا ما فعل
معهم الا الشر فقال صدق هو كذلك فلما قام السلطان لصلاة
العشاء خرجت معه فازداد الغم علي حضرا وسفرا واجتمعوا
في تلك الليلة عند عبد الملك الجبوري وكان هو قائد المشور والجماعة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والجماعة المذكورة هم الفقيه اخونا سيدي محمد بن ادريس والفقيه
الكاتب السيد المختار الجامعي ومولاي الحاج ومولاي العابد
ومولاي الحبيب. ثم بعد مدة كان يكتب معهم ومولاي الوليد
والاكثر من ناحيتنا فاجتمعوا على ما يفعلون ويقولون في ابعادي عن
السلطان فلما اصبح جاءني مولاي الوليد وشرح لي ما وقع وقال لي
انني قلته للسلطان وقال لي قل لهم لا علينا فيهم فانه اخ محمد ولعرفه
ومكانته وصدقه وامانته وقد صحبته من الرباط الى الغرض مدة شهر
او اكثر صحبة الحسنى وما رايت مثله دينا ومروءة فقل له
يرجع معنا الى الرباط ورجع في قريب فانه لا يرى منا الا الخير
فلما خلوت مع نفسي ظهر لي انه لا يمكنني معاشرة هاذه الدابرة
المتواطئة على بغضي وعداوتي والواحد لا يغلب الجماعة ورايت
في تلك الليلة مولانا سليمان رحمه الله تعالى في المنام ودفع لي زمامان
مطويان وقال لي الحق بداري بقي على حاله وانت لا تذهب مع رجعي
بيدي وكان في مراد الخروج مع قوم لا اعرف منهم
احدا فلما انتبهت الفراقة في قلبي بغض مفاحشي ولكن
الناس وضاق صدري حتى من رؤية احد منهم فذهبت الى مولاي
الوليد وكانت له مكانة تامة عند السلطان يدخل عليه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وان تحل السلطان للرباط

بلاده وبعثت منه اربعين عبيد بكل ما قدر عليه وقلت انه لا محالة
ذاهب الى فاس مع مولاي عبد السلام وان لا رجع للرباط وان تحطنا
نحن لعامر فلما بلغ السلطان لمحل المسيب سال عنه موجرا ولم يجد
لاعادته سبيلا الى مرادهم وقالوا ما شاء واو كان ما اراده الله تعالى
ولم تعارضنا الكافي مولانا سبحانه وبها واحسانه وعنايته فبلغ
السلطان الى رباط الفتح وانتهت وفود القبائل الحوزية واعيانهم
ورؤساؤهم معه هنالك اخذ عبد العظيم ورجع الى فاس ليتهيأ
للحركة الحوزية وجاء معه اشياخ الحوز واعيانهم الذين قدموا للرباط
وهنالك قدم عليه مولاي موسى مع اهل مراكش وكذلك مولاي عبد الواحد
فمعه يوم وعكس افرادهم ولم يلزم احدا ولاكن عفا وصفح وباشر
بالاحسان التام والكرامة الزائدة والله اعلم حيث يجعل
رسالاته ولما رجع لعامر امر ببناء دار السيد عبد السلام [illegible]
وكانت مجاورة لقبة مولانا ادريس بينها وبين القيسارية [illegible]
وامر بهدم مجاور باب دربه في مسجد مولانا ادريس لجمع الثناء والعلماء
وتانق في بناء ذلك احسن من المسجد القديم واوقف على
مباشرة ذلك الشريف مولاي الهاشمي بن ملوك البلغيثي فبنى
ذلك في مدة يسيرة على غاية الاتقان والابداع وبولغ في تنميقه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

وزخرفه وتغريبه وتنويعه لا في ارضه ولا في سقوفه ولا في سواريه وكنت نظمت التاريخ المنقوش في خروق الباب الموالي لباب القيسارية ونظم الفقيه سيدي عبد الواحد بن شيخنا القاضي ابي العباس سيدي احمد بن التاودي التاريخ المنقوش على السواري الرخامية التي في المسجد الجديد وكان فيه قول المتنبي في سيف الدولة :

مبارك الاسم اغر اللقب . كريم الجرشي شريف النسب .

والبيت من المتقارب والشطر الذي ضمنه فيه من الشريعة فانكر الناس عليه وكتبت له بذلك فزاد اعجبه فيه واما زحم على عادة ممده انه من ذلك وغضب وقد انتنى هموته وكان تعتريه سوداء في اخر عمره فشكى الى العلامة سيدي محمد بن الطيب وكان صهره على بنته وبكى عليه بكاء شديدا فقام ابن الطيب بالمكنسي وكان يتعاطى بذلك فوجه عليه واثبت محل الحكومة ووجدته قد دخل فكلمه ذلك من لطف الله به لانه لما وضع على سكره ابرد وارعد وقال هذا عليه ان فلانا يكره هنا ويكره من يحبنا ويكره السلطان والله لا عافيته فيما له من حظ واعطاه كالسيد عبد الخالق المؤقت والسيد العربي الساحلي وغاير

الرخامية والرخامية

ابن الطيب

مشوره

مشورة القائد ادريس البوعزاوي فلم يزد الا غلظة وفظاظة والزيد
منه الما على محمد بن علي الحرمة ودخل للدار مدخلا واليد الاخوان
الى عمه مولاي عبد الواحد وكان نازلا بغرفة باضمودي فجاء يجر
رداءه فخاف ان يبغي علي وانا لما جاءني عونه اتيت جادا خلفه
الى محل هنالك فجلس مولاي عبد الواحد ينتظر خروجه فلما خرج
قام اليه وتلقاه وزجره وقال ان الطلبة يقع منهم مثل هذا
والسيد عبد الواحد بسودة رجل احمق وانت احمق
فسكن غيظه وكفانا الله شره والحمد لله ببركة مولانا عبد الواحد
رحم الله الجميع بمنه ثم وجه السلطان ولد عمه مولاي مبارك
ابن علي عاملا الى مراكش وفي اثناء ذلك وردت قصيدة بليغة
من تونس تهنئة لمولانا المؤيد بالولاية السعيدة من انشاء عالم
البلاد للاديب بقية ومفتيها ورئيسها ابي اسحاق سيدي ابراهيم
ابن عبد القادر الرياحي التونسي وهي هذه

• نصر من الرحمان جل العدل • ابدى وجوه نفوس من عفله •
• وغدت به الاقدار وهي نوافذ • لا تحسب الله مخلف وعده •
• والله اعلم حيث يجعل نصره • والشاكرين له سوابغ رفده •
• فليبتسم ثغر الهنا متشبثا • بالوقت يتلو من سعادة جده •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أرضيت مولانا سليمان الرضى • وعليه تبكي الباكيات لفقده •
والعلم والتقوى وكل فضيلة • منشورة طويت به في لحده •
فلقد أقام لنا أبا زيد هدى • نورا مبينا يستضاء برشده •
لو لم يكن كفوا لها أوصى به • وبنوه نُبل في ملابس مجده •
سعدت به الأيام ثم أرادت • تبقي السعادة للورى من بعده •
أعظم به خلفا بدوم سروره • للخلق غير سوى تقوّم زنده •
أهدى إلى الأعداء أعظم غصة • والأوليا متنعمون بشهده •
فاستبشروا باليمن من لحظاته • واستمطروا نيل المنى من وده •
ما هو إلا ابن الرسول وهل فتى • في الناس يعدل عن مكارم جده •
وتناسقت أسلافه كرما كما • راق النواظر لؤلؤ في عقده •
لا غرو أن جمع المحاسن كلها • منهم فإرث الجمع حق لعهده •
لا يأخذ الحزم حيث يقوده • ذهب الزمان بعزمه وبزنده •
فبسيفه ما ينتضي بغراره • حتى ولو وفى العيان بحده •
فلكم وكم من آخذ من ماله • فضلا عظيما ناله بسرده •
يا أهل فاس والمغارب كلها • والشرق من فضل الخلافة جده •
يهنيكم هذا الزمان فإنه • أيامه للدين مطلع سعده •
والعلم والتقوى وكل معظم • عند الشريعة محمد بالغ قصده •

النور

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

النور او فقد منهم اثراهم • بحضور الله باستدامة وفك

الله يبقي نوره متوفرا • يفنى الزمان ولا فناء لملكه

ويجير مولانا الله من نقمة • لا تنقضي وعناية من عنده

ويديمه ظلا وريعا كلما • حمد الورى هديه والجنة برده

وحسامه منه كلما نهضنا به • عن ذاته بالنصر شاهر حده

وتمام بدر كلما افتقد الهدى • لم يسر الله في منازل سعده

وعليه تعليم تأرج نده • لا كنه في العطر عاد في نده

ثم الصلاة على النبي وآله • والحمد في بدء الكلام وعوده

ولما بلغ مولاي مبارك إلى مراكش أساء السيرة في أهلها
وفتح باب الأكل الحرام واستولت عليه بطانة السوء فتكررت به
الشكايات إلى أمير المومنين فكتب إليه ينهاه ويشنع عليه فكف
من غربه بعض الكف فعزم السلطان على إعمال الحركة إلى مراكش بعد
دخوله إلى مكناس وتمهيد حالها وترميم ما تلاشى من قواعد الملك
بها وإصلاح ما أفسدته الفتن الشالعة المتوالية عليها فإن العبيد
فعلوا في أيام الفتنة كيف شاءوا وبددوا بيوت الأموال التي
فيها وأسرفوا في الاقتضاء بلا طائل ولا فائدة وكانت البرابر
تنهب وتغير من أبواب مكناس وهم متكئون في ظلال الأسوار

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ينظرون البعض بل باعوا الخيل والسلاح واكلوا اثمان ذلك وامسوا ولا
حتى اشرفوا على الاضمحلال لولا ان الله تداركهم بمولانا امير المومنين
ما بقي منهم عين ولا اثر **فلما** خرج من فاس وقرب من مكناس
خرجوا للقائه بالعلامات مرفوعة على العصي وليس معها الا شرذمة
قليلة فقال لهم السلطان اين عبيد البخاري فقالوا هاذه البركة التي
اسارت بها السيبة وعلى الله وعليك الخلف فما زال اعزه الله يجدد
امرهم ويزيد عددهم بالخيل والسلاح والرواتب المترادفة والمواهب
الواكفة مع انه وجد بيوت الاموال التي هنالك تتصايح وتبكي العيال
وحاصل الامر انه ابقاه الله وجد الدولة قد تراءت عليه
الهنابه وطارت بعد حسن الشبيبة الى حالة اشبه العجائز تعانت رجالها
وضاق مجال النامر وقعت اضروا بلاد زايان المتوفى السلطان العادل مولانا
سليمان **فلما ضرع** في مولانا المنصور لم يجد فيها الا رمقا قليلا وخيالا
عليلا فروحت دعائمها وتراءت للسقوط واشرفت على الانصرام
البعض الى الان نعرام بامداد الله تعالى بالسعادة الخارقة للعادة فقام
بالعبائي بالمال والرجال ولا معين له امير قريب او صغير مجمل يكابد
تلك الشدائد بنهاية جهده والسعادة تكشف اماما وخلفا ويمينا
وشمالا والتاييد من الله تعالى يمده والتوفيق يعضده والعناية تساعده

جل مجده

والحظوة تباعده

حسني

14

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

حتى اقام بناء المولى اسماعيل على اساسه الوثيق وعاد جديده ابهج
واقوم من العتيق ثم اقام بمكناس حتى سدد اغراضه وعالج امراضه
وازال علله وجبر خلله ثم نهض بمحلته الى ايت يمور وكانوا نازلين
بالولجة الطويلة وسلفات فاصطفاهم ولم تبلغ البقاع المحمونة والمزارع
الخصيبة المامونة فسعوا الفساد في الارض واضروا بجيرانهم الزراهنة
واهل الغرب والصحيرة فامر عاملها القايد محمد بن يشي الغربي والمالكي
العروي ان يقاتل على قتالهم حتى بحظهم فكادهم ابن يشي حتى قبض
منهم نحو الاربعماية ونقلهم السلطان للحبوس ثم توجه السلطان
الى رباط الفتح ثم وجه اخاه مولاي المامون خليفة له لمراكش وعزل
مولاي مبارك بن علي لسوء افعاله وشكاية الناس به كما قدمنا فلما مر
امير المومنين بالشاوية عزل من عزل وولى من ولى واعرض عنهم حتى
يتفرغ لهم وقتل الهاشمي الزيادي فلما بلغ دكالة وجدها كلها
رووسا يانعة تدعوا الى قطافها فقتل من قتل وقبض العباس بن الحزوار
وبعثه بالعونات فلما بلغ مراكش قبض ابن الغازي الزموري ووجهه
للجزيرة واخرج من الجزيرة السيد احمد بن سليمان الفاسي موقرا
فقتله اولاد مولاي اليزيد فقتلوه وعلقوا راسه بباب الخميس ونجى
الله تعالى السيد الطيب البيازي فاخرجه من الجزيرة وسرحه ولم يكن

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

على مذهب ابن سليمان بل كان صاحب مروءة وتجربة للامور التي
يتولاها ولذلك ولاه السلطان بعد ذلك وجعله امينا على مرسى
طنجة ثم على فاس بعد ذلك مدة يسيرة ثم شرع السلطان
في غرس اكثر الوجه لدى السانية السلطانية وانتزعها من ايدي
مسعيويين رغما على انوفهم وكانوا من زمان سيدي محمد بن عبد الله السلطان
المنصور يتغلبون عليها ويقطعون ليلا فلما اعتنى السلطان
العادل مولانا سليمان اعطاها لهم على الف مثقال في كل سنة
والى ذلك اشار اخونا الفقيه الكاتب سيدي محمد بن ادريس في القصيدة
الجيمية وهي

وردت وكان لها السعود مواجها • والحسن مقصور على امواجها •
وبدت طلايع بشرها فتلوها • كالشمس طالعة لدى ابراجها •
وتبسم ماء الاباطح والربى • تزهو ببرد الدر من امواجها •
وتضوع من طيب النضار سنابكا • ملئت بها الاعطاف من نجاجها •
هبت اليك من الجبال وطالما • تعنت ملوك الارض في اخراجها •
واتتك راغبة تجر ذيولها • وتفيض غمر النيل في امواجها •
تنساب مثل الافعوان وتنثني • كالغصن بين وهادها وفجاجها •
خطب الملوك نكاحها فتمنعت • واتتك واهبة حلال زواجها •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

• ولتهنك الخود الرفيعة قدرها • وليهنها ان صرت من ازواجها •

• حوراء عباسية برويـــــز • نشرت دوا بيعها على ديباجها •

• واقبلت وافية وقد صبغ الحيا • وجناتها وجرى على ادراجها •

• فكانها بلقيس جاءت صرحها • الا انه صرح بغير زجاجها •

• عرفت انك ملك الشريعة اجرا • عرفت بحار الله رغم عجاجها •

• فاتتك طالبة الامان لنفسها • لتنال بعض الطيب من نجاحها •

• لبتك اذ سمعت بذاك واقبلت • من موبة تشترى ازعاجها •

• ونزعتها بالفهم من غصابها • والشا بغير رضا بعض ازواجها •

فلما جاء مولانا امير المومنين المؤيد انتزعها منهم قهرا وغرس اكثرها ووجه على الاكابر والعلاجين من اجبالنا واهل تطوان وجلب الاغراس المنوعة من كل بلد وكل نوع غريب وجنس عجيب وامر الغراسين فغرسوا والزراعين فزرعوا فلم يمض الا اياما قريبة ماضع اطعاما خارقا للعادة فلما بلغ ابان تعريشه ام قبايل الجبل اهل الخشب فجاءوا بما لهم من الخشب وعرش الاعناب الرائعة مع الاسوار التي على المشاة انت كلها فجا على احسن الهيئات التي تبهر الله فكلم وتكل الابصار ولا نظر الوهوط

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الذي كان لعمرو بن العاص رضي الله عنه بالقاهرة يبلغ عشر
اكثر فان الوجوه كان يعرض في كل سنة بمائة الف خشبة كل
خشبة بدرهم كما ذكره في القاموس واكثر لا اظن يكفيه مثل ذلك
عشر مرات ولقد اردت ذات يوم ان اعرف جهة منه فغلطت
وضاع الحساب وكذلك المسرة التي كانت للموحدين لا اخال الا انها
دون اكثر بكثير والله اعلم فلله در مولانا المؤيد ما اعلى همته
واعظم حرمته والله نعمته فقال الشاعر الناصر المنصور سيدي
محمد رحمه الله لو وجد السبيل الى ان راه لهذا ما كان يكتفي بالنيل
او بضوار او بفجاج الحصيرة او عافية وربما ادرك المتاخرون
ما عجز عنه كثير من المتقدمين كما قال ابن مالك في التسهيل
لكنا في مولانا من شان اكثر رجع لعاس لتعمر تلك النواحي
وثغور السواحل مع اقطار المغرب كلها فرحت بالهناء والسرور
ببركة وجود مولانا المؤيد لا سيما بعد ورود ولده البار المبارك
السعيد سيدي محمد وانه ورد مرتا فلالت في طالع فراحت به
السعود من كل جانب وبوروده تهنئات لمولانا المؤيد جميع
المطالب واكمل الله له جميع المرادات وافلت لحضرته العالية جميع

18

الافادات

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الولادات وانتم الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة واعظم
بالفتوحات والخيرات مواردها ومظاهرها وكان مولانا امير
المومنين المؤيد يذكر من بين ولده هذا وبركة وجوده انه من
يوم احتناكه واظافته بنور حضرته تحولت حاله من الفتنة
الى السعة ومن التعب الى الراحة والدعة وكان قبل هذا ذلك
من العيش في شظف شديد ومشقة عسيرة فلما ولد عنده فاضت
عليه الخيرات من جميع الجهات وكان كلما حملت
امه تغبطه وتتشوف اليه ويتخير زيادته لولديه
وليام الله وليه تعالى له مولاي احمد منصور بالولاية تماثلوا
امه هناك بجاه وقال لها اشتوه بما اخبرتها ولدت ولدا فسمي
باسم النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبب رجحه وسعادته
وسيكون له شان عظيم ولذلك كان يتشوف الى طلعته
الملازمة للبشرى المقابلة بالرحب والسهل الفالا عن
ممكنا حرث مولانا المولى العقيد العلامة البركة مولاي
الحاج امام الحرم الله درصي رحمه الله واخبرنا العقيد المذكور
بذلك مرارا والولد المذكور هو امير المومنين
الميمون ابقاه الله عزه ونصره وزين بدوام سعوده زمانه وعصره

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation

فلما ورد الولد المطيع على الوالد المويد استبشر بنبات
فروعه في سماء المجد الشامخ والمجد الباذخ فتهيأ لاعمال
الحركة للحوز بقصد تخريب الفرقة الشرادية وتشتيت شمل
جموعها ومحو آثارهم من ربوعها فكتب لاخيه مولاي المامون
ان يحشر القبايل الحوزية اعرابها وبرابرها ويحط على زرارة
والشبانات واولاد دليم ومن انضاف اليهم وخرج مولانا المويد من
فاس بالعساكر السلطانية من العبيد والوداية واهل الغرب
وبني حسن وايت ايدراسن وزمور وكتب الى الشاوية ودكالة
ان تكون خيلهم موجودة حين يرد عليهم فلما خرج من الرباط
تعرض له الحجاج الذين نهبهم شتوكة والشياظمة الذين في حوز
ازمور وشكوا اليه فصرف الوجهة اليهم حتى قتل بهم وشرد
بهم من خلفهم وتركهم عبرة للمعتبرين فامتلأت ايدي المحال باموالهم
ومواشيهم بعد ما نسف زروعهم نسفا وكانت هذه
الوقعة كالغرة العتقى ومفرمة الكلى ثم ازدلف بتلك
الكتائب المنصورة والعساكر المحصورة حتى نزل على تلك
الفرقة المنسوبة الى الشرود تغيا وعلوا يسمها الخذول
المطرود محاصرها مولانا المويد حصارا ها بلا

زاوية الشرادي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

يريب الجريد وكان اهلها اولي باس شديد وحزم عتيد فاوقع
الله بينهم التشاجر والخلاف لما اراد بهم الاهلاك والاتلاف من خلفهم
الجوع وتمكن منهم الفزع فطلبوا العفو من امير المومنين والتامين
فعفى عنهم وامنهم على شرط ان يخرجوا بانفسهم واولادهم ويتبعوا
في بلادهم وفي ضمنهم المغبوط بعد ما انفرج الرباع لغاية
الجهود فوقع عليه البحث والاستقصاء فجعل انه حتى ظهر
بعد مدة بنبوس الافضا واما فبلده فاجاحتها الجوايح واطمتها
الهواكي وعاد امرهم بمنزلة العيفا والنعم التي اهلكتهم
ايادي سبا وادركتهم دعوة مولانا سليمان السلطان العادل
التي تنشو لحلال الجماجم وهم الجنادل والله تعالى قدير في المتجاسر
على حماته ويمهله ولكنه لا يهمله
وهيهات ان ينجوا الظالم وخلقه سهلام دعاء من فيه ركوع
فسلط عليهم مولانا المومنين اضرا بالنار وبسيفه الصارم
البتار فسقاهم كاس الردى واراهم كيف يكون الصغار والاعتزال
فتركوا الديار بغير اختيار وساروا الى بلاد ازغار في اشمال
الزلة والصغار تحملهم الابل ثلاثة واربعة على بعير والذكر
والانثى والكبير والصغير واما الاموال والمتاع وذات

ع الجهد

ع ذكية ع وهشمت بعم اعداه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الحاجب الكراع فعند سارت بها الجنود الجندية، وتركت عجائزهم
ومشائخهم في البراح كالخشب المسندة، ثم لما اطغاهم بغيهم
بحيث ذكرنا بعد زمان قريب، وجاء من يشفع له عند امير المومنين
فشفع فيه، وابدا الندم بتلافيه، وقابله بالتجاوز والصفح، ثم
مال على قومه فقاتلهم بالاساءة والقبح، فعادت محنتهم المعهودة
عداوة مصبحة، واشتغلوا بالشلحان راغبين في عزله، ونعوذ
بالله ولا راحة من ولايته بنقض غزله، ونعوذ بالله من رجعة النجم بعد
استقامته، ومواخذة العفو الكريم وانتقامه، ثم طلب من
الشلحان المؤيد بالاذن له في الحج فاذن له فحج ورجع ثم ولاه ايضا
اخوانه فلم يقبلوا معزله عليهم وسجنه مدة طويلة حتى ولي السلطان
المقدس امير المومنين نصره الله فسرحه **ولما ورد** خبر هذا الفتح
لفاس ومكناس فرحت الناس وزينت الاسواق وركبت الخيل للمسابقة
واللعب وضربت الطبول في زقاق الزينة ثم خرجت الاخبية والابنية
والمفارش لوادي فاس للنزهة ونظم العلماء القصائد في التهاني
لمولانا امير المومنين ووجههما القاضي مولاي عبد الهادي لحضرة
السلطان بمكناس ولما انتشرت بين يديه بحضور البلغاء النقاد
كالوزير الاعظم السيد محمد بن ادريس والفقيه السيد عبد الله

الرحماني

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الريان فوقع الازدراء بالقاضي والغض منه حيث وجه للحضرة
العالية ملاغ يناسبها من الفضائل الركيكة الخالية حتى من
الاعراب فضلا عن الوزن فضلا عن اسرار البلاغة التي تزف لحضرة
الخلائف العظام وذلك ان القاضي لما لم يكن من اهل
هذا الشان لم يميز اللجين من اللجين فصار كل من اتاه بورقة مكتوبة
وقال له قصيدة اريد توجيهها للسلطان اخذها حتى جمع من
ذلك شيئا كثيرا من الغث والسمين وكان الفقيه العلامة سيدي محمد
ابن الكامل العلالي حاضرا في الحضرة السلطانية وكان يقرا البخاري
وكان بينه منافسة تامة فبالغ في تشنيع ذلك الخبر وجعل
سببا حتى امر مولانا امير المومنين بعض الحاضرين من الرؤساء
ان ينعى على اهل فاس ما فعلوه من توجيه تلك الاقوال السخيفة
التي لا تليق نسبتها لحضرة فاس التي هي محل التنفيس العام من
كل شيء فنظم البعض ذلك كلاما وهو العلامة ابو محمد السيد
عبد الله الرباطي ووجهه مولانا السلطان لحضرة القاضي ووجه
معه كاتبا يقول فيه ان مررت على هذا القائل فقطع راسه ففهم
ذلك حضرة القاضي فجمع اصحاب القصائد الموجهة كلهم
واحضر الدراهم التي امر مولانا السلطان ان يعطى منها لكل واحد

والرخيص والنفيس :
ومن الفاظ المذكور

23

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

على قدر شعره حتى ان منهم من جعل له مائة مثقال ومنهم من جعل له
مثقالا واحدا ثم ان القاضي انفرد لحد ولم يكن كتاب التفاضل
وسوى بين العالي والسافل والشارد والآفل وكتب الى السلطان
بذلك وكان مقبول الكلمة عنده ومن القصائد قولنا

بشائر لا تحيط بها الشروح • كأن جميعها فتح مروح
سفر ربيع البشر بها غمام • بها كان هتونا او يروح
تعبير المحافل ونثر بشرا • فتوح في مضمنها فتوح
وتأمل ان تقبله الغواني • تزل به المباسم او تبيح
بشائر كاد يسمعها دفين • ويسرى بالجماد بها روح
شفى المولى المؤيد كل صدر • به من قبل وقعتها جروح
وأذكى نار عصبته واضحى • لعزته قدير شرحه صريح
لفرسان العتاد بكل ارض • فشاد لنا به الدين الصحيح
وزر على زراية كل خزي • تشوله المجاسر اذ تنوح
وقد كانت تمر على ازورار • وكانت لا ينهنهها فصيح
ومن كانت مراكبه جماحا • فيصحبها صبي عم الجموح
اتى لهم لحينهم جهول • غوى للضلال له جنوح
يقودهم الى العصيان سرا • ويظهر انه البر النصوح

بجرنه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

يجربهم اذا ما جم خطب • فهربنا كان مصدره سطيح
فمن الرجال في سمن وبغل • فمن يرغوه مهربا وفيح
واهلكه الامام فكان عيسى • كذا الدجال يهلكه المسيح
فجئتم دار منعتهم فلاة • على اطلالها البوم الشنيح
وفر عن الديار على حمار • عليل العرض جوجوه صحيح
فبالروع الذليل فلا قهيب • فيعذر بالفرار وبه جريح
وخيم في حيالته هوان • يبوء به العشي موت مريح
ايطمع في النجاة فلا نجاة • سيدركه الهزبر المشنبيح
اذا كان العراب له مجارا • تخوض اليه سلهبة سبوح
ستدركه العزائم من امام • ترد له المعاقل والصروح
امام قد اعاد لنا سرورا • وجاد لنا به الزمن الشحيح
اعز الله ملك بني علي • بصولته وتم له الوضوح
وجرد من ظلالته حساما • يزيل به الضلالة او يزيح
وقد كان الخلائق في ظلام • فلاح على الخلائق منه يوح
واصبحت الاكام باهمان • وثار على منابرها كلوح
اغر معود للنصر ساع • الى العلياء مسعاه نجيح
يحامي في منازل العز دابا • براي كل مدركه رجيح

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ورايات السعود عليه نشر • وساحات الفخار لديه فيح •

أبا زيد وأنت لنا ملاذ • وجاهك في المهم لنا فسيح •

وبدر أنت مثل في الليالي • وراح لغرة الوجه المليح •

وهذا الدهر كالطوفان موجا • وكل عندك السفين وانت نوح •

وانت خليفة الرحمن منه • تؤمنه بمحمد نشوح •

كما ان السماء حين زاغت • وهب لهام الطغيان ريح •

عصفت عليهم بالباس حتى • كما آبوا كالسحاب اذ تلوح •

والغيث الجرار على دراهم • بجيش كلهم بطل مشيح •

فجاء العفو منك وهو تلك • اسير او كسير او ذبيح •

وقد قسمت بلادهم بعول • ودورهم كما قسم الوصيح •

وقد نهبت مكائدهم قديما • بني سعد وزيدان نصيح •

فقتلوا آل اسمعيل دنوا • بغيهم الجرح كهم الجموح •

وما علموا بانكم سيوف • بجدكم بجمعهم سفوح •

أبا زيد اذا اتبغوا عليهم • بجمع ربما نزع الفصوح •

فلا تحلم فان الجرح يكوى • كمثل بالمحاور ويفيح •

فلا زالت بك الدنيا وسلا • ومجد دائم معلا فيها يفوح •

ولنا أيضا باقتراح القاضي للغافقية والوزير لسانه

26

افتضى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اقتضى ذلك ❊ ه

فرحا بيوم لنا على الاعياد باد • ورد البشير به والاكباد

جاد الاله وذا دوام وظائفه • مسرة تنشر بكل فؤاد

لما افاض على الانام مواهبا • ضفت مفاخره بكل مراد

ما زال يفضل على اعرابه • سبحانه ذو الفضل والامداد

حتى اقام به قواعد ملة • جلت مآثرها عن التعداد

فالدهر مبتسم وكل زمانه • دانا به الحسن كالاعياد

ملك مواهبه النجوم وخيله • مستفتن بمرابض الاساد

ملك يريب المرهفات جلاله • ملك يهد رواسي الاطواد

اركان بفاع الحرير لباسه • انى يلام الشارد الشراد

فليذهب الظليل صوع عنانه • فالسيف حول النقع بالمرصاد

فاليوم تباشرت البلاد لعفوه • فلتهنأ البشرى لكل بلاد

ولتهننا المولى المعظم فرحه • فاق قضاة العصر عبر الهاد

شيخ الجماعة عالم العلماء من • هو واحد في مجمع الاحاد

زانت تلمت ايامنا ايامه • لتعود مرجنة الاحاد

واغاث ربع الدين صيب علمه • فانشرهم العدل والارشاد

يا ايها العلم المنوه فضله • مرحى زمان علينا شراد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

زفت لك العلياء زف خريدة • فاتيتها بجواهر الانشاد

ومما اعجبني من تلك القصائد المتكاثرة قول بعضهم
والفقيه الكاتب العلامة ابا محمد عبد الله الريحاني ابقاه الله امين

بشرى تعز بها عيون الايمان • كالوصل ينسخ دولة الهجران
جاء الزمان بما علا مقداركم • متقاصرا عنها خطى الاذهان
ابني المعز لمن عتى عن امركم • ان البغاة تعود للعصيان
دام امر الله غير منازع • لاح الصباح لمن له عينان
يا من يطالب امرهم بدلائل • اتطالب البرهان بالبرهان
ان كنت تجهل ما لهم من معلم • يشعرك البرهان ويشعر الحدثان
كم من غوي فر عتى عن امرهم • كنزار قد سبق الى الخسران
ابن المعز للكلام شو العصى • يوم الكفاح اذا التقى الجمعان
لم ينج الاعداء منهم معقل • لو انهم صعدوا الى كيوان
لكنهم باءوا باخسر صفقة • فكانهم عصفوا بالاغصان
جيش تسيل وجوده مسر القنا • وتمر وسطه ذرى ثهلان
يا مالكا ملك الوجود محاسنا • لا تختفي عن اعين العميان
اجريت من المعتقبين مكارما • يسلو الغريب بها عن الاوطان
لو قيل للغيث اعتمد لم يعتمد • الا بفضل نداكم الهتان

28

انسان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

انسا عيون الدهر انت وانما • تكميل شكل العين بالانسان •

ذكراك في الآفاق فوّاح يعزى كالملا • وتخفه كالبشرى على الآذان •

ايقظت جفن الحق من اغفائه • وافت ميلة عطفه الكسلان •

الغى لحد الدهر العصى زمامه • وعنن لطاعة امرك الثقلان •

والدهر دونك دافع ومرافع • ومن وجهه لكم من العثران •

فاذا انتم في الزمان لمفخر • كان الخلفاء لكم الان عنوان •

اخلفت للاخوان في كل غاية • فلزاد غيظ بعابد الرحمان •

الفيت رحلي في ذراك مخيما • فجنيت في الآمال صنوع عنان •

وتركت اوطاني وجئت وانما • من ومت جنة غبت عن اوطاني •

ياليت قومي يعلمون بانني • من جودكم ارد العطاء الثاني •

لا زلتم في اسعد مبسوطة • مقبوضة عنكم يد الحدثان •

ثم وجه السلطان اخاه مولاي المامون ابن هشام لاقليم تمسوس وجباية زكواتهم ورجع السلطان لفاس ووجه القايد محمد اميمون الكرواني عاملا لطنجة وعزل العربي السعيدي ووجه السيد الحبيب البيلار امينا على مرساها ووجه سيدي محمد الحبيب لتعلالت وكان واليا على الشاوية ودكالة وقبايل الحوز وعزله وتوجه للصحراء فاخذ مسعاه فيها ولم يجد شيئا فرجع ووجه

ابن الطيب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

السلطان لوجهه ورجع كذلك بالكلية ثم لما اخذ العز في الكلام
بلاد الجزائر وذلك في محرم سنة واربعين ومائتين والف جاء اهل
تلمسان ووهران واعيان تلك المملكة الى مولانا السلطان المؤيد ورغبوا
في الدخول تحت طاعته والاكتنان في كنف ولايته فامتنع من ذلك
وشاور في امرهم اعيان الدولة واهل رايته فاختلف الناس عليه في
ذلك فمنهم من زين له ذلك وقال له انما هي نعمة باردة كثيرة العائدة
ومنهم من نهاه عن مقاربتها على كل حال وهؤلاء هم اهل العقول الراجحة
والاراء الناصحة والطريقة السالمة والطريقة الواضحة فقالوا ان
تلك الناحية تثور مثل الجمار لا يطيق تملكها الا كل جاف جاهل جلف
كالاتراك السفهاء الاغمار وانما ما ضيعت لمن في الدولة منذ الاتراك
فيها فسادا وضلالا واظهر فيها آفات وعللا كما علم ذلك في
اخبار الدولة السابقة وكان ممن زين له في قبول
ذلك القائد مولاي عبد الملك لعدم اطلاعه على احوال سابقي الامم
واخبره بذلك بعض الناصحين ليرده عن ذلك واخبره بذلك بعض الناصحين
ليرده عن ذلك فكان في طبقة سمعه صمم وكان مولانا السلطان
المؤيد يعتمد رايه في المهمات والنوائب العظام الملمات
فقبل السلطان من غيرهم ووجه معهم المحلة من العبيد والوداية

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وجهاد القبائل الغربية مع ولد عمه مولاي علي بن سليمان وكان مولانا
المؤيد فوض امر تلك المحلة ولم يتوجه فيها الا الاعيان وكانت كلها
رؤساء مثل الطاهر بن مسعود وابن الطاهر العقيلي وابن محمود وادريس
ابن حمان واشباههم من العبيد وكان الوداية قد ثنا هوا بهم الصعود والعروج
حتى مالت بهم الشروج كان مولانا السلطان قد بالغ في اكرامهم واعلاء
شانهم وكان ذلك سبب فسادهم وطغيانهم فلما بلغوا تلمسان
وطلبوا بالاشتغال بالقتال ولا تهييج وجزوا تلك البلاد كالغنم
السائمة التي مات راعيها وكل واحد يقول انا لها فانتشر ذلك
فساد البواطن وتكدر الخواطر فلما رجعوا رجعوا كذلك فانهي ذلك
الى علم مولانا المؤيد فامهلهم اياما ثم دعا ابن الطاهر العقيلي
وكان هو قطب المغافرة وعلى يد كبيرهم كان من اراد ذلك الفساد فلما
وقف بين يديه وبخه وشنع عليه سوء افعاله وعددها ثم امر
بقبضه وتوجيهه للسجن فخرجوا به وصوبقد لانه في صبيحة ذلك
اليوم تحزبوا على ان من قبض منهم يطلقه الاخرون فلما بعدوا به عن باب
دار السلطان وجدوا الطاهر بن مسعود ومن به جلوسا في الطريق
فقاموا واطلقوه من يد من جاءوا به بعد محاربتهم حتى خرج هو وادريس
البواب احد القائدين فقامت حمية اصحاب السلطان لمدافعتهم

وغلبتهم شيعة اهل الفساد لانهم قد استفزوا الزلزال والناس غارون
غافلون. ثم ماجت فاس الجديد كموج البحار، وبرزت ضباب الفتن
بعد الانفجار، وزلزلت الارض زلزالها، واظهرت الدنيا اهوالها
ونكرت احوالها، واظلمت من فاس البالي ارجاؤها، وسبقت عن
منقلب الزود عرجاؤها، واشاع المرجفون ان السلطان قتله الوداية
فتسارعت الغوغاء والهمج الى الهيب الودينين عامل فاس يهدون
بيته، ودخلوا داره وسدوا الباب، وتبعهم من معه من اهل غمارة والاعراب

واما مولانا امير المؤمنين فانه لما وقع ذلك ركب وخرج
من باب البوجات وتبعه اصحابه ومن حضر من العبيد المسخرين وغيرهم
منهم من ركب والجل على ارجلهم فلما رات الوداية السلطان خرج
ركبوا وخرج اهل قصبة الشراكة بجزايرهم وادركوا السلطان
عند قنطرة عيناه فنزلوا الى الارض يقبلون حوافر فرسه ويتشفعون
ويتبرؤون من فعل السفهاء وكلهم بالحقيقة سفهاء، وكان
الحال اذ ذاك حال مطر خفيف والشمس قد غربت او كادت تغرب
فساعدهم على الرجوع فرجعوا الى قصبة الشراكة لدار ...
... ثم تلاحقت عساكرهم وكبراؤهم فجاءوا وطردوا الغوغاء
من باب السلطان فجاؤوا به حتى دخل الدار العالية **فلما** اصبح

طلع

فطلع اهل فاس الحاج الطالب بن جلون والاشراف والعلماء
ورؤساء الوداية غير الطائفة المتمردة واخذوا بخاطر
مولانا المؤيد فاقام لهم الرضى والعفو فسكن الحال بعض
السكون بمجلس السلطان اياما حتى اطمأنوا وظنوا انه نسي
وكيد فعلتهم وذهبا لينتقل ابن الجلود فانحازت اصحاب
السلطان كلهم لفاس البالي العبيد والاحرار ووجه السلطان
لعبيد البخاري لمكناسة ان يقدموا عليه بمحلة القايد بوسلهام
واصحابه المخزن والتباعة فلما قربوا من فاس ركب الوداية
وتحالفوا انهم لا يتركون العبيد يدخلون فحاربوهم حتى دخلوا
رغما على انوفهم ومات من الفريقين عدد كثير فدخل العبيد لقصبة
ابن الجلود مع السلطان واهل فاس وبقية الوداية وحدهم
ثم تهيأ السلطان للخروج فخرج على طريق كيكب على بلاد
اولاد جامع وكانت الوداية فروا فيهم بعض البرابر
فتبعوا المحلة يوم خروج السلطان فنهبوا كل من تأخر فبلغ
فبلغ السلطان لدار ابن يشو ومنها توجه لمكناسة فكتب
وبني حسن
للقبائل كلها اهل الحوز والشاوية ودكالة واهل الغرب
وزمور وآيت ادراسن فاستعد السلطان للحركة اليهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

غاية الاستغراد فلما تهيأ النزول زحف اليهم تلك الجنود التي
لا قبل لهم بها وكانوا في اثناء المدة التي اقام الشلحان بمكناس
يستغزون القبائل في الاخذ معهم في حربهم فبعضهم يعدهم
ويمنيهم وبعضهم يردهم خائبين وكان اولاد جامع ممن خالفهم
وجاءتهم بلاده فاستقطعتهم الوديان وركبوا اليهم يظنون
انهم يستأصلونهم في ساعة واحدة فاعان الله تعالى اولاد جامع
فهزموهم هزيمة قبيحة فقتلوا منهم عددا كثيرا واخذوا كثيرا من
الخيل والعدة ورجعوا خائبين فلما اراد الله تعالى
فضيحتهم والانتقام منهم وجهوا طائفة منهم لابن الهيب
وهو عامل بتازي وجاءتهم منه علاوية يغوي فبرزت له جميع
الناس منهم لان ابن الهيب مبغوض عند جميع المسلمين فلما
جاء الشلحان نزل عليهم وقاومهم ونصب عليهم المدافع والمهاريز
فكان الضرب عليهم من المحلة بغير فاس ومن يشتبون بو الجلود
ويشتقون باب الجيسة ويشتبون باب الفتوح والقتال
عليهم كل يوم من كل ناحية ولا يدخل اليهم شيء من المرافق
حتى اشرفوا على الهلاك فوجهوا للحاج الطالب بن جلون وطلبوا
منه ان يدخل في الصلح مع مولانا المؤيد فكان يتردد بين الشلحان

ابن الهيب

وبينهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وبينهم ايلاما والسلطان كان عزم على المقام عليهم حتى يمحوا اثارهم
من الوجود ولو اقام عشرة اعوام واراد البناء عليهم وجاء
اللواحون وشرعوا في البناء ثم لم يزل الحاج الطالب وقواد العسكر
ورؤساء الاجناد يرغبون من السلطان في قبول التوبة منهم
والصفح عنهم حتى انعم بذلك على شرط الخروج من فاس الجديد
فقبلوا ذلك على ان يمهلهم ريثما يتهيئون باثقالهم وخرجوا
للاستشفاع بالصبيان والالواح والمشايخ والعجائز ومعهم
سلطانهم المذكور فاعطاهم مولانا المؤيد العفو والقبول
ثم ارتحل لمكناسة والفضالة لنارهم التي اوقدوها فلم يحترق
بها احد غيرهم وقد اعرضنا عن شرح حقيقة هذه القضية
الطائلة فان شرحها يفوت المعقول ويذهل العقول ثم بعد
ذلك امرهم مولانا بالارتحال متفرقين في مراحل الودايات للعرائش واهل
سوس للرباط والمغافرة للحوز وذلك بعد ما رجع السلطان لمراكش
ثم قبض على القائد بن مسعود وابن مرصون وامثالهم من مساعير الفتون
واهلاك ريس بن حمان فهو مومنة الرعون من اول الامر الى اخره
وهو محل ثقة السلطان وعيبة اسراره معهم فانجاه الله تعالى وابقى
السلطان عنايته عليه ورفع له منار العز في قومه حتى مات

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وسرى ذلك الدا على اولاده ثم لما استفرغ مولانا المؤيد بالله من الكشف
امر بقتل الكاهن مسعود وابن الكاهن في الموضع الذي اطلوه من الاول
الثاني وكان الذي وقع على قتلهما الحاجة زويكة اهلاتة لامهم ❁
ومن حلم مولانا ورحمته التي جبله الله عليها وملابستها
بالمنة لم يواخذ غير هذين الاثنين جليس اللذين هما اصل الفتنة وفرارة
العفو حتى عن هاذين لانه نوى ان لا يواخذ احدا كما حدث عنه
بعض جلسائه فالواقع من عاقبة السلطان على منع الفتنة انما كان
كان بالحاج رجلين عقيفهما قبا عرضنا نحن عن تسميتهما اغفر الله لهما
ثم وجه السلطان وصيفه ابن عبد القادر للسمسر وكان واليا على
من الكشر فاما امهات خليفته من الكثر الحاج عمر النجار وذلك بعد فراغ
مولانا المؤيد من اقامة العرس المبارك الذي ما سمع مثله منذ زمان
وهو عرس ولده البار مولاي محمد امير المومنين المظفر وقد احتفل به
غاية الاحتفال واظهر فيه من الابهة الملوكية وزينة الحياة الدنيا
السلطانية الخارقة للعوائد الدالة على فخامة الملك وفخامته
مما يذهل العقول عند سماعه ويكل الالسن عن وصفه وكان ذلك
بحضرة من الكثر وامر السلطان اهل فاس والغرب والحواضر كلها ان يوجهوا
العلماء والشرفاء والاغنيا والتجار واكابر كل جهة مجا امين

الامنة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

واهل تطوان واهل الجزائر
المشرق كمكناس وفاس

الاسماء وفيه ملأ الدار العالية السيد علال الشامي وحضر كل من يحسن
شيئا من انواع الطبخ من اهل فاس وكل اهل الموسيقى وانواع الملاهي
والطرب والالات المعدة للافراح والسرور فلبثنا ودوام الشهر في
نعم محل متسع من بساتين السلطان بالقصبة السعيدة يسع
العالم فاشتغل كل طائفة بما هي بسبيله وفرشت القباب والمنازه
والمقاعد والمجالس بالفرش المنضودة والستور المزخرفة والبسط
الرباطية المذهبة وافيضت نعم الله وبركاته الواسعة على الخاص
والخواص والعوام ولم يحجب فيها احد واستمر الحال على ذلك عدة ايام
حتى سئم الناس من ازدحام الخيرات وتكرر الفرحات والمسرات
وكثرة الغيث والمطر من بعد الخطر **وبالجملة**
فهي وليمة تجلى الله فيها بصفة الاحسان والرضا واشرق
نور جماله على الكون فاضاء وانهلت مواهبه بصفة القضاء
ونودي لسان كل حسن بلسان الكمال فاجاب النداء واعانت
هاذه الوليمة وليمة بوران وقطر الندى **ومن بركات**
هذه الوليمة ان مولانا المؤيد بعد فراغه منها استوى على كرسي
السعادة والراحة واتته جميع القبائل من غير ان يوجف عليها
خيلا ولا ركابا او يعمل اليد للراحة فانه صدر ولدي العرس السلطان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

المطيع المحفوظ المحروس، فألقى إليه جملة أمره بأزمته، وفوض
إليه كلية ملكه برمته، وكفاه جميع المهمات، وقام دونه
في النوائب والملمات، فتمهدت الأمور فكان نعم أمرته،
وسعادة غرته **ولما** زهد مولانا المؤيد في إيالة الجزائر
وتخلى عنها بعد ظهور شومها، وخستها ولومها، طمع فيها
كل فتان مغرور، كولد محيي الدين المعسكري موقد نيران الشرور،
وكان مولانا المؤيد في أول الأمر يملك عنانه وأمره لأنه يظهر أنه في
تلك الناحية لا عمل له إلا نشر العلم، وإن طلب الحوائج هو
أنفع وأعلى، فنمى أمره حتى بلغ أشده، وبرقت له بارقة
فتعدى طوره، وتجاوز حده حتى أنه من جهله، طمع في
مملكة الغرب كله، وكان يصرح بذلك جهارا، ويظهره في مجالسه
اظهارا، فجعل يستهوي بعض القبائل البربرية والجبلية وشاع
ذلك حتى تحققه مولانا المؤيد فوجه محلة لتلك القبائل
ليستكشف باطن الحال مع القائد محمد بن سالم الأحمر المالكي
العربي فقتل غيلة ورجعت المحلة فازداد بذلك طمع المغرور
فجعل يجول في تلك النواحي إلى تازة حيث الخليفة المظفر
تارة يتقدم وتارة يتأخر وينظر لنفسه وتارة يتياسر ثم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

دون مكيلة وتوجه ثم دمنة عتيقة وامرها ان تفهم انها منه فارة
هاربة مع انها مستبطنة افاعية وعقاربة فجاءوا حتى فرغوا
من قاصرون لوا فطلبوا التأمين والايواء وزادهم في حبوتهم وزخرفه
حتى نزل بالعقبة الحمراء وهو يخفي امورا ويظهر امورا فلما تعطى
مولاي المؤيد لتلك الوسيعة امر باجتماع تلك الشرذمة الخسيسة
فبادرت اليهم الخيل والرماة فواقعت بالقتال الشديد والاهوال
والحمات حتى ان منهم من قتل بنته وحليلته مخافة ان تؤسر وتمتهن
بعده وتبقا بالثبات منهم وقد اطلع كل منهما مكحلته فيقول كل
منهما القاضب اخرج قبر واخرج فيه فيموتان معا **فلما**
حيل بينهم وبين ما يشتهون وسمع المغرور ما وقع بقومه تأخر
وييس من نجاح تلك المكيدة فرجع الى براير الريف الصم البكم
فاشتغل فيهم بالاغواء يعدهم ويمنيهم ويبعدهم من الخير والى
الشر يدنيهم فاشتد امره فيهم وتمكن ناموسه فخرج اليه
امير المومنين الشلشال المقيم سيدي محمد بامر والده بالعساكر
المنصورة والقوة العامرة الجيش المنصور فلما نزلت المحلة السعيدة
بقرب خنقه الى الكير على عادتها فنادى في تلك البرابر الرهيبة
مجمعهم وامرهم ان يتاهبوا في ليلة عينها لهم وقال لهم لا فرزة لنا

بن تسول والبرانس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

على مكان محلتهم نهارا فجاء أصحاب مولانا المظفر فأخذوا منهم جماعة
المغرور في أثناء الليل بحرب شديد ولم يتفادوا إلا النار والحريق
فرجع في ثياب الصغار والذلة والمهانة بعد انتهاء غاية الغلظة
والمنافسة فأصبح في حوالي المحلة من جثثهم وجيفهم ما لا
يعد ولا يحصى فأقلع عن محله متاخرا فتبعتهم المحلة وضربت بعقبه
ثم صرمته صرمة الحسام فمر في شدة العجاج والقتام وترك
مضاربه وخيامه واستقبل ليالي الخزي وأيامه وتوجه نحو بر
النصارى واتخذهم أعوانا على أهل الإسلام وأنصارا ورجع مولانا
المظفر تلعب بألويته رياح النصر وتقدمه السعادة التي لا نهاية
لها ولا حصر فلما بلغ مرامه من الكفار انتشرت القصيدة التونسية المتضمنة
للتهنئة بالظفر وبلوغ الأمنية **وكانت** خلافة مولانا المظفر
عن أبيه مولانا المؤيد كخلافة السلطان سيدي محمد بن عبد الله عن أبيه
مولانا عبد الله سواء بسواء فقد رد كل منهما في أيام أبيه ما لا يقدر
قدره وخلد كل منهما من المآثر وشيد كل منهما من المباني والمصانع ما
تعجز الأقلام عن وصفه أما سيدي محمد بن عبد الله فقد تقدمت آثاره
في رايته وراية أبيه وأما مولانا المظفر فآثاره في أيام أبيه
لا تحصى ومن ذلك إجراء الأنهار وتفجير العيون التي عجز الملوك

المتقدمون

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

المتقدمون عن ما جرت به بها في ابواب ديارهم ومنازلهم استنباطهم
واختيارهم فنهض اليه مولانا نصره الله فاحياها بعد ما تهدم
فصيرها بالفعل رياضا ناضرة ذات ازهار عاطرة وثمار حلوة
وظلال متكاثرة وفاخرت بها اكثر غوطة الشام وانست بني
مروان ملوك بني مولانا هشام **ومن ذلك** تكميله ما انشاه
والده المؤيد من اغراس اكوال فانه في زمان المصيف تنالها العطاش
العاد حتى ان البرك والصهاريج التي كان يختزن فيها الماء ويدخر
من الشتاء للمصيف كما كان ذلك في ايام سلفه الموحدين قد تعطلت
بامتلائها بالتراب والعيون التي تجلبها السيول اليها حتى بطل
الانتفاع بها واكبرها البركة العظمى التي بدار الهنا وكان يقال لها
البحر الاصغر لان ملوك بني عبد المؤمن الذين انشاؤها جعلوا فيها
الزوارق والعلائك الصغار للتفرج والتنزه بها وجد لذلك الفرج
عن واحد ملوكهم وهو عبد الواحد بن المامون كان تفرج في لوابهم
وطول هذه البركة اثنا عشر ماية قدم وعرضها تسعمائة كما اخبرنا
من قاسها ومر ايضا مدة وهي عاطلة وكانت دار الهنا المرتفعة
بمنزلة سور فسيح بجانب مبني في وسطها قبة بدور صا
وازفتها واشواقها بجاه مولانا محمد المكرم فامر باخراج ما في تلك

البرك والقصاريج كلها وتنقيتها من الطين المتحجر حتى
صارت كالربى والهضاب العالية لاسيما البحر الصغير الذي هو
كالبركة الكبرى فاجتمع على ذلك عوالم من المخلوقات حتى
افرغوا ما فيه وعادت البرك الى حالها الاول الذي وضعت
لاجله وهو اختزان الماء لوقت المصيف وبذلك كمل المراد
من اكثر الوجوه وصارت امنا من العطش والهلاك ومن ذلك ايضا
احياء عين بوعكاز خارج المدينة يخرج اليه على باب الطبول
وتلك العين ايضا من اثار الموحدين ولها بركة بازائها على الوصف
الذي ذكرنا فقطع اليه من كان المضمر فجعل لها عينا غرفها واجراها
الى البركة التي صار فيه المتراكم صبغا صبغا فقام نصره الله
بافراغها وتنقيتها واصلاح ما يحتاج الى الاصلاح منه
فجاء ذلك البسيط الذي حولها مزارع نافعة تغمر الزراعين
وتبهج الناظرين وبنى نصره الله حولها قلعة عجيبة يأوي
اليها الحراثون بانعامهم ومواشيهم واتخذ هنالك الخيل
الاناث المعدة للنتاج عدد الكثير ومن ذلك ايضا
احياء عين الغبار وبركتها العظمى التي تقرب من البحر الصغير
الذي براب العنا المتقدم الذكر وهي ايضا من اثار الملوك الموحدين

ابنا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أبناء عبد المومن على الأنها تعطلت منذ زمان ففتح
الله لأحيائها مولانا السلطان المظفر فأجرى لها العيون
من الأنهار وجمع الخلائق لإخراج الجبال التي في جوف البركة
والغابة خارجا ورتب العملة في إصلاح ما اختل من
حيطان دائرة البركة وفي أقرب زمان عادت كأحسن ما كانت عليه
فأمر نصره الله بغرس ما دار حولها من الفضاء المتسع بأنواع
الأشجار من الزياتين والتين والفواكه الصيفية والخريفية
وضاهاها بها أكدال الذي أنشأه والده المؤيد فلما رأى مولانا
المؤيد ما ابتكره سيدنا ومولانا المظفر تعجب من تشييد الله
له ما عجز عنه الأولون وعلم أن قدرة الله تعالى لا تحد بحد
ولا تغير بغير **ومن ذلك أيضا** إجراء النهر المسمى
بتاركى المستمد من واد النفيس فإنه ظاهر في النهر القديم
السلطاني المسمى بإسكجور وهذا النهر المسمى الجديد
أنفع منه وأوسع مجالا فصار إحياء التي في تلك البسائط التي
هي من أكناف واد النفيس وصار النهران به القديم والجديد بمنزلة
الفرات ودجلة بأرض العراق ببركة مولانا المظفر **ومن**
كنت خاصيته نصره الله لما أبطأ بها من في بعض حركاته

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بالفصول الرائية وذكرت فيها المصانع المراكشية تشويقا

له واستدعاء :. وهي هذه

لذا الخير تحنو الليالي البشائر • فلا ذكرت أحبابهن العشائر •

أرابهم على شحط المزار هواجعا • وهم بين موصول التبع وساهر •

تخب اليهم كل حيرى كأنني • عشارا وتحكيها الجياد الضوامر •

وتهفو ما بين المرابط كلما • سرى من حشو البحر الخليج المجاور •

اما والذي لو شاء فرق دارهم • هو بينهم والله ربي قادر •

لعونا أمنا البين ما لا تناله • عداة بأيديها الصفاح البواتر •

ولاكرا اذا ما الامر بالغ وانتهى • لغايته لاشك بالامر ظافر •

وقرت من نور الصباح انصداعه • فتنزح بعد الانصداع الدياجر •

اذا ما بدا وجه الامام محمد • مفرجا نصر الله والفتح ظاهر •

محمد نور النبوة الذي زهر كلما • محمد سيف الله للدين ناصر •

سليل أمير المومنين وزيره • ومن أمله يرضى الغني من يوازر •

وشبل ملوك من ذؤابة هاشم • نمتهم ملوك الورى والمفاخر •

يجاذبه انى تلفت سودد • اوائله مشهورة واواخر •

فأعمامه مثل الشموس ضواحيا • واخواله مثل البدور زواهر •

هو الملك الحجاج ليس بمعتد • سواه اذا دارت عليه الدوائر •

هو

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

هو السيف المرهوف يعلو بأسه ... رؤوس الأعادي لا تقيه المغافر

يسير فتغشاه السعود مطيعة ... أماما وخلفا حيثما هو سائر

وتخفق رايات فوق كتائب ... لها عزة ما ناله عمرو وعامر

أسود على جرد إذا احتدم الوغى ... لها النقع غاب والسيوف أظافر

هو العالم البحر المحيط علومه ... تناقلها في الناس باد وحاضر

ترى من وراء الغيب أنوار رأيه ... كما هو راء بالنجم ساهر

به جمع الله المغارب فاغتدت ... عماها ونالت ما نوى المكاسر

أيا سيرنا يا كهفنا يا أماننا ... دعاك اشتياقا في الجوانح ثائر

دعاك إلى العاف المواهب أهلها ... وكلهم من وصف حبك سادر

دعاك إلى الدار البديع منارها ... إليك غنيها العجب من هو ناظر

مبان كما شاء الجمال تكونت ... تحار بمرآها الأنيق النواظر

قباب على سمت السعادة شيدت ... تحف بها الأدواح وهي نواضر

يحف بها الزهر النضير تلعب حولها ... ظباء تباري [illegible]

وفي مدخل الصوان أخرى تصونت ... فرا بنيه في جانبيها المشاور

وأخرى على أرض المصلى مطلة ... فما اعتزلت أهواؤها والعناصر

وفي وسط الزمراء ذات مجالس ... مفخمة تعتز فيها الأزاهر

ودار الغنا حول الخليج مفاخر ... يلذ بها للسامعين المزاهر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وفي ابن عقيل للتعقيل مسارح . تردد فيها الطرف والطرف حاير .
كذلك اكدال الصغير النزيلة . منازه عز تصبيها المناظر .
اذا ابتهجت تلك المنازه اوجهت . فليست تجاريك البحار الزواخر .
وليس لفاس مثلها برياضة . وليس لحاليها زرود وحاجر .
ولكنه لا يستتم جمالها . ويحيتها الا بذاك حاضر .
فباد راداك الله عزك وصلها . فكم فاز ادراك المنى من يبادر .

ومن ذلك ايضا اجراء النهر الذي جلبته من تساوت الى بسايط الغبار التي هي ببلاد زمران والرحامنة والعراغنة وهي المعمرات بعيطوط من جملتها كرى تاملالت فعاد ذلك كله رياضا مخضرة وبساتين ذات ازهار معترة ومزارع مضمونة ومحارث مامونة وغابات من الزياتين ظليلة تنعش الابصار الرغايبية فترجع كليلة وبنى فيها مولانا المقدس قصبة عامرة يعمر فيها العاملون والوكلاء نواهيه واوامره وكانت الفيافي معاوز مخوفة ومهلكة للسيارة بشدة العطش موصوفة تضل فيها القطا وتضل فيها الخطا فاحياها الله وامنها ببركة مولانا المقدس وعمرها بعد الخلاء بيمن الموسم الاغبر ذلك من الاثار العظام التي اثلها وظهرها والمباني والمصانع التي شيدها ومن ادلة

بذكر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بذكر هذا بناء الشيبة الذي اشتهر لديه بفنه وبه سميه جد ابيه
الذي لم يبدله سواه نسبه وسيأتي ذلك ان شاء الله في
رايته المرفوعة بهمر الشعود الظاهرة بالعز المؤعود ثم
ان مولانا امير المومنين المؤيد وجه لولديه مولاي سليمان ومولاي
الرشيد لاداء فريضة الحج وزيارة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم
ولما عزما على الشروع المبارك امر وزيره الاعظم الاجل الاكرم
العفيف لسان الدنيا البليغ ابا عبد الله سيدي محمد بن ادريس
ان ينشئ قصيدة على لسانه يخاطب فيها جده خاتم الانبياء صلى
الله عليه وسلم ويشكو اليه بحال الزمان واهله فكتب الي
الوزير رحمه الله بما نصه بعد حمد الله والصلاة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم : صدر الافاضل ومظهر الفضائل الفقيه
العلامة الاخ في الله والمحب من اجله فلان صعطك الله وسلام
عليك ورحمة الله وبعد فان مولانا اراد توجيه ولديه
لحج بيت الله الحرام وامرنا ان نضع قصيدة على لسانه توجه معهما
لحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون مضمنها التوسل اليه
بالرحم والشكاية بهذا الزمان الذي قل فيه المعين على الحق وزادت
فيه الاهوال وتغلب الاحوال وقد علمت ضعف اضيك وكثرة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ما يعتريه من الامراض ولا سيما هذه المدة فانه من سقم وورودي
لهذه الحضرة المباركة اشتغل بي صداع لازم ويكثر اخر النهار
من الزوال الى انقضاء الليل عافانا الله واريد من اخي ان ينوب عني
في ذلك ويكفيني مؤونته كفانا الله واياك جميع النوائب
واعلم ان سفرهم في اول الشهر الداخل والسلام اهـ قلت
اخبر بامر الامتثال فانشدنا القصيدة اليائية وهي هذه

أركبان نجد اذ شاع بها يمانيا • ليهنكم ان بلغتم الامانيا •
تلوح بظلمائه فكأنه • مباسم تحكي في سناها اللآليا •
زجرنا به الآمال فابتسمت لنا • وضاءت كما اضحى يضيء الدياجيا •
وروع احشاء تعز لمعهد • تقضت به عمر الشباب تقاضيا •
وما زال هذا البين يوقد لوعة • اثبت في فؤاد الصب الاتماديا •
فؤاد دعاه الحب من بعد كبره • وما للهوى بعد المشيب وماليا •
ولكن ادواء الهوى ان تمكنت • لواعجها لم تلف منهن شافيا •
الا صم مغن للحبيب وانشا • وماذا على صب يحيي المغانيا •
ونحن وفود جفت الكتاب معاشر • رضينا الهوى فليقض ما كان قاضيا •
رعى الله اهل الحب من كل حادث • ولا راعهم عذل الركاب لاحيا •
نرد على الاعقاب صوب مدامع • حذار رقيب ليس يبرح واشيا •

48

ولوا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ولولا غيوث الشاكين لا خلعت • مدامع تجري الغمام الغواديا

وميمات اكفاء الجوى بجوانح • تنزو اذا ما الركب اصبح غاديا

يهيج الصبا ان هب من ارض حاجر • كوامن اشواق يبلن الرواسيا

عزيز على الهوى لعبت به • صبابة ذكرى الربوع القواصيا

اذا غردت في الايك وهنا حمامة • تذكر نجدا والنقا والمطاليا

وهيّا عشيقا في اباطح مكة • رجيعا من الدياج ما زال كاسيا

اذا ما دنا الركبان منها تجردوا • وكانوا بها شعثا كما هم بواكيا

وايقن كل انه ببلوغه • لزال المنا نال المنى والامانيا

واضحوا امينا من عذاب الاهه • ومن بعد سخط يستقيم المراضيا

هنيئا لقوم ناظرين جمالها • عكوفا لدى البيت يجرون المساعيا

قضوا تفثنا بعد الافاضة واثنوا • لطيبة يرجون الفلاة النواجيا

وراضوا على اثر الوداع وصبوا • على فرح يطوون تلك الفيافيا

وما وصلوا حتى تراءت بطيبة • من القبر انوار تنير المحانيا

وهبت رياح عاطرات بطيبة • كما فاح روض بالازاهر حاليا

فجرت على الاين الركاب وهيمت • رنا بهم كيما تنال التدانيا

ولما دنا ارض الحبيب ترجلوا • واظهرت الاشواق ما كان خافيا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وعم كل بني التراب وجودهم • تراب به خير الورى كان ماشيا •

وخرت ملوك الأرض فيه جلالة • لمرباه فيه يعفرون النواصيا •

ألا يا بقاع بالبقيع وواديا • به خيرة الأخيار حييت واديا •

فوالله لا أنسى زمانا قطعته • بمغناك حيث كان مثوائيا •

ويا وادي افدان لقد عناية • بمغناك فأضحى بالكرامة راضيا •

لك الله ما أهنا وأكرم موطنا • ثويت به حياك ربي وحيا •

فبلغ لخير الخلق مني رسالة • وإياك تنسى أو ترى متناسيا •

فقل بعد إهداء السلام تحية • تعم صحيحه الكرام المواليا •

إليك رسول الله من أرض مغرب •

عن المذنب الجاني أتيتك شاكيا •

عن ابن هشام لا أسير لنفسه • وأهوائه يبغي لديك التفاديا

عن ابن هشام الذي قد تفاقمت • به عند أشغال الإمارة عانيا •

عن ابن هشام الذي ليس يرتجي • سواك لمحو فيه ما كان راجيا •

نجاه وأطلاعه امتنت النبي • رجوناك تنجي حماطا الأعاديا •

رجوناك تكفينا المخاوف كلها • بما زلت من كل المخاوف كافيا •

رجوناك الريد النصر في كل حالة • على من غدا بالبغي في الناس باغيا •

50

رجوناك

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz Casablanca

رجوناك يا نعم الفتى التي • غدا اهلها فيها الاسود الضواريا •
وليس لهذا السرح غيرك كالئ • فكن يا رسول الله للسرح كاليا •
وليس لنا للامة احمر • دعاء اذا ما الغيم اصبح داعيا •
وحاشاك من يحمى اليد تمله • وتسلمه ان اصبح المولى راجيا •
وحاشاك ان يكبيك وهو مجير • على سائر الاكوان يرتجي هاديا •

الا يا رسول الله اني خائف •
وانت مجير الخائفين الدواهيا •

ولي رحم موصولة بك ابتغي • لها صلة تولي لديك التراضيا •
ومثلك للارحام بر عن دمامها • ولاسيما نحوي كذاك تماميا •
وحماك للرحم الغريب وعطفة • فاولى بعطف منكم كان دانيا •
وعونا الناس صولة الدهر اننا • بغيرك كان جور الدهر وافيا •
وقد احكمت فينا المفاسد حكمها • سياسة افواه تحاكي الافاعيا •
وقد الزمتنا ان نعاشر معشرا • يسرون شيئا غير ما كان باديا •
على قلة الانصاف والخير فيهم • وكثرة اقوال تطيل التناجيا •
سواعون للاطماع يبتغونها • كواسل عن روح تخشى التلاقيا •
عزائمهم في نيل ما في بطونهم • فبين عقولهم وبين كلانا بواهيا •
فلا عون الا من عنايتك التي • بها تتقى هاف الزياب العواديا •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

• ويا ملجأ الا الى عز ذاته • نلوذ به حصنا من الضيم عاليا •

• بجاهك يا قطب العوالم كلها • ويا منبع الامداد نرجو الامانيا •

• فوجه من النصر الالهي عاجلا • لنا مددا ما دام عزك باقيا •

• وصلى عليك الله في كل لمحة • بكل صلاة لا ترام التناهيا •

وفي هذا الشهر وجه الشلحان المذكور ولده البار المقطع لناحية وجدة لحياطة البلاد وحفظ الايالة من الغزو والكلام الغير نصيح لانه تكالب على من جاوز قبائل ايالة الاتراك التي التقمها اعوانه فخرجت العساكر من مكناس وفاس وما اضيف اليهما من الاعراب والبربر مع مولانا المقطع **وكانت** الرؤساء من تلك المحلة غير مؤتلفة والاجناد الداخلة في العسكر من الترك والشبانات واولاد دليم غير ناصحة لامرائهم لسوء افعالهم فلما بلغ مولانا المقطع بلاد انكاد ونزلت المحلة بالعيون جاءه اهل البلاد العارفون بمكايد الروم المباشرون لحربهم المطلعون على عوائدهم وقالوا يا سيدنا انه يجب ان تبقى المحلة ها هنا ولا تتعداه وتكون الخيل تغير على الاعداء وترجع لمامنها فقال لهم نعم ذاهم والذين يكون عليهم

العمل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

العمل ان شاء الله ثم جاء رؤساء المحلة وقالوا له
بمن حضر وممن لا يليق مع الغدرة والقولة وكثرة
الجنود التي لا يكون اهم مقابلته والذي يليق ان
نربط المحلة بطرف بلادنا ونغير على العدو في بلاده فوقع
الخلاف في ذلك وغلب من راى له على اهل الجد رأيا والتجارب
فرادت المحلة الى حيث ارادوا فنزلوا غير مبالين ولا
ملتفتين غارين انهم كانوا في ديارهم واغتروا بكثرة
الجنود وظن الرؤساء ان قلوب الاتباع متوافقة
وانهم مجتمعون على صدق اللقاء وجاءت العيون وقالوا
انهم جمعوا يتجمعون شان الكفار ويضعفون شعار المسلمين
فاصبحوا متكبرين على ارائهم يضحكون اعزتهم فلم
يرع الناس الا كما يبعث من الخيل خيل المحلة كانت
راكبة بجوادو يستبقون وقالوا انا رأينا جيش العدو
بابصارنا مقبلا وسمعنا طبوله فلم يعرفوا من ذلك الحديث
حتى اطلت رايات العدو فاجفلت الناس عن اسراج
مراكبهم فضلا عن حمل مضاربهم و[illegible] المطعم والمشرب
خفيفة [illegible] الحالة فجاء [illegible] مراكبهم فلم يرد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الركوب ليلا يغير المحلة اذا اراد ان يركب فقيل له ان المحلة وتم عليه
زرارة والشبانات ومن وافقهم سارزوا وفر فقطعوا مسافة
وبلغوا مأمنهم وباتوا معولين على الفرار فكان مولانا المقطع اخر
من ركب من المحلة فرجعت المحلة الى فاس على كثرتها بلا قتال ولا وقوف
ولا التفات بل اجل من رعب المحلة اولئك الخونة الهراب لا تلك افئدتهم
واموالهم وفي عام ستين ومائتين والف هجم العدو الفرنصيص
على ثغر السويرة غدرا والناس غافلون فرمى عليها من البنب الا وله
ودخل الجزيرة التي فيها المساجين اهل الجرائم فاخذهم ولم يتجرا على
دخول السويرة وانما وقف في البحر ينظر الى المسلمين ينهبون اخوانهم
المسلمين وذلك ان الشياظمة والغوغاء الاخلاط البقالين الذين
بداخل البلد لما راوا العدو دخل الجزيرة لم يشكوا انه يدخل البلد
فمدوا ايديهم في متاع الناس وكان ذلك اولا من اهل الذمة ثم عم
غيرهم فضاعت في ذلك اموال التجار ودخل في ذلك دار الاعشار
التي فيها ذخائر المسلمين وخرج الناس حافين نحو البادية فكل
من دخل بلاد الشياظمة نهبوه وفضحوه وسلبوا الحرمات ولم يتركوا
شيئا من الحرمات ومن دخل بلاد حاحة الغالب عليه السلامة والامن
على المحارم والاعراض وقد ظهر بهذا الفعل من المسلمين الذين

فر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فمن بلغ الغاية في الفقه نسأل الله البر الرحيم ان يرحم كمن هذه
الملة ومن حرم ضعفها والذي يدل عليه حال عوام الاعراب سكان
البوادي اليوم انهم لولا ما يتقون من سطوات الملوك والحكام لا يعرفون
من الحلال والحرام ولا يدينون دين الحق الا بألسنتهم وهذه المعرة التي
وقعت بالسوسية وقع مثلها لاهل الاندلس لما اخرجهم النصارى
الى دار العدوة نهبهم اخوانهم الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم
انهم مسلمون فسلك الله في نبع الكيب ولما كان اخراج النصارى
لهم بهذا العهد القريب اعوام سبعة عشر والف فخرجت الوف بفاس
والوف اخر بتلمسان من وهران وجمهورهم خرج بتونس فسلط عليهم
الاعراب ومن لا يخشى الله سبحانه في الطرقات ونهبوا اموالهم وسكنوا
ببلاد تلمسان وفاس وقليل من نجا من هذه المعرة واما الذين خرجوا
بنواحي تونس فسلم اكثرهم ه ثم لما اقلع الغزو واخذ
المساجين الذين بالجزيرة تراجع الناس الى عقولهم واكتسابهم
وانتبهوا من مناع غفلتهم وامر السلطان المؤيد عمال حاحة والشياظمة
ان يردوا الناس الى منازلهم ووجه السلطان امينه المحتسب مولاي
ابراهيم البوكيلي المعروف بالعوارث ووجه معه مالا كثيرا يعم وعلى
من سلب ولم يبق له شيء يقيم به بعض شأنه ويستعين به على

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الرجوع حتى يستقيم حاله وعلى امل الرحمة كذلك فعاد الناس الى
منازلهم وسكن الحال واطمان الناس بحسن واحسان مولانا السلطان
المؤيد ورحمته واحسانه **وبعد هذا** بقريب ورد الشيبي
حجبة بيت الله الحرام على مولانا السلطان المؤيد فاحتفل بوروده يوم ما
يوصف وركبت القبائل كلها التي من عليه بامر السلطان من قبيلة الى
اخرى كلما بلغ قبيلة لقيته بخيلها ورماتها وهداياها ولم تترك شيئا
من كل ما تفعل عند ملاقاة السلطان وهكذا من فاس الى مراكش فلما
بلغ قنطرة تانسيفت ركبت العساكر السلطانية والجنود وخرج
اهل مراكش بحذافيرهم فرحا وسرورا وتبركا برؤيته فكان يوم دخوله
من الايام التي اظهر الله فيها تعظيم حرماته وافاض فيه على سدنة
بيته العتيق اعظم رحماته فانزله مولانا المؤيد باعز اماكنه وابهج
رياضه ومساكنه ووالى عليه سوابغ النعم وسحائب الكرم واقام مدة
طويلة ثم رجع الى فاس في ظلال المبرة والافضال وغمامة العناية
والاحتفال فاقام بفاس وتزوج بها حتى ادركه هنالك اجله وختم
عليه وبعد ذلك بقليل ورد بعض اغوات الحجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة والسلام لحضرة مولانا المؤيد ففعل به مثل ذلك الاعتناء
وزيادة وكلاهما احق بغاية التشريف والسيادة الا ان هذا

واهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

واسمه زكرياء لم نطل اقامته فاكرمه مولانا وبلغه مقاصده ورغائبه
وكان يكلف خير حقائبه وفي اثر هذا ورد رجل ادعى انه ولد الشلطان
مصطفى العثماني وانه انما جاء يطلب من مولانا امير المومنين المويد ان يكتب
لعمه السلطان عبد الحميد يقبله ويومنه ويقبل شفاعته فيه فاكرمه مولانا
غاية الاكرام كما اكرم الملوك العظام واظهر غاية الفرح به وبقدومه وقابله
من كل خير بوجوده ومعروفه واكرمه مولانا بايصاله الى البيت في حضرته فكافاته
ومشاهد عز بطلعته وكان يتبرك بزيارة الصالحين ومقاماتهم ويزعم
انه ملتمس لبركاتهم وكراماتهم ثم اجاز السلطان على وفادته باعظم
الجوائز ثم انصرف وقد حاز بالاحتيال ما هو جائز فلما بلغ جبل
طارق ظهر انه نصراني طبعه من النصارى وفي بعض هذا وردت
قصيدتان بديعتان بخط عربي رفيع في غاية ما يكون من الفصاحة
والسلاسة من نظم بعض الاشعار احدى القصيدتين في مدح مولانا
امير المومنين المؤيد والاخرى في مدح وزيره الفقيه العلامة ابي عبد الله
ابن ادريس ومما انشاه نصراني بالطنجة يقال له مارس الشريان وكان
ذلك من عجائب ما يرى وذكر لنا انه درس هاذا تعلم
العلوم الادبية من النحو والتصريف والبيان والمنطق والعروض وغير
ذلك من علوم الاسلام بدمشق وتضلع من ذلك حتى بلغ الغاية التي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لا تدرك اهل اللسان العربي فضلا عن التوغل في العجمة العادمة فسبحان
القادر على ما يشاء، وسائر الشرفاء والمذكورين آدابه وعادته استجراء
مواهب ملوك المسلمين باشعاره ومدائحه العجيبة فاذ له بذلك
اموال طائلة وله مكانة عند كل دولة وهو اليوم عند سلطان
العثمانية على طبعة اصطنبول وفي هذا العصر عزل
السلطان المولى عامل فاس الرئيس الاجل السيد الحبيب البيار الانصاري
الخزرجي وولى السيد علال الشامي ولم يعزله لريبة او نقيصة
وانما لكبر في السن وضعف عن مباشرة الاحكام وفيه توفي الهمام
امير الركب النبوي الحاج الطالب بن جلون وكان وكيلا شريرا من
اركان الدولة رحمه الله تعالى وكان له اموال لا تحصى وتجارات متسعة
في اقطار الدنيا من اوربا والسودان ومصر والشام وبلاد اجناس النصارى
في كل بلد واقليم له شركاء وعمال الا انه لما توفي لم يظهر من ماله ما
يناسب سعة حاله وذلك لانه اصابه داء السكتة فحيل بينه
وبين بيان امواله وتعيين محلها عن اقامة ذلك على بنطق ولا يتحرك منه
عضو الا الاذان كذلك مدة نحو عشرين يوما على ما قيل فنهب اهله
وعبيده واماؤه ومن يدور به كل ما ظهر له على وجه الارض في مساكنه
فكانوا ينتهبون ذلك وهو ينظر ولا يقدر على منعهم فلما مات

لم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لم يوجد في حوزته الا الشيء اليسير بالنسبة لحال امثاله نعم
بقيت له الاصول الكثيرة لانه كان يملك نحو املاك فاس من
رباع وعقار وجل ذلك حازه السلطان في مقابلة ما وجد متمم
من متاع المخزن لانه كان يخوض في مال السلطان كثيرا وعفا رحمه الله تعالى
امين وفي عشي يوم الاثنين الرابع من المحرم فاتح اربع وستين ومائتين
والف مات الوزير الاعظم الفقيه الاجل الاكرم امام عملة اليراع
ومقدم حملة ذلك الشراع معلي الدولة بقلائد النثار والنظام في
المواقف العظام والمزري ببدائعه واوابده وروائعه ببديع
الزمان والفتح ابن خاقان ابو عبد الله سيدي محمد بن ادريس جدد
الله عليه ملابس الرضى كلما لاح نجم واضا **فولي** مكانه الفقيه
النجيب ذو الاخلاق العاطرة والانامل الواكفة الماطرة ذو الراي الاصيل
والامر المحبوك والباهر القالب الذي يحاكي الذهب المسبوك ابو عبد
الله السيد العربي بن المختار الجامعي ثم لما قدم مولانا المؤيد
لحضرة مراكش اخر قدمة قدمها عام خمسة وسبعين ومائتين
والف عزله وولى مكانه الفقيه الكاتب الحيسوب النزيه السيد محمد
الصفار التطاوني وفيما قبل هذا العصر وقعت فتنة ابراهيم
ولد يسمور الدكيبي وهو رجل مكار خداع من قبيلة ايت ازدي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وقبائل الصحراء وكان يتظاهر بمحبة أهل الخير والأشراف ويبالغ في
ذلك وكان يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويفهم
بذلك نصيحة السلطان حتى اشتهر بذلك وكثر الثناء عليه وقبائل
الصحراء عاينت الى الفتن لأن آيت عطا واتباعهم ولأن
آيت يفلمان والغلبة في الكثير لآيت عطا ولما ظهر ابراهيم
هذا ظهرت له بعض الغلبة على آيت عطا الذين بتعلالت وكان
ذلك امرا غريبا فان الملوك البتة حتى ان مولانا المؤيد ولاه على
تعلالت وقبائلها الصحراوية وكان هذا الظالم مبسوط اليد
بالعطاء لا يبقي شيئا فاستهوى بذلك أكثر الناس وخصوصا البلد
من الشرفاء لانه كما تفوق بالغ في اظهار محبتهم والاحسان اليهم
اكثر من غيرهم فاشرأبت لذلك الآمال وشمخ فؤاده فحدثت فيه نخوة
الرياسة العظمى ونصبت راياته على كل من خالفه فيغير على
هؤلاء ويعطي هؤلاء وكان يحدث نفسه وخاصته سرا انه سيملك المغرب
وهو يرى انه انما هو في طاعة السلطان فلما تحقق عند مولانا
المؤيد مكره وخداعه وايقن بما يبطنه من الفساد جعل يكتب له بالأمور
التي يعلم انه لا يرضاها لينظر هل يمتثل امره ام لا فكان يخالفه في ذلك
وكلما امره بأمر لا يخالف غرضه نبذه وراء ظهره ويقول للناس انظروا

هذا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

هذا الجمود وعلى يد من يعمل هذا غافلا ثم صار ينفذ أمور مولانا
المؤيد ويصرح بذلك فلما تفطن له الكذاب ابن علي الله تعالى فطرده
بالدم من كل ناحية حتى اجتمع عنده من الشياطين عدد كثير يعبدونه
ويمونه ومن ينوب له المخالفة فكتبوا أقطار المغرب صيته وجعل
أمره يزداد كل يوم شيئا وظهورا وقالت قبائل البربر
كلها إليه اتباعا للفساد الذي جبلوا عليه واهتم مولانا المؤيد
بشأنه كثيرا فبينما هو كذلك إذ قيض الله له من قتله من
إخوانه وأقرب الناس إليه فكفى الله تعالى مولانا المؤيد أمرهم
ورد كيدهم في نحرهم وأخذهم من حيث أمن وافتضح بفعله افتراء
المفتري واغترار المغترين والحمد لله رب العالمين

ثم وجه مولانا المؤيد أولاده لبيت الله الحرام
وزيارة جدهم عليه الصلاة والسلام وهم مولاي علي ومولاي
إبراهيم ومولاي عبد الله ومولاي جعفر وولد عمهم مولاي
بوبكر بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله وبالغ مولانا المؤيد في حسن
تجهيزهم بما لم يتفق مثله لإخوتهم الذين حجوا قبلهم لا من
الأموال ولا من الرجال والأزواد والمراكب الفارهة والمراجل
الغريبة ووجه معهم من الأموال كثيرا للأشراف الحرميين

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وللخواص العينيين من الايمة والفقهاء والمجاورين ووجه
اكابر التجار الامناء الخارجين بقوافل البلاد والاقاليم والامم
مثل الحاج محمد الزبيدي التطاوني والسيد محمد البهودي التلمساني
ووجه معهم قائد مكناس الفقيه العلامة السيد المهدي بن الطالب
ابن سودة العباسي المري مع جملة من الطلبة الذين يقرؤون عليهم فركبوا
من مرسى طنجة وكل جنس من النصارى يرغب ان يكون ركوبهم عنده
في قرصانه وقد هيؤوا القراصين العجيبة فكان ركوبهم في قرصان
النجليز ولما بلغوا الى الاسكندرية تلقاهم سلطان مصر
بغاية الفرح والسرور وهو ما يوصف من الاكرام والبرور
وانزلهم في اعز مساكنه واجملها وابهجها واسناها واعد
فيها كل ما يحتاج اليه من اواني الفضة والذهب وفرش الحرير
والديباج والنفائس الغريبة ورتب لهم الرواتب العالية من
انواع الاطعمة والاشربة الفاخرة الملوكية التي تناسب افرادهم
واباح لهم الدخول الى كل محل ارادوا رؤيته من الابنية والمصانع
والرياض والبساتين الملوكية التي يتعجب من رؤيتها وتنقل
اخبارها فشاهدوا من ذلك ما لا يكشف حقيقته اللسان
وما لا يقدر ان تناله قدرة الانسان ثم ركبوا في بحر القلزوم

62

الى جدة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

32

الحج فقضوا مناسكهم وشفوا غلتهم من مباشرة شعائر الشريعة
المطهرة والطواف والسعي والوقوف وزيارة المشاهد المباركة
وتوجهوا الى اعظم المشاهد واسناها التي هي لنفوس المومنين
غاية مناها زيارة شفيع الامم في الموقف الاعظم وكانوا
صادفوا بمكة وخما وفساد هواء مات منه كثير من الحجاج الافاقيين
ومات من اعيانهم جملة ومات احد الشرفاء اولاد الشلكان بمكة
ومات آخر منهم يوم دخول المدينة المشرفة وسلم الله الباقين
واكرمهم بحلول مقامه وعظمه وجمع لهم بين شرف الحياة
وثواب احتساب مصيبة لمن مات ولما فازوا بزيارة سيد الارضين
والسماوات واوقفتهم السعادة في ذلك المقام الذي تتضاءل
دونه جميع المقامات وادركوا ما املوه من نيل تراب اشرف
البقاع واكرم الحجر وانعم عليهم من كرم الله ما انعم ونال كل واحد
ما كان يومله ويرجوه خرجوا من المدينة راجعين بكل خير
وغسلوا بالدموع ما كانوا عمروه في تلك الاماكن من الوجوه
ولاقى ناسهم مشقة فادحة من عنت الاعراب في المسافة التي
بين المدينة والينبوع لانهم انحدوا الى بعض الرجوع لولا
لطف الله لاستوصلوا عن آخرهم وهلكوا حتف انوفهم

63

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ومناخهم • ولقد كانت فيما تهم من تلك الشؤون من اعجب العجاب

وفي خلوصهم منها عبرة لاولي الالباب • فانهم كم بعث بغمراته

واقباله • وانقطاع انقباسه واضباره • والجولة التي

لا تخبره همته • ولا تتعهده همته • فلما بلغوا الينبوع وجدوا

المراكب التي تحملهم في انتظارهم • فركبوا فاعلين وريح

السلامة تسوقهم • وارباح التجارة والسعادة تكفل بهما

سوقهم • فلما وردوا حضرتهم الكبرى تحت ظلال السلامة •

وقد نشر عليهم القبول بنوده واعلامه • باتوا بقصبة

تانسيفت وفي الغد ركبت الخيول السلطانية والعساكر

وخرج اهلها اكثر في زينتهم وكان يوم لقائهم يوما مشهودا

وموسما من المواسم المعظمة معدودا وكان ابو الحسن

مولانا علي بن مولانا امير المومنين وكنزه الذي ادخره السعيد وياقوت

غرته ومناه رضى امير المومنين وموقع نظرته فوجهت له

في ذلك اليوم هذه القصيدة تهنئة بكمال حجته وسلامة

رجعته • وهي هذه •

• نفضت عن عينها الحجبة السترا • وابدت على خوط الاراك لنا بدرا

• وطلعت نجم الديار من نشوة الصبا • كما ريع ظبي عندما استشعر الذعرا

64

وباحت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وباحت بأسرار الغرام تشكيا • وتلك مناجي الحب ان تكتم السترا
ومن عظمت في هواه دموعه • فان صفة الصبر من امره عسرا
واضحت الاشواق بين ضلوعه • ضراما فلم يستطع خلاصا ولا صبرا
تسابق في جريها عبراته • همولا ذا بين السيل وصير الصحرا
فليس يرى بعده للاسى • وقد عاد منه الهم بالورى جهرا
فذاك الذي لا يختشي لوم لائم • وذاك الذي في الحب قد بلغ العذرا
يهيم به مستغرق بالعذار بها • فلا يرتجي وصلا ولا يشتكي هجرا
فتاة زهاها حسنها وجمالها • فلم ترض سولا للبراقع والخمرا
تميس كغصن البان ريح الصبا • تغازل سكرا وما شربت خمرا
وما هو الا انا هام بيسم • يقول الحق في الحب بنيلك عسرا
منيا مبتهج فرحا كل العلا • واصبحت الآمال يانعة خضرا
فمن كان في جوار تواصي المنا • فقد زال عن ضيق وحفت له البشرا

وقد عاد مولانا ابو الحسن المريني

يقول انا سعد الشفعو ولا فخرا

سليل امير المومنين وشبله • وصارمه الحاوي العتيقة البكرا
على الذي قد شرفت ثم غربت • علاه فلم تترك حجازا ولا مصرا
مشائر في الاقطار حدثيها • كمثل نسيم الروض اذ لثم الزهرا

في الشعد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ومن كعلي في المكارم والندا • إذا ما الغمام الجون قد منع القطرا •
فتى ذخرت منه الليالي وضيغم • سيوف سعيها حين إذا صادفه كسرا •
ومن كعلي في مطاوعة العلا • إذا اقتادها جودا محجلة غرا •
له همم أعلى من النجم قدرها • فما قيصر قرنا لمن ولا كسرا •
وقد قاده من أرض الحجاز مصطفى • بأفضل شغل منه قد ربح المتجرا •
وجاز بحج واعتمار وزورة • لخير الورى أعظم بما ناله قدرا •
تسنم أثباج البحار إجابة • لداعي الهدى مستسهلا مركبا وعرا •
ولما استقل البحر منه بمثله • عجبنا للبحر حاملا فوقه بحرا •
وهبت له بالبر من كل جانب • رياح من الإقبال دائبة المسرا •
إلى أن أحلته السعادة مقعدا • علية في مثوى الفخر مرتفع الأشرا •
وطافت به أهل العلى وزمزم • وقبل ما بين الركن واستلم الحجرا •
وشاهد من ما أتيح المواقف كلها • ونال من الخيرات مرتبة كبرى •
وقال له الإسعاد هذا أنت والمنى • ودونك ما الدنيا تحسبه والأخرى •
ومن بعد ما حاز الرغائب كلها • وودع بيت الله واستكمل الأمرا •
دعاه اشتياق المشتري بطيبة • فسار نحو الحبر المهيمن القبرا •
تلوح له الأنوار من نحو يثرب • ونفح النسيم الرطب من أرضها العطرا •
مبرة لو أن الريح كانت تقله • على متنها ما كان قد صاحب الفكرا •

66

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

منازل آل الأكوار والعيس تمتطي ٭ بمود دواعي الشوق موقدة جمرا
بلما تبدت للحبيب ديارها ٭ جرى الدمع واهتاجت لصبابته الحرا
وخرت جبين العاشقين على الثرى ٭ سجودا لمولاها الى واجب الشكرا
منازل تعنو الملوك بنزلها ٭ ويبتهج فيها الكبر من العلى الكبرا
هنالك حيث الدين لاحت شموسه ٭ وحيث بدا الانوار واتضح الكبرا
منازل حن الجذع فيها لاحمد ٭ وزارته الاعراب اذ مكثت مكرا
منازل كان الوحي فيها منزلا ٭ وكانت لها الاملاك زائرة تترا
مواطن كانت تحت امر محمد ٭ بدا وطئ المختار في العشر اذ اسرى
الم تك اهلا ان تراسي باوجهه ٭ وتحجابه الاجفان تبتهما العبرا
تراب يحمير المسك نفحا ريحه ٭ ومن حصا يماثل اليواقيت والتبرا
فلو يعرف الحمد الثرى وصحة ٭ بنى غاصة كانت تنضمنها تبترا
امولى الموالي يا علي بلغت ما ٭ رجوت من العيز الذي جاوز الشعرا
دخلت على باب السلام مسلما ٭ على سيد الأكوان خير الورى طرا
كذا على الشيخين سلمت بعدك ٭ فجئت رسول الله في الروضة الغرا
وصليت بين القبر والمنبر الذي ٭ لديه يحط الوزر ان ثقل الظهرا
شعبت نفليا واقتفيت مآربا ٭ حبا بك الله كي لا تبلغ وده نشرا
وجاء لأمر الله والفتح مارتقبا ٭ لمقوى نصر الله تاريخا النسرا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

واعطينا كرام مواهب ربنا . فاعظم به كنزا واكرم به مفخرا .
والبسك المولى الكريم ملابسا . من العز لا تبلى وكان بها حرا .
بعز امير المومنين وسعده . واياته التي عن مثلها الخبرا .
فنسال ربا ان يتم ظلاله . ونسال ربا ان يطيل له العمرا .

وفي هذا العام كتب السلطان وهو بمكناس لولده
وخليفته مولانا المظفر سيدي محمد وهو بمراكش يامره ان يقبض احد
عمال الرحامنة القايد علال بن عبد الله فقبضه واستخلص منه
اموالا كثيرة ثم بعثه في قبة من حضره ووجهه عاملا على قطر
الشاوية لا فقها وكان في قبضه مصلحة لقبيلته وايالته لانه
كان قابضا زمام القوم منهم والشياظمة فلما
قبض انفسح لهم المجال ولكن في قبضه مصلحة عظيمة على ارجح
مما ذكرنا وهو انه كما ذكر بعضهم كانت منافرة بينه وبين
عامل الحضرة المراكشية ابي العباس السيد احمد بن عمر بوستة
فلما قبض علال بن عبد الله وقيد غيره اظهر ذلك العامل
الموافقة والمحبة والمساعدة في غالب الامور وانحسمت العداوة
المفضية الى الاضرار والقتال فيما بينهم واستقامت الاحوال
وجرت المصالح مع اهالي المتجاورين وهذه المنافرة

68

الذي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

التي تحطا بين عمال الرحامنة وعامل الحضرة سببها ان الرحامنة
دامت لهم الولاية على المدينة في بعض الازمان الماضية فلم يكن
عندهم احد من عامل المدينة وصار كل من ولي على الرحامنة لا تكمل
لذة ولايته حتى نفسه الا بالولاية على المدينة وولايتهم على المدينة
من الطامة الكبرى وما نطمح عندنا مولانا الشاهان المؤيد الاه
بتوحيد الله وسعادة الجدود كان علال بن عبد الله لما علا امره
في الولاية وتمنى فلان في سبيلها فوق طمعه في ولاية المدينة كما ذلك
عادتهم كما اشرنا اليه وكان عامل المدينة ابو العباس احمد بن عمر
لولا سعة اخلاقه ووفور عقله ودهائه وتحمله لاذى الرحامنة
لكفهم منهم الفساد الكبير والعتو الخارج الى غاية الطغيان
الذي ادى الى مجاز الغاية السيء احمد بن علال بن عبد الله
حتى انتقم الله منه وعزله مولانا وكفى الله شره ولما
توجه مولانا المؤيد للغرب في هذه المرة الاخيرة استعد
غاية الاستعداد بالجنود والعساكر المنصورة ثم مر
بطريقه على فخذة زمور بني حكم ومن انضاف اليهم فانتهب
ارضهم وديارهم وخرب مساكنهم واستباح زروعهم
المخزونة والمحروثة وفرنا هذه الحصاد فلم يبق لهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

من الافواه اخضروا يابسها واماروا صمّها وبعثوا بها الى قنن
الجبال الرواسي وهاكذا كانت عادتهم معه في كل مرة
كلما جاء كانوا يفعلون امامه الى في الوقعة الهايلة التي
اوقعها بهم في صدر ولايته فانهم لما ثبتوا انهم يقدرون على
مقابلته فاستعدوا غاية الاستعداد بكثرة الخيل
والرماة واستعانوا بكل من جاورهم من اهل الفساد
من الاعراب والبربر فوقفوا وقاتلوا قتالا شديدا فكانت
جولة بعد جولة ثم انهزموا اقبح انهزام وقتل منهم
ما لا يحصى وقطعت رؤوسهم وجعلت للاسوار
البلاد وعلقت بها وقبض منهم عدد كثير من الاسارى وغمرت
بهم السجون حتى هلكوا فيها ثم بعد ذلك ما قابلوه قط
ولا وقفوا امامه مع انهم اولوا قوة واولوا باس شديد
فلما دوخهم في هذه المرة وسلبهم كل ما يتنعمون به
ذهب لحضرة مكناس ولم يطل المقام بها فذهب لفاس
فاقام بها ما يقرب من سنة ثم رجع لمكناس فاستعد ايضا
لغزو زمور فخرج اليهم وزحف اليهم بالجنود المجندة
وفعل بهم مثل ما كان يفعل كل مرة وكذلك هم فعلوا مثل

فعل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

معلمهم المعهود من العلماء بالله نفعنا بهم في الأقوال والأفعال ورجع
لمكناس فقال بعض الكتاب من خاصة الرابطة المولوية الذين
حضروا معه إنه في بلاد ازمور في هذه الحركة ابتدأته علته
التي لازمته حتى اشتغل لحضرته الزلفى والكرامة في دار الآخرة فلما رجع
لمكناس أطال المقام فيه على خلاف عادته فإنه كان لا يدخلها
إلا عابر سبيل، مستوفز للرحيل، حتى قيل إنه إنما كان
يتجنبها لأنه كان مخبرا أنه يموت بها والله أعلم وكان في إقامته
بمكناس هذه المرة مواعد كل مسرة، ومواسم أنواع الخيرات
والأفراح ومحافل الانبساط والانشراح، فأقبلت لحضرته
جميع المسرات، وتباعدت عنه جميع المناحس والمضرات،
كأن الدنيا أقبلت في زينتها توادعه، وتنبع عنه كل ما
ينازعه ويخادعه، فأقام الأعياد الثلاثة كما تقام الأعراس
محفوفا بجميع أعيان الأمم ووجوه الناس، ولا سيما العيد
الأنور النبوي، كما هو عادة هذا الملك الشامخ العلوي،
لأن مولانا السلطان المؤيد كان يزيد فيه على غيره من
أسلافه الكرام، بغاية الاحتفال وكانت له فيه عادة لم
يدركها أحد من موالينا أسلافه الملوك العظام، الأماجد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الكرام • وصوانه في مبيت المولد الشريف اذا فرغ المزاح • من
انشاد الامداح النبوية • والقصائد المصطفوية • يختم
ذلك المجلس بانشاد قصيدة مبتكرة مصدرة بمدح سيد الوجود •
وهو في الحقيقة غير المقصود • ثم يتشفع به ويتجاهه عند الله
تعالى لحضرة امير المومنين والدعاء له بكل خير والسلامة من كل ضير •
مع ذكر محاسنه وآلائه • وتواتر نعم الله تعالى على كريم حضرته •
ويكون سماع ذلك في ذلك الزمان وذلك المحل من الابهة
المعظمة • والجلالة المفخمة • وكان مولانا المؤيد اخذ ذلك من
اخبار اعاظم السلاطين في غير هذه الدولة كدولة السعديين
خصوصا المنصور الذهبي فان له في ذلك شانا معروفا •
ومقاما بفخامة القدر موصوفا • وكدولة بني امرين خصوصا
ابا الحسن وولده ابا عنان • فقد جعلا ذلك شريعة من جملة الاعتراف
والاستنان • وكدولة بني زيان ملوك تلمسان خصوصا
واسطة عقدهم ابا حمو فله في ذلك ما هو الاعتياد ولا يمكن
عليه الازدياد • واما بنو مروان بالاندلس فلا يشك في ذلك
عمن طالع تاريخهم وعجائبهم واخبارهم واسمارهم فاقتفى
مولانا المؤيد آثارهم في زيادة التشريف لما شرع الله

ونعظم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وتعظيم حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تكون تلك
القصيدة إلا من انشاء وزيره رئيس الكتاب واطوع خدمة
اشرف الاعتاب ابي عبد الله سيدي محمد بن ادريس بن محمد بن
ادريس بن محمد بن ادريس هذا الذي اختتم رحمه الله
تكررها في الثلاثة في نسبته وربما حصل له عذر يمنعه
وانشاد تلك القصيدة المعتادة في تلك الليلة فاستنابنا
في انشادها على لسانه كما ننبه على ذلك بحول الله وقوته
فمما انشد في بعض الاعياد ❊ هـ

اعد الحديث على الحمى وظبائه ❊ فالسمع مشتاق الى انبائه
وصل الحديث عن اللوى وعقيقه ❊ والنازلين الجزع من جرعائه
فهناك معترك النواظر والنهى ❊ ومجال فرسان الهوى وكمائه
كم من صريع هوى بافنية الحمى ❊ فتكت عيون العين في احشائه
ومتيم لعب الغرام بقلبه ❊ لما شفاه الوجد من حبائه
واسير وجد في اسار جماله ❊ فادته وسنة العيون لدائه
ان القتيل من الغرام وداؤه ❊ مثل الشهيد مضرجا بدمائه
بالله ان وافيت منزلة اللوى ❊ ومررت ما بين العذيب ومائه
وبلغت اسراب الظباء روائعا ❊ حول الحمى فيرحن في ارجائه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ما حفظ فؤاد كم من خبايا تلك الخبا • ولكم من صبير في احشائه •

وإذا ابو اسلع وقع في نحوه • وتنعّموا الارواح من تلقائه •

وإذا مررت بجبر فوق منى حيّهم • وصل السلام على الحمى وقبابه •

واخلع نعالك في مقدس واديهم • واخفض جناحك خاشعا بفنائه •

فهنالك كانت طيبة من طيب • كل الوجوه بطيب طيب ثنائه •

وهنالك روضة خير من ركب المطي • واجل من لاذ الورى بعلائه •

• وهناك قبر المصطفى من فضله •

• عمّ الوجود بجوده وعطائه •

وهنالك من أسرى الاله بذاته • ليلا فنال الفوز في اسرائه •

وحباه فيها آية هي خصه • بحضوره الحجب في ايحائه •

وارى المرء آياته ومعاجزه • ما كلت العقلاء عن احصائه •

وكساه من اجلاله وجلاله • ما حارت الافكار في انحائه •

أوليس آدم [illegible] • باسمه • بعد الخطيئة فاهتدى لدوائه •

وعن يكون وما تكون بعدهم • من في احتباء تحت ظل لوائه •

أوليس كل الرسل من نوابه • وجميعهم هادون بنور ضيائه •

فرشتم أتباعهم بظهوره • وتواتروا امرا على علمائه •

أخذ العهود عليهم أن يؤمنوا • ان ادركوه وينصروا لدعائه •

يا من

74

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يا أمة المختار صولوا رفعة • واستبشروا واطوا بنيل لوائه
ولتشكروا الافراح في ليلة • بدا النهار لها سنا لالائه
فرعا فت الغرر الصبيحة منصبا • وسما الزمان بها على اندائه
كم آية شعت القلوب بنعتها • رفعت بها الاخبار عن شعلائه
فدنت الى الارض النجوم محبة • وبدت قصور الشام من بطحائه
وبدا الرجوم من النجوم لهم دمى • راع استراق السمع من اغوائه
خمدت به نيران فارس واغتدى • ايوان كسرى الكسر من اعلائه
غارت بحيرة ساوة واساءهم • ما قد رآه النوم من اسوائه
وله من الآيات ما عجز الورى • في وصف بعض البعض من اجزائه
والوحي اعظم آية قد نالها • واجل معجزة على استعلائه
اسراره لا تنقضي وعلومه • لا تنتهي ابدا على استقرائه
كم معجزات قد تواتر ذكرها • دلت على تعريفه وسنائه
كالظبي في تكليمه والضب في • تسليمه والجذع عند بكائه
والماء في تفجيره والزاد في • تكثيره والنخل عند علائه
والصخر في تسليمه والحجر في • تعظيمه والجمل في استعدائه
والشمس ردت بعدما غربت له • والبدر شق له بلامع سمائه
وكذا الحصى قد سبحت في كفه • ورمى بها ما جاء اهل نوائه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فهو البزاغ له وافقه مغلنا * رسمه وابلاه خاصبه ذا ابه

ازرى على الاخطاء باسم فضله * وسمى عن الادراك كنه علابه

من ذا يروم مديحه والاهنا * اسماه فرشو من اسمابه

هل بعد مدح الوحي مدحة مادح * فاقرأ اتلو ثناه في اثنابه

علقت امالي بجاه محمد
وقصرتها فصار املي عليابه

ورجوت من رب المعالي جاهه * والجاه لا يخيب عند رجابه

وعلقت من ال النبي بذمة * تدني الفقير الى كريم جنابه

من كعمر المولى وخير المصطفى * شرفا وجللهم كريم كسابه

وخدمت واسطة الايمة منهم * نجل النبي المهتدي بقبابه

مولى الخلافة عابد الرحمان من * رضي الالاه الخلق عند ولابه

احيا به الدين الحنيف وزانه * بسنابه وحيابه ووهابه

واعاد ارض الغرب روضا ناضرا * بخبابه وسحابه ورحابه

ونفى عن الاسلام كل ضلالة * واضاء نور العلم في ارجابه

واشاد مغنى الملك فاستعلى به * وقضى حقوق الله في اعرابه

واعاد في جسم الخلافة روحها * وشبابها ولقاها نور بهابه

وحاز مجموع المكارم مفردا * وروى حديث الجود عن ابابه

الحلم

76

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الحلم من اوقاته والعلم في • الآفاق والفهم عند ذكائه

والعزم من احكامه والعفو من • انعامه والفضل من نعمائه

والنصر من احزابه والفتح من • اصحابه والمجد من اسمائه

والحسن من قسماته والأمن من • حسناته واليمن من وزرائه

والجود من آرائه والمجد من • اثوابه والشعر تحت لوائه

والفهم من نفحاته والزهد من • اصفاته والفخر تحت ردائه

والسيف من عزماته والغيث من • سطواته والغيم من نظرائه

والجود من افعاله والصدق في • اقواله والحزم من عزمائه

والشرع في كلماته والبر في • جنباته والاجر في استرضائه

جاد الثواقب والمناقب والعلا • وزرا بطيب المسك نشر ثنائه

فزهى على الأعصار عن وجوده • وتنافس الأملاك في استصفائه

غمرتني انعمه التي قد اعجزت • شكرا فقمت لها ببعض ادائه

وأتيت من حر الكلام بمدحة • خلع الجمال عليه حسن روائه

وجلوت عذراء المدائح غادة • وشي حلاها العبقري انشائه

اهدى البيان لها عقود جواهر • نظمت على نمط الهوى وهوائه

واتى بكاملها البديع لكامل • جعل الكمال سما على اكفائه

والله اسأل بالشفيع محمد • ان يتبعنا بطول بقائه

مس 7

77

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ويديم نصرته ويثبت عزه، وعلاه ويثبتنا بمرضاته،
صلى عليه الله ما حيا الحيا، وترنم الحادي بحسن غنائه،
وعلى الأماجد آله وصحابه، والتابعين الحوم حول جنابه،

وهكذا كانت سنة مولانا المؤيد بختم أفراح
الليلة المباركة بمثل هذا الفصيح العربي من إنشاء وزيره
الأعظم المذكور ولم يتخلف قط إلا في المدة التي عزل فيها
وقام غيره مقامه ممن طرح مواضع الأدب، ونسلت إليه
الجفاة من كل حدب، وخلا الدست السلطاني مع
وجوده وندبه، فلما عاد الوزير الأعظم إلى نصابه، واسترجع
حقه من غصابه، عادت الدولة الشريفة إلى شبابها،
وتمسكت بمتين أسبابها، وجرت سنة التعظيم والتشريف
على مجاريها، ونالت من المحامد كبارها وصغارها، ولم يزل فيها
نجم كوكب الأعز الأسنى، ملازما العادة الحسنى، إلى أن
توفاه الله تعالى عام أربعة وستين ومائتين وألف فأضحى
الدست العالي من تلك الحلية عاطلا، وغريم الزمان
بقضاء تلك الديون مماطلا، وكان رحمه الله سنة إحدى
وخمسين ومائتين وألف بعد انتقاله من الحضرة العباسية

1264
تاريخ وفاة الوزير السيد محمد ادريس رحمه الله

الى

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الى الحضرة المراكشية لما انغلقت اعماله السلطانية واشغاله
وازداد سعيه في عمارتها وابتغائه كتب الي ما نصه الاخ الشفيق
الاود الحفيظ فلان بن فلان حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فهذا شهر المولد الشريف قد اظلنا وقد علمت ان من
عادة التطفيل على حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصيدة الموجهة
التي تختم بها الامداح في صبيحة المولد الشريف بعد ذي الليلة المباركة
وبعد اوانها عليه السلام ثم التخلص الى مدح امير المومنين
والدعاء له بكل خير وقد اختصرت فكري في هذا الشهر فوجدت به كلالا
عن ذلك وعجزا للتوالي الى شغل المواودية واشتغل والنهار كله
في حوائج المسلمين واردت من فضلك ان تنوب عني بانشاء
قصيدة على ذلك النمط نغتنم جميعا اجرها ونحتسب انا وانت ذخرها
عند الله تعالى وان تتفضل اخي بكفاية ذلك في كل سنة يكون جميع
مولانا نصره الله معبرا به هذه الحضرة فان شانك التفضل بالخير
والاعانة عليه ولا نحتاج الى اعادة الطلب والله يبقيك امام
هذه العصابة سباقا الى غاية الاجادة والاصابة . وعلى
المحبة والسلام * فجاوبته بقصيدتي العام المذكور هذه اللامية
. عهدي لكم صرح الشحناء موصول . يا ناسي العهد ان العهد مسئول .

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

انسيم فاتر من ثغور ربعكم • وحظ ذيلي بوبل الدمع مبلول •
فيلهب الشوق أحشائي وفرقته • مني وللشوق ترويع وتهويل •
يا ليت شعري والأيام شيمتها • تمنع وضمير الغيب مجهول •
هل من وفاء بوعد من أحبتنا • والوعد عند حسان الرأي مقبول •
أوهل ترى مقلتي دارا عهدت بها • ظبيا بلا حجها اسم بقاليل •
سقيت من حبهم قدما على ظمأ • محبتهم في صميم الروح مجبول •
يا حبذا في هواهم ما غرقت به • كأنني طامح بالراح معلول •
لا أجتلي أحد اللاه تمثل لي • في وجه من أحببت تماثيل •
وإذا قد سرى في الكون سرهم • أو ليس إن الهوى زور وتخييل •
فقوا الذين عجن في شطر كعبتهم • أهل الخضوع لهم ذكر وتهليل •
لقد سقى سريان الروح في جسدي • غرامهم فأنا مذ ذاك متبول •
يا للهوان وهل الحب معذرة • وفي الصبابة لي عذر وتأصيل •
فكيف أصغي إلى اللاحين إذ عذلوا • فما ذا المبتلى بالحب معذول •
مهلا على كبد يمتاج لوعتها • إذ أدنى في ربيع النور تجليل •
شهر تشرف بالأسلاف حولة • بين المواسم تعظيم وتجليل •
شهر تعاظم مجدا بمائلة • غير ولا زمن بالفضل مشمول •
شهر غدا غرة في كل مكرمة • وأي من غرة في الفجر تحجيل •

بجم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فيه تكون كون العظم وانفتحت • ابوابه وانثنى العز والشول •
فيه تعم كل الخير منبجسا • على الخلائق وكرام هو منزول •
فيه البشائر فراحت اشعتها • فيه تعين للخيرات تسهيل •
وزخرفت لعباد الله جنته • واستبشر الملا الاعلى وجبريل •
في ليلة المولد الاسمى وبعثته • يا امة سعدت بالمصطفى قولوا •
قولوا بنيهم على الاكوان وافتخروا • فقولكم لطغاة العدو مقبول •
اما نبي له خير المرسلين ومن • له على الكون تبشير وتنويل •
نبوة الصفوة العليا الرسل الى • كل الوجود وما لحق تبديل •
سر العوالم والارواح عنصرها • قد ذكره في قديم الذكر منقول •
الواح موسى بن عمران مبشرة • ببعثه وبه في الكتب انجيل •
يا من برا روحه للخلق مبتدئا • وجسمه لمناه الوحي تكميل •
يا دعوة الحق يا مجلى المحامد يا • من نطقه كله وحي وتنزيل •
لك اللواء لواء الحمد يشملنا • من كل عثر هول الحشر تظليل •
لك الشفاعة والحوض المعد لنا • لك الجنان جنان الخلد تنفيل •
لك المقام الذي قد عز مدركه • برؤية ما لها في القدر تاويل •
ان لم يطق حملها موسى الكليم فقد • عاينت ربك والتقريب مسئول •
لك الوسيلة والجاه العظيم اذا • ما انت فوق نطاق العرش محمول •

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يا من يخلص من اغمى لمرحمته • على الجناة كم منه تفضيل •
بما من مراح راح اربكون له • من الرسول باذن الله تخويل •
صلى عليك مفيض الجود منه على • كل الخلايق والتعميم تسجيل •
والآل والصحب ما زمت على مرح • الى زيارتك العيس المراسيل •
يا خاتم الخلق يا ماحي الضلال ويا • من مرصده في الاحمار توسيل •
كم آية لك لا تحصى ومعجزة • باب المحال وامنوا الحصر مقفول •
ومن توهم ان يحصي لغايتها • فزائد القول والاوهام تسويل •
اركان جود كل الدنيا وضرتها • بالفوز كل الكمت والاكثار تقليل •
يا واضع الاصر عنا في شريعته • مثقلا ومن قبلنا بالاصر مغلول •
فشرعتنا بحنيف كله سهل • ميسر واضح الاحكام معقول •
جميع الخبائث بالاسعى محرمة • وللاطايب ذات الحسن تحليل •
تركتنا وسبل الحق واضحة • اعلامها وعمى الريب مغفول •
بآل بيتك والذكر الحكيم لنا • كل اعتصام اذا ما اغتالت الغول •

• من اصعر دي سلطان الملوك ابو •
• زيان امام بنصر الحق مشغول •

سبط الخلايف بانه العز جمعهم • عال على مجده للناس تعويل •
فرع تبارك العليا سعادته • لما غدا واليه الامر موكول •

82

مازال

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

مازال مجتهدا في الله مشتغلا • بالله والسيف في يمناه مسلول
حتى استنارت نجوم للهدى وعلت • والجهلة تغوير وتعريل
فهو المؤمل للنعماء يحمدها • من جبر ماعز للتجريد تأهيل
وهو الذي سنة المختار قد حييت • به وفر عنها دنس وتعطيل
وهو المويد بالاسعاد همته • لبغية العز تيسير وتسهيل
بعطفه روضة غناء دانية • قطوفها وجناها كعبه محصول
وبأسه في ديار الكفر صاعقة • فيها الجرد والاهواء تنكيل
ياخزي من عاد عن منهاج طاعته • ويله انه والله منكول
ان سار يوما الى الهيجاء تتبعه • اجناد جرد ابابيل اسابيل
من كان روع في افرامه بصر • وسيفه من فراغ العلم معلول
يحميها كعرين الليث عابسة • وماله غير وجه الله مأمول
يغني به النصر لا يبغى بدلا منه • كأنه علة والنصر معلول
وعز من نافذ لاشي يحجبه • فكلما يبتغي في الخير مفعول
وتلك سنة رب في خلائقه • وما لسنته في الناس تحويل
وللسعادة اشبال مفرزة • في نابه العلم لا كسب وتحصيل
من اسرة زينت الاقطار ملكهم • كأن ملكهم تاج واكليل
تملكوا ما انت تكان من دولتهم • ظلالها العز والاحسان عنكول

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بنو علي أدام الله عزهم * فهم لهم فينا عز وتفضيل

وابن الإمام هشام نال بعزهم ما فاتهم ولأخرى البيت ترفيل

أتته واسطة بالقوم حين غزا * للعفو واسطة وهن أكاليل

يا أيها الملك الأسعد المحيط به * من الجلالة إجمال وتفصيل

بقيت للمولد المبرور تشهره * وعز مجدك منك مكفول

وفي عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف رفعت إليه هذه الذالية

أرائح أنت نحو الحي أو غاد * بالله فاستنشق الأظعان أو عاد

وادي أهل النقا عهد الغدير به * وصل أهل النقا حيث يا حادي

وسل مناخ المطايا عن كاظمة * هل من معاد بها يوما لميعاد

واستنجد الدمنة الخضراء من أمم * عمرت بها أيام أسعاد

إن كان منتزهي وادي العقيق بها * دمعي من البين يحكي ذلك الوادي

لم أنس عن الغور إن لاحت بوارقه * أنوح نوح حمام فوق مياد

أهفو إليه وأشواقي تقربني * منه ويبعد مني كل إسعاد

وكم أحن إلى نجد فيمنعني * جفن سفوح فريح أي إنجاد

وأهل نجد وما حلوا بأجرعه * ومرتع الظباء بين آساد

من أربع كلما هاجت نواسمها * هاجت على القلب أشجانا وأنكاد

ذا الأصيرم سالك أباهم * والمطايا باعنا وأجياد

84

ونى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ونحن نسعى احادنا ونحمدها • من الصبابة لا اسواء ابتراد

لا والبيداء التي كان الحجيج بها • مجدين بلا اهل والحاد

ذات الجلال بالبريباح تامر بي • ساطاعته الطير من انس واصياد

ذات التي رفعت كف الخليل له • فواعدا عندها رجل لو ميلاد

لا والتي وجه الله العباد الى • شطرها ما بين ركاع وسجاد

ذات المقطم البطحاء يغشاه • كل الانام بازواج وافراد

مالي وقد بمارت الكبار مقتدرا • والحال موسعة من مهلة الزاد

الا للذنب تعويقا لكاسبه • عن الورود اذا ما استحكم القاد

سار الموهمو والراغبي تسوق به • والحظ يقتاد منه خير مقتاد

واثقلتني اجرامي وحجتي حجي • واقعدتني ذنوب شئها اقعاد

وليس لي حيلة ارجو المفاز بها • الا من بحب البشير الشافع الهادي

خير البرية روح الكون عنصره • من نوره كل تكوين وايجاد

محمد حجة الجبار علة ما • في الكون من رحمة تبدو وامداد

لا شيء من هذه الدنيا ومن فيها • الا منوطا باحمد وحماد

من اجله دارت الافلاك وابتهجت • صور الجنان ابتهاجا غير معتاد

لولاه ما بعث الرسل الكرام ولا • تنزل الوحي تنزيلا لارشاد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لولاه ما امسك الله السماء ولا • ارسى بحكمته ارضا باوتاد •

لولاه ما اخذت ارض زخارفها • وازينت بين اغوار وانجاد •

ولا السما كنها اخرجت مراتبها • ولا استقرت باشباح واجساد •

محمد النبي الذي صحت نبوته • وادم بعد في طين واصلاد •

وهو الذي طاف في ليل الاسرى به • اعلا العلا بين املاك وحفاد •

ثم انتهى عنه جبريل وزج به • في وصلة النور او في نور اجراد •

حتى الى العرش كي يحظى برؤيته ما • هنالك من اياته كبرى واعداد •

وجاوز الحجب اذ ما امته به • اهل السماوات العالين بمرصاد •

في حضرة العز اذ ناداه واشهده • من الجمال بلا كيف ولا اشهاد •

وجاء بالفرقان الحق معتصما • بمعجز في انفجار لعباد •

ما زالت الامم الاولى تبشرها • ارسالها بظهور منه مرتاد •

وكل ما انزل الرحمن من كتب • يثني عليه بتنزيل وترداد •

يا اكثر الخلق اخلاقا واحسنهم • في الجود باعا ويا نجل الاجواد •

يا اكرم الخلق بيتا في مفاخره • من غالب خير اباء واجداد •

اجل عيسى لهم مدحي فضائله • اليك محكمة كنسج زراد •

يا خاتم الرسل يا اعلاهم شرفا • كم اية لك لا تحصى بتعداد •

عن سنا خلقك غيثت وهي منتثر • في عامها بمنار ذات ارفاد •

اجريت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لجرت منها زلالا باردا فغدا ۞ منه الرواء لاجناد ووراد

وسبحت عندها الحصباء بسمعهما ۞ وكان زحامهم ذا الخلف البيوع جل النادي

رميت اهل حنين بالحصا فغدوا ۞ ما بين مشتت اسرا عمي وشراد

وبيوم اصبحت الاصنام ناكسة ۞ اذ لاح وجهك بدرا عند ميلاد

وبحر ساوة اذ غاضت منابعها ۞ والنار بعد وقود ذات اخماد

وحن الجذع اذ فارقت جانبه ۞ وقد تحطب يوما جوّ اعواد

وظبية كلمتك اذ تعرضها ۞ فاستشفعت خشفها بجانب الواد

وظللتك الغمائم من هواجرها ۞ فصرت ملتحفا ابراد ابراد

يا دعوة الحق يا سر الهداية يا ۞ من انقذ الخلق من اشراك الحاد

خلفت فينا عمادا نستعز به ۞ لكل هول وغى اى اعداد

نعم الكتاب الذي يهدي لقارئه ۞ منه الشفاء لارواح واكباد

وءال بيتك ابقى الله مجدهم ۞ حصنا حصينا لنا من كل افساد

هم الامان لاهل الارض حبهم ۞ ينجي من النار ان شئت لاوغاد

كل الولاية قامت من مراكزهم ۞ على شموس من التقوى وامجاد

فمنهم كل غوث يستغاث به ۞ ومنهم كل اقطاب وافراد

ومنهم كل سلطان تنال به ۞ مصالح الدين والدنيا لمرتاد

مثل الامام ابي زيد امام الهدى ۞ وابن مثل ابي زيد لعقاد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

موصوف تولى الله نصرته ۞ ولاية ذات إعزاز وإعفاد
مبارك أنقذ الله العباد به ۞ من الردى بين إسعاد وإنجاد
أغر أشرقت الدنيا بطلعته ۞ بالعدل والأمن في نجد وأوهاد
موف بغايات فضله ۞ تغزو العدا وهو في أثناء أغماد
إن صال يوما فإن النصر يصحبه ۞ تمضي براياته في كف نقاد
والسعد يقدم أجنادا يقدمها ۞ والرعب يزحفها منه بأجناد
ما زال ينشر إحسانا ومرحمة ۞ في الناس من غير إحصاء وإعداد
حتى استمالت قلوب الناس سيرته ۞ واسترعت كل قاسي القلب معتاد
لذا لدى أكثر الغراء حضرته ۞ محسودة العظم في مصر وبغداد
يا مالكا ورث العلياء عن سلف ۞ عالي المجادة يرويها بإسناد
يا ابن الملوك الألى كانت رعيتهم ۞ يحمون من عزهم في ظل أطواد
لا زلت ترفل في عز وفي دول ۞ موصولة إبرام غير انعداد
تفيض بالجود في مواسمنا ۞ فيضا تميز به أبناء عباد
ودم كما شئت مسرورا تغير لنا ۞ مجالسا ذات إنشاء وإنشاد
تهنيك ليلتنا هاذي وليلتنا ۞ تأتيك في كل إقبال وإسعاد
في ليلة المولد الباهي وبهجته ۞ وليلة يومها عين الأعياد
من ليلة شرف الله الوجود بها ۞ وتلك خير ليال دون إفناد

88

بإنشا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

45

يا شاديا غن لي وجه الحبيب لنا • ردده لنا مرحبا بأبي الشاد •

وناده بلسان غير محتشم • تراه في وله في القلب في زداد •

يا من على الرسل والأملاك كلهم • والإنس والجن كم أفضاله باد •

يا معجز اللب آيات بفصاحته • يا خير من حاز بين الكاف والقاد •

قم يا بني ابن هشام في الأمور كما • تفوهت في الأمر إبداء بأولاد •

فإنه يورد الأشياء موردها • في نصر دينك خير إيراد •

نجل وجهك فيه ما يؤمله • من كل خير لأولاد وأحفاد •

وكل ناس أو أمرة عساكره • بالفتح في حال أرباب وأشداد •

ثم الصلاة كعرف الزهر ينفحه • صوب الغمام طوال آباد •

وفي عام ستة وخمسين ومائتين وألف غير السلطان ببلاد
دكالة عبد المولى الشريف. وكنت هيأت هذه القصيدة
فلم يتيسر من يذهب بها حتى ارتحل العبد فلم تواجه الأسماع إلى اليوم
الذي قبل الليلة ولما ابتدأت عند شرعي في إنشاء ما يغني بعد
العادة فلم يكمله حتى وردت عليه هذه ومن عجيب الاتفاق
أن التي شرع في إنشائه موافقة لهذه في رويها وبحرها
وهي هذه التي وجمعناها وقرئت *

راح العواد بأن الركب إذ راحلا • سكران لأنه لم يشرب الراحا •

89

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

مالي وكنت كتوما للهوى زمنا • أرى هواي وقد أضحيت براحا •

لم ذا أفوه وجدا بالاطلال تسألها • ودمع عيني لا ينفك سحّاحا •

لا ينفع القلب تسآل الربوع ولا • يزيد الا صبابة واتراحا •

قم بالغرام فباغي العار مبعده • ان الغرام محب ليس مزاحا •

وانهض على دهم الاشواق وامرح الى السرى واركبا وجناء سرداحا •

ولا تعج عن سبيل القوم معتذرا • سرتهم جسوما وسرنا نحن ارواحا •

يا قاطنا في غرور من امانيه • فرابلي الظاعنون اليوم أولاحا •

ناداهم هاتف الاسعاد من حرم • يعم الزوار امراحا وارباحا •

تاقت اليه الورى شعثا مجردة • مغمها تبتغي عفوا وانجاحا •

من كل معترف بالذنب ملتزم • لثما لملتزم شوقا والحاحا •

ومن فريد ضلوع في المطاف له • تقرع سالب العينين نواحا •

وفي هياج الاكوان في شغل • مستوحشين لمن في الارض سياحا •

فازوا العهد بالامر الذي طلبوا • وادركوا الثنا الدارين اصلاحا •

بشراهم لم ينالوا بعد ما نعمت • ارواحهم ما مضى الكرا اشباحا •

فوا شوقي لهم الخير الذي كسبوا • فيه مجاهل تغوي السعي تجياحا •

لبنية بعد الاشعى وتيهها • ويغتدي في ظلال الامر مناحا •

لساحة تامر الخير المخاطبي • يا فوز من حل يوما تلكم الساحا •

لبلدة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

لبلدة لاح نور المصطفى وبدا • فيها السرور على الاكوان لاحا •

• ارض بها ولد المختار سيدنا •

• محمد ساطع البرهان وضاحا •

• شمس الهداية نور الحق رحمته • المهداة من اوضح التوضيح ايضاحا

• سر التراجمة المولود عوته • اشعر به ماحيا للكفر جحجاحا •

• وجاء بالعدل في الاحكام بينهم • نشرا يغادر جور الظلم متراحا •

• لانكر العرب ايات مولده • من كان للعقل ليلات كماحا •

• ايوان كسرى غداة ذا منكسرا • ومنه ما الكفر في الخير قد طاحا •

• وبحر ساوة قد غارت بنا بغم • ونارهم كرماد ليس لقاحا •

• والشهب تنقض والاصنام ناكسة • والجن تنعى عن الرجم جماحا •

• وانزل الله في الانجيل حليته • كما قرانه في التوراة الواحا •

• وكل حبر وكهان وذي خبر • بشر بميلاد خير الخلق قد باحا •

• ثم استفاضت وفاة بعد ذاك له • ايات صدق وكم اوضحت مصباحا

• كشق صدر بلا وهم ولا الم • وشق بدر غداة الامر ملتاحا •

• ورد اعين من سالت عيونهم • يوم احد من العقبان المناحا •

• والجذع حن حنينا حين فارقه • والماء من كفه العيان قد ساحا •

• وجاءت الشجر العيناء منقلعا • يجر في الارض اغصانا وادواحا •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والغيم عند هجير الشمس ظلله ٭ كالانثار رشاش الطل رشاحا

وانبع الحجر الصفوان معجزة ٭ بان اخضوضر الخلواف صاحا

يامن به قد افاض الله من كرم ٭ على العوالم الطافا وامناحا

لولاك في الارض ما اخضرت منابتها ٭ ولا همى الغيث بالانواء نضاحا

ولا تمايل روض في خمائله ٭ ولا تفتق زهر لا ولا فاحا

انت الذي جعل الرحمان طاعته ٭ عنوان منجاة من لولاه قد جاحا

انت الذي جعلت من فيض غرته ٭ صلاته لجنان الخلد مفتاحا

يا عزتي يا حبيبي يا معاذي وبل ٭ كمعي اذا جار خطب الدهر ملحاحا

يا سيدي يا رسول الله دعوة من ٭ مفتقر لفيض نداك يبسط الراحا

يا سيدي يا رسول الله دعوة من ٭ يرجو بجودك توسعه فوزا وانجاحا

يا سيدي دعوة من شاعر غزل ٭ لجاه قدرك لا ينفك مداحا

يشكو اليك بنار منك في حشم ٭ والنار ما زال للعشاق جراحا

يبوح للذنب في افضا مغاربه ٭ فارحم غريبا بحق الذنب قد باحا

بجودك يا رحمة الرحمان تلمحه ٭ منك العناية بالاسعاد تلماحا

كيما ينوء بدرك الحب واجده ٭ ويشتفي منسرح الاحشاء مجراحا

طيبي والذي بعد الشيب ملعبة ٭ اركان قد وجد الانسان نطاحا

يارب بالمصطفى يسر لنا سببا ٭ حتى نحج بجمع الا امراحا

92

يارب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يا رب بالمصطفى وابن خليفته • من لم يزل ذكره كالمسك نفاحا •

خير الملوك امام الغرب قد حكمت • اثاره في زمان كان مكلاحا •

وايد الدين بالتقوى وشيده • وكان لولاه بالاهواء مجتاحا •

من البصر الغر اجلالا واعظمه • مقالة لبغاة الحق مشكاحا •

واختص بسعودات ايامه • لو باشر الصخر عاد الصخر نفاحا •

محمد الذي من ملوك الروم تنسبه • ودان عيسا بخير الدهر ملتاحا •

آثاره مطمحت انظار كلهم • والدر ما زال للعفاة مضاحا •

اذا ذكرت سجاياه وسيرته • انستك معتصما منهم وسفاحا •

حمى المكارم دين المسلمين به • مجدا ودنيا قضبا وارماحا •

وخصنا مبوايع مجالسه • ندير من خمرة الافراح اقداحا •

وزان موسمنا هذا بطلعته • معاشر الشيع الخلو مراحا •

يا من لعزته الاملاك خاضعة • بالعز تلفاه الذين ضنيه •

بن المصطفى
بالعزم بباني الذي بباتيه وضاحا

بهذا العيد يرجى أن تساعده • على مهادنة للسلم جناحا •

لو لم يكن لك الا دعاء معترف • لكان من مصبح الخير تمساحا •

حياك ربي ابا زيد واصبح بي • ايامه الغر ذات الخير اصباحا •

والكل الله مات جوا وتاملة • جادته من بذل المسؤول سماحا •

وحاطه ابناؤك الامجاد كلهم • اضحوا بلجا للامصار مفتاحا •

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بحمد السعد الله الهنا إيابه • فمن بين ومؤنسي السر فراحا

إذا دعوت أمير المؤمنين به • دعوت بر الخيرات مجناحا

مرامي الرمي يقطع من لطافته • نار الظلم بين الليل فراحا

محمد مولاي الذي تتوجه • تاج الرضى منه إيثارا وارجاحا

لا زال هشام من مجدكم • مستمدا في رياض العز نشاحا

ولم تزل صلوات الله عاطرة • تهدى إلى المصطفى كالزهر فواحا

ما انغنت بماء الأمراح ساجعها • وأعجزت في مجال الحسن وشاحا

وفيها توفي الوزير الأعظم بهاء الدولة أخونا في الله أبو عبد الله سيدي محمد بن ادريس عام أربعة وستين ومائتين وألف رحمه الله انقطعت هاذه السنة الحميدة والخصلة السعيدة بوفاته رحمه الله فقد ركن عال من أركان الدولة وفهم أن في اختلاف مولانا السلطان المؤيد وفيما قال لبعض جلسائه ذات يوم والله من يوم مات ابن ادريس ما وجدنا مثله ولا من يقاربه وهاكذا وقع بعد عزله وتناسيه وولاية الفقيه الوزير الرئيس السيد المختار بن عبد الملك الجامعي عام سبعة وأربعين ومائتين وألف جلات فيم كل الظهور انه فقد كم من الباب المولوي وعدم مقدار كفايته وبركة غيرته وتنكرت الأحوال السلطانية عما عهدت من لين الجانب والهاجة

1264 وفاة الوزير سيدي محمد بن ادريس رحمه الله

السياسة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

48

1251
صح
فبلغ حتى وفاة المختار الجامعي

السيد محمد بن علي الحاج التكنافي كان داية جمع المعقول ودرايته وانتفع به من يحضر لديه المسكنية في الاصول بجامع الاسوامين مع الطلبة

السياسة ومباشرة الخلو بالخلو الجميل فلما توفي الوزير الرئيس
السيد المختار بمراكش عام 1251 قدم مولانا المؤيد الفقيه
السيد محمد بن علي الحاج التكنافي من قرية والسلطان يتوسم
وينتفع من وجوه الدولة المتأمل الحمد لله ذلك الوزير النبيل فلم يجد بدا
من ان يتمثل بقول القائل

وما كان يخلو النثر لولا نعو القمر، ولا حك الجرب مثل الكف،

ولما لم يحرم صنيع الى ذلك ويستنك خاطب نفسه
بلسان الحال وهو ينشد بيت شعر

ارى اليوم دستا للوزارة فارغا، اما فيكم من خبراني صاحبه،
فقالوا هو العزم ابن ادريس مالك مثيل ومن ذا في الرجال يقاربه،

فاعاد مولانا الى محله، ورمى اليه زمام الباب السعيد كله، فاستقامت
الاحوال وتبينت، واخذت الارض زخرفها وازينت، فلما
توفي في التاريخ المذكور ظهرت لمولانا المؤيد مطلع الرعية بكثرة
اللقاء، فعبر ما معنى النظر فيهما غاية الاعتلاء، فقلد الوزارة
والحجابة رئيس العصابة، واضاف الى النقل فقبض وتعلم
وظن ان من ماله صادف موقع الاصابة، فاجرى احكام القضية
مجاريها، واعطى القوس باريها، وهو الفقيه الاجل الكاتب

95

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الذي تفتخر به المناصب والمراتب الشاب الحازم النجيب ذو النطق
الشهير والخلق العجيب ابو عبد الله السيد العربي بن الوزير السيد
المختار الجامعي فقام بما حمل احسن قيام وازال الامور بجم واكرمها
واضطلع باعباء النصب كما يجب فاستقامت شؤون الحضرة العالية
كل استقامة ولم يغير اجرا تتعرى مغالقه فلم يزل كذلك برهة من
الزمان حتى كثر اتباعه فاعطى من صروف الدهر ملابس الامان
وكان فما اعجبته نفسه غاية الاعجاب وطغت عليه لمكان
الجرح والشباب فكاثرة على مولانا السلطان المؤيد بعض
الفضايل واكثرها وشنع عليه بالباطل ورماه بها
ومولانا لما جبل عليه من المروءة والحيا يتحمل له ذلك حتى ادركه
من ذلك غاية السآمة والاعيا فلما كان عام ثلاثة
وتسعين ومائتين والف بتقديم وخول مولانا المؤيد حضرته
مراكش عزله بلا سبب ظاهر ولم يعلم احد ما اوجب ذلك
والموجب ما اشرنا اليه ومع ذلك فاز سيدنا ما انفصل من
حاله شيئا ما عدى التاضيع الجارية فلم يزل ملازما حضرته
وبابه وخطته التي هي الكتابة وقيل انه اعطى مائتين
الفا من المال من غير تكليف وكان الزمام وولى السلطان حجابته

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الفقيه العلامة الوجيه الكاتب النزيه السيد محمد الصفار
التطاوني فلم يزل كذلك حتى توفي السلطان آخر المحرم
عام 1276

فصل

في ذكر ما خص الله به السلطان المؤيد من المآثر المبتكرة
والمحاسن التي ما نالها الأول ولا الآخر

فمن تفرع لنا في صدر من الولاية المباركة أن السلطان
العادل أماتت حتى أشرفت الدولة العلوية على الانتثار
والاضمحلال والاندثار وذلك أن البرابر الذين هم روح جسد
العصبية بالبلاد المغربية قد انتفضوا في وقعة زايان وبعدها
بالقتال على أن لا يتركوا المخزن صولة ولا استبداد وكان الحاج محمد بن
الغازي الزموري يسعى في ذلك لأنه لما وقع منه ما وقع من الغدر
والفرار في تلك الوقعة كما شرحنا خاف على نفسه أن يؤاخذ
بذلك فهم يقوم من المحلة فاستقر على مكانه وتربص بالعصيان
بوكرامها وشرع يحض له رؤساء قبائل البربر كلهم حتى جمع له
أتباعهم على أنهم لا يتركون المخزن تقوم له قائمة فتحالفوا على ذلك
وربما دخل معهم من جاورهم من قبائل العرب الذين لهم بال ووقع
كبعض بني حسن مثل الصفافعة والتوازيط ومثل زعير

97

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وجل اهل تلك الاجلة لما اراد الله سبحانه نفع صغيرهم وكبيرهم وترميم
تدبيرهم بعث الله تعالى من حضرة فضله وكرمه هذا السلطان المؤيد
مولانا عبد الرحمن وامده من السعادة بالجنود التي لا تحصى ولا تعد
ولا تغالب واتى هو بالنصر فكان في جميع اموره كلما توجه لامر عسير تيسر
وانجح منه ما التمس وكلما حاول شيئا مغلقا انفتحت ابوابه
وعوض من خطائه صوابه وكلما تعلقت همته ببعيد ولو
بمناط الثريا تقرب ذلك البعيد اليه وانفتح بنفسه عليه حتى
يكون بين يديه فهذه عادة الله تعالى التي عوده وتأييده الذي
ايده وهذا كله بالمشاهدة والعيان ومن المتفق عليه الذي لا يختلف فيه
اثنان من اول ملكه الى اخره فما خاف قط احدا ام الا كبه الله
على مناخره وادل دليل على ما ذكرناه ان البغاة الذين تعودوا حربه
مكرهم والتملق على معاقد المملكة وغرورهم لما اراد الله
تعالى نقض ما غزلوه وهدم ما شيدوه جعل الله ذلك سببا
قويا وقطعا خفيا وقد قلنا ان منشأ ذلك الفساد هو ابن الغازي
الزموري وقد قدمنا انه تلميذ مولاي العربي الدرقاوي وانه لا يخالفه
في اموره كلها وكان مولاي العربي كما قدمنا محبوسا عند الوداية
في ايام فتنة اولاد مولاي اليزيد ولما فتحت فاس وسقطت رايتهم

جاء

جاء قبيل ما أولاه مولاي العربي إلى السلطان مولانا العادل أيرغبون
في تشريحه أيهم يطلب بالثار ممن لم يقبضه ولكن الله فجأه وهو
لا يبرحه حتى يبرح الله الذي قبضه بغير امره واحسن الى
الصيلة وكسائر هيلمامات مولانا العادل وشوق خليفته المؤيد
دعت الضرورة ابن الغازي الى نشر شيخه لا اولاده فنزل اولا عليه
والحوا عليه فلم يجد بدا من اظهار الطاعة والرضا مع الجماعة
فور دعا السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمن باخواته وبيعتهم
وهديتهم فلما راى الرايس الذي تخال الغوا معه ما لف ما تعاقدوا
عليه كفهم له انه غدار مكار كذاب وسوكه لهم فبدوا ذلك
الغدر وسارعوا الى طاعة السلطان باموالهم وانفسهم
فسبحان واذا اراد شيئا هيأ أسبابه وجعل مالية واطاع الغازي
فصار مولانا السلطان ولهف سياستيه فابلى بغاية الاحسان
وافاض عليه سجال الامتنان وجعله عمدة آرائه وشتتر امورة
وامامه وورائه فكان لا يقطع امرا دونه ومنظار المعمورة
بعدما صرح له شيخه ونهاه عن الحظوا ابناء السلطان ومن
بلاغه السلطان المؤيد الاحسان الى ابن الغازي انه زوجه زوجة
عم السلطان ابنة بوسنه وكانت محظية مولانا العادل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وذلك من حسن السياسة العجيبة فان ابن الغازي لما راى السلطان
سمح له في نزع عطيته ظن انه نسي ما فعله من غدره وتسببه في اهلاك
تلك الجيوش الجمة من عساكر المسلمين وامير المومنين وهدم قواعد
المملكة لولا ان الله سبحانه جبرها بولاية هذا السلطان المبارك الغرة
لما كان لها قيام الى اخر الدهر فلما اطمان هذا الظالم الغادر وامن
من مكر الله لما ارخى له مولانا المؤيد عنانه واجاز عليه مبراته
واحسانه وصار معه لم يبرح في ظلال الكرامة التامة ورجع معه
الى فاس ثم عاد معه ايضا الى مراكش وهو لا يزداد الا تقريبا وايثارا
ورفعة شان وحفظ منزلة فلما استقر في حضرة مراكش تعرض له
عسر البخار ليلا وصار ازل من الحضرة العلية مغربوبا بالرطام فاخطوه
بما فيه واصبح يسب ويبري ويبرع ولم يطلع لدار المخزن اياما غاضبا
على الدولة كلها واخبر السلطان انه يريد الهروب فامر السلطان
بالقبض عليه وتوجيهه للجزيرة التي هي سجن اهل الجرائم العظام
فبقي بها زمانا ثم اصبح ذات ليلة ميتا ولم يدر سبب موته
فبعضنا قائلا انما قتله الاحمر وبعضنا سالكا لم يمت من حتفه
وعلى كل حال فان الله منه واراح المسلمين من شره ومكره
ووافى تعسه بسوء فعله وعمله ولعذاب الاخرة اشد وهذا كله

انما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

انما ذكرناه دليلا على سعادة مولانا السلطان المؤيد ومن سعادته ايضا
انه لما ولي وجد بيوت الاموال فارغة فقد اكلت الفتن المتوالية ما
كان فيها من جبايته وجبيه وفقد زياده انقطعت الجباية ومنع
القبائل ما بايديهم من حقوق المملكة الى بيوت الاموال من زكوات
ورواتب ولوازمها المتكاثرة ولاسيما عبيد البخاري فانهم وجدوا
بيت المال على طرف التمام بزايدهم فجعلوا نهب اغنيهم وعانيهم
معولهم حتى نشفوا نسعا وانتهى امرهم لما على مولاي الحسن الخليفة
عليهم جرأة وعسفا بما مضى من ولاية مولاي المؤيد الا من قريب
حتى ادعنت القبائل للحق وادوا ما وجب من واجب المزكوات وعادوا
الى المعهود من الجبايات وترادفت الخيرات على المملكة من كل جانب
وما ذلك الا بسعادة مولانا السلطان المؤيد ومن ذلك ايضا
ان الجيش البخاري لم ينجلهم عند موت السلطان العادل الا ما
اعتز به كما قدمنا في اول هذه الرسالة فما حيلة مولاي المؤيد حتى
عادت له الصولة وقامت به الدولة الا انه لم يامنهم على اختلال
الاموال في حوارهم وبين ديارهم بل اخذ حذره منهم في جميع امره
والسعيد من اتعظ بغيره ومن مآثر هذا السلطان المؤيد
التي ادخرها للمعاد ونال الاجر التي نشرها في البلاد ولك ما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

افتتح به ولايته وهو بناء ما تهدم من سور ثغر طنجة وصير
عليه مالا عظيما حتى اعاده احسن واحصن مما كان، ومن ذلك
ايضا شراء دار تفشاو المجاورة لحرم مولانا ادريس بفاس وزيادتها
في مسجده وكمل به لحرونه ذلك الحرم الشريف وتم بهاؤه
وحسنه ومن ذلك بناء ما تهدم من سقالة الثغر السويري
فانه وجه على العملة البنائين من بر النصارى وكان يلزمه من
ذلك في كل يوم من الاموال ما يتعجب منه حتى ازال القبادة فاسس
الاساس الواقع البحر فجاءت في غاية الاتقان والحصانة
ومن ذلك المساجد التي جددها بعضها من اكثر كجامع الكتبيين
مرتين مرة على يد ابن العادل ومرة على يد الشريف مولاي ابراهيم البوكيلي
المحتسب فان ذلك الجامع كان قد تداعى للخراب لولا اصلاحه
ومن ذلك الزيادة في جامع سيدي ابي اسحاق على يد مولاي ابراهيم المذكور
ومن ذلك هدم جامع الوسطى واعادته على شكل بديع
وهيئة عجيبة على يد القايد احمد بوستة ومن ذلك بناء جامع
ابي حسون واقامة الجمعة به كما كانت اولا ومن ذلك بناء
جامع القنارية والزيادة فيه على يد القايد المذكور ومن
ذلك وهو اعظم وذلك كله اصلاح جامع المنصور فانه

152

كان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

كان ما يغني عنه الا الاثم مع ضخامة بنائه الاعلى الذي كانت
تضرب به الامثال وكان قد اشرف على الاضمحلال ءاثاره
جامعه وكان المؤثر رحمه الله عامله المذكور السيد احمد بوستة
بالوقوف على اصلاحه فاستفرغ ذلك العامل جهده في ذلك
ليلا ونهارا وانفق فيه الجهد والطاقة حتى عاد الى شبابه الاول
ومن ذلك اصلاح قبة ابي العباس السبتي ومن ذلك حماية سور
اكدال السور الهايل الذي لا تهزه الايام بتجاوزها ولها
عن امر مولاي ابراهيم المذكور اولا ثم على يد القايد بوستة
المذكور ثانيا واما انشاء غرس اكدال فقد تقدم
للناظر في اول هذه الرسالة السعيدة ومن ذلك بعض جامع فاس
العليا عمارة عرصة الامينة التي كانت خرابا تالفها
الوحوش مع انها في باب الدار السلطانية وفي سرة حضرة
الملك وقد كانت في الدولة المرينية التي انشات تلك البلدة
من اصلها على هيئة بهجة جامعة للمحاسن الغير متناهية
فيها ظهرت زينة تلك الدولة وضخامتها وجلالة سلطنتهم
وضخامتها فيها مفاخرهم ومنازههم العالية ومجالسهم
المشرفة على بساتين المصطفى المجاورة والموالية يشقها نهر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فاسرع ضال الاكثر لا يشتغل بمعارضها، يدخل من الجهة المغربية
ويخرج من الناحية الشرقية، ومراده بالدخول التمتع
بالتنزه على ضفتيه، واقامة مواسم الانس حول معينه
واقاصي العرصة فغدر مجاوله الماء بالدوالب الشامية
النحاسية، واجري في الفواديس والقنوات الرخامية،
وبالجملة فقد كانت تلك العرصة منية من زينة
الحياة الدنيا وجنة حازت من الابتهاج المرتبة العليا، ثم
اخنت عليها الايام بصروفها ومحت من تلك الرسوم جميع
حروفها فمن اجا الملوك قبيل مولانا المؤيد بلغ بها الى الحالة
ولا انقذوها من وضائعها، مع انها باقرب جوارهم، وفي عقر
ديارهم، فعطف الله علينا هذا السلطان المبارك فاعاد
بعد الممات حياتها، واحيا من كلمات العز جميل محياها
فقامت دولتها التي هي تاج الملك الدوار، حتى تفتقت في جنبات
الازهار، ولبست حلل الزينة تلك الابراج والاسوار
ورقصت فيها الادواح بدون اختيار، لما تغنت على فروعها
سواجع الاطيار، والتفت خمائلها بخلال النظار، فكان غرسها
موقف استحسان النظار، اما غوطة الشام فقد تعاها من ازهار

الانوار

الا دير العنده هيهم :: المطرزة بالازهار الزخرفية :: وتبخترت من جدرانها

104

العرد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

العزة، واما المسرع فلبيت الاعلى ضعة نورها الاطرد، واما ابو
الجلود فغير هوى جلوده، لما رجع من الدولة العلي بنوده،
وذلك بسعادة مولانا المؤيد، ومن ابعض ماثر النبي شيد،
واما الاوصاف الجبلية التي طبع عليها، ومال في كلية
امور البر، فلا تحصى ولا تعد ولا ترسم ولا تحد من ذلك الكرم
والشجاعة والحياء والحلم والصبر والوفا وكمال
الباطن التي عنوانه نزاهة الظاهر وعرفه في القضايا التي
وصلت اليه على حقيقتها وقيامه بنوافل الخيرات من الصيام والقيام
والمحافظة على اداء الصلوات وحسن الظن بالله والتوكل على الله
في جميع الامور، هاذه الاخلاق كلها كانت فيه على الكمال
بالمشاهدة التي لا تحتاج الى برهان ولو ذهبنا الى ذكر ما وقع له منه
لطال بنا الحال وسلفه فيها وامامه وشيخه هو عمه السلطان
العادل مولانا سليمان رحمهما الله تعالى فإن مولانا المؤيد كان من
عادته المقررة ان لا يخرج عن سنة عمه وطريقته غالبا فكان
يبحث ويسال في الامور العارضة له كيف كان يفعل في مثل هذا
فاذا ظهر له حقيقة حكمه في ذلك الامر فصل قضيته وما علمنا انه
ظلم في شيء الا في النزر القليل ولا يخالف عنه الا اذا ظهرت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

مصلحة تحفو وجودها في زمانه دون زمان السلطان العادل ح ه
وذلك جار في قواعد السياسة المرينية وإن القرن الذي
سببه العمران تختلف احكامه باختلاف الاعراف الا المشغلة
بحسب الازمان ورب امر كان يصلح في زمان كان العرف فيه
مناسبا لذلك الامر ولا يصلح في زمان آخر اذا تبدل عرف
وحدث عرف آخر وهذا مشاهد بالضرورة حتى في الاحكام
الشرعية فضلا عن المرينية ومما خالف فيه مولانا
المؤيد عمه العادل قضية تجريد العمال اذا كثرت
الشكايات بهم من رعيتهم فإن مولانا السلطان العادل
رضي الله عنه ما كان يتوقف في ذلك والعمال عنده
محمولون على التغفيل والظلم والاجتياح في ابدان خلقهم الرعية
لا سيما ان كانت ولاية وربما يستشهد بقول البالغ في تقريره
السياسية لا تنكر الظلم من احد عمل بل طوائف الامة فيه اكفاه
وهو والله العظيم صادق في ذلك ناصح للملة واهلها
الا انه نشأ عن ذلك النهج الذي اعتمده مفاسد اخر وذلك
انه لما اشتهر عند العامة ان السلطان لا يحتاج في الشكاية
بالعامل الى بينة صار كل من اراد عزل عامله اجتمعت ثم فمن

منهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

منهم ويشكوا الى السلطان فيعزلهم ثم اذا لم يوافقهم
العامل الجديد على مرادهم فعلوا مثل ذلك وهكذا فلا يستقيم
للحكام حكم على الرعية وبذلك يحصل الخلل وانحلال الامور
فكان الضرر الناشئ عن تبديل العمال بادنى سبب
افتح واشد من الضرر الناشئ عن الصبر على ظلم العامل
وهذا الذي حمل مولانا المؤيد على مخالفة عمه وكان يقول
الرعية اظلم من العامل وظالم واحد اخف من ظلم العدد الكثير
وسبب هذا هو الشرنا البين من اختلاف الاغراض
باختلاف الازمان وان كان الذي ذهب اليه مولانا العادل هو
الحق الموافق للسياسة الشرعية فقد ذكر المؤرخ في نفح
الطيب ان الامام الكامل المكمل ابا عبد الله سيدي محمد بن عباد
شارح الحكم كتب الى عامل فاس في زمانه على قضية بشكوى فيه
الى فعل ما هو الاصلح فخالفه العامل فيهما ولم يعبا بقوله
وكان رضي الله عنه هو الامام في جامع القرويين مصلى السلطان
ذات يوم الجمعة بالقرويين بعد مخالفة العامل للشيخ
فكان من جملة ما قال الشيخ في اثناء خطبته ان قال من الامور
المستحسنة ان لا يبقى العامل اكثر من سنة فسمع السلطان

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فعلم انه هو الخاطب بذلك فعزل القاضي في قضية ذلك الاه
بمثال :. وهاكذا في كل ما خالف فيه مولانا المؤيد
بمقتضى انما هو لمصلحة اوجب الاهمال اعتبارها وكذلك
مولانا السلطان القادر خالف والده في امور عديدة مما
اقتضته المصلحة الزمانية كما ذكرناه من ذلك
ان مولانا السلطان سيدي محمد كان ظهر له ان اشتغال طلبة
العلم بقراءة المختصرات في كتب الفقه والاعراض عن
الامهات المبسوطة الواضحة الدالة على الاحكام
الشرعية تضييع للاعمار في غير طائل وكان ينهى عن
ذلك غاية ولا يترك فيها مختصر خليل ومختصر ابن عرفة
وامثالهما ويبالغ في التشنيع على من اشتغل به حتى
كاد الناس يتركون كتابته وقراءته وكان يحضهم
على كتاب الرسالة وامثالها ووضع في ذلك كتابا
معلوما مبسوطا واعانه على ذلك المذهب بعض علماء
دولته كالعلامة العربي الرباطي ورجيفه العلامة ابي
الامير السلاوي وكذلك كان ينهى عن قراءة كتب التوحيد
المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الاشعرية

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

رضي الله عنهم وكان يحض على مذهب السلف والاكتفاء بالاعتقاد
الماخوذ من ظواهر الآيات والاحاديث الصحيحة بلا تاويل
كما ذهب اليه جماعة من الائمة المجتهدين كالامام احمد وداود
الظاهري واتباعهما وكان يقول عن نفسه انه مالكي
مذهبا حنبلي اعتقادا ومجالسه ومحاضراته كلها تدور على هذا
المركز وله في ذلك اخبار عجيبة ووقائع يتحير بها بعض
الناس وذلك امر محمود سديد لا حرج فيه ومسلوك به مضمون
السلامة فيه على المشاورين من عوام المسلمين واما العلماء
ارباب الانظار التامة وسع الله لهم المجال في ادراك المسائل بحججها
المعقولة فان هؤلاء لا يكتفون بتلك الظواهر التي تنفر العقول
من قبولها بدون تاويل لاسيما اذا الحقت اليه بما اضاف اليها
غلاة الظاهر كابن حزم وامثاله في مسئلة الاستواء
ورفع الاصوات بالقران والمراد المكتوب في المصحف والاوراق
المكتوب فيها ونحو ذلك مما هو مطلوب مرارا ولهم فلما تولى
مولانا السلطان العادل لم يكن عنده اهم من ابطال ما ذهب اليه
والدي الناصر مما ذكرناه لا من قراءة المختصر ولا من مسئلة الاعتقاد
فلم يكن عنده اعز من يحفظ مختصر خليل بل من لم يحفظ من

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الفقهاء عنده نافق لا يعول عليه بل على فقهه فتنا فسد الطلبة
بحفظه فكان يعطي على ذلك العطاء الكثير وفر اخبره بعض
واعوه بعضهم فامر باحضاره فاختبره فوجده كما ذكر عنه
فاعطاه الف مثقال فلم يقدر على حمله الفقير فاعطاه غلاما
يحمله له وكساه وكسى والده فلما علم اهل الطلبة يحفظونه
رتب لهم جرايات كساء وكساوى والدراهم في جامع القرويين يعطونها
منه كل سنة جرايات كما يعطى الفقهاء وحبس عليه لذلك اوقافا معتبرة
ومن اجل اعتنائه بذلك كان جل الاولاد يحفظونه بل بعض بنات
كذلك وعموم اعظم مسائل النحو لم يسبقوه ولم يشاركه فيها
احد ممن تقدمه رضي الله عنه واما مسئلة اعتقاد الاشعرية
فانه كان يحض الناس على قراءة عقائد الامام السنوسي وامثالها
والا فعنده من يحسن التكلم بمذاهب المتكلمين وليس عنده
عالم الا وله حظ في الكلام وغيره من المعقولات لاسيما البيان
ولقد فوض يجيب سأل النبي يوما اخذه على وجه الاختبار
عن قوله تعالى ولكم في القصاص حياة مع ما ذكر العرب يقولون
انه لا اوجز في كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل
فذكرت له ما قاله السعد في المطول على التلخيص وكنت قريب

ع منه

٨١٥

العهد

العصر فلذلك قل عجبه ذلك مني غاية على البر به وذلك من
عناية الله تعالى بي وبذلك كان يحبني محبة واوجب لي مكانة منه
وعناية منه على صغر سني اذ ذاك وكان يفضلني على من هو
اكبر مني رحمه الله تعالى ورضي عنه وكان جلساؤه من العلماء
كلهم ائمة في هذه الفنون كالعلامة السيد عبد القادر بن شقرون
والسيد محمد الهواري والشيخ السيد حمدون بن الحاج والسيد الطيب
ابن كيران والفقيه العلامة السيد محمد بن عمرو الزروالي والسيد
محمد بن منصور جميع هؤلاء كلهم اشياخنا ما عدا ابن شقرون وابن كيران
والهواري ما ادركناهم وكل واحد منهم حجة في البيان والاصول
والمنطق والكلام والتفسير والحديث وكلهم عنده في غاية القبول
والمكانة العالية ومن جملة ما خالفهم فيه مولاي السلطان
العادل والدي سيدي محمد مسألة المكس فانه كان ينكرها
ويعجبه قول ابن البناء واما السلطان الناصر سيدي محمد فقد
تقدم لنا انه استفتى العلماء فافتوه فكان ياخذ على
الابواب والاسواق وجميع السلع والغلل فكان قدر ما كان
يجتمع في ذلك في كل سنة نصف مليون وهو خمسمائة الف
مثقال معلوم مشهور ثابتة مفرقة في الرقاع مسبغة في ذمم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

قواد البلدان وعمال القبائل كل مدينة وما عليها وكل قبيلة وما عليها
ومن ذلك المكس كان ظاهرا في العساكر في الكسوة والسلاح والسروج
والعدة والاقامة والخياطة والتناجيير لوفود القبائل والقاصدين
والمؤونة للعساكر ولديار السلطان وتعلقاته فكان ذلك المكس
كافيا لمصارف الدولة كلها لا يدخل بيت المال الا مال المراسي والاعشار
القبائل وزكواتها وكان ينحط المكس بعد مال المراسي والاعشار
سكواكا في دولة السلطان الناصر سيدي محمد وكان المكس
ايضا في الدول التي كانت قبل هذه الدولة الشريفة فقد ذكر
الشيخ سيدي احمد بابا ان الشيخ العلامة البركة سيدي عبد الله
العبدوسي كان يعطي في الابواب ما يعطيه الناس فيقال له لا احتاج
لذلك فيقول لا اريد مخالفة الناس وكان من العلماء العاملين
والاولياء الصالحين وكان في دولة بني مرين عام 841 قال له سلطان
زمانه ابو الحسن اريد ان تخرج مع العامل لقبض الزكاة فقال
نستعفي من الله تعالى تسميتي مع هؤلاء مغارم الظلم بلقب من القاب
الشريعة فغضب السلطان غضبا شديدا فضربه بالسيف
في خمره فقام الوزير واخذ بيد السلطان واخرج الشيخ
فاخذ السلطان المرض حتى اشرف على الموت في الحين

فعل

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فعلم انه اصيب من جهة الشيخ فلما به جرى اليه فطلب منه
الدعاء وتاب الى الله من مقالته فعوفي في الحين وكان بعد ذلك
يذهب على رجليه الى دار الشيخ ويزوره وقد زهد مولاي
سليمان رحمه الله في هذه المكس ولم يلتفت اليه وانما ذكرنا
هذه الحكايات لان مخالفة مولانا المؤيد لعمه العادل لتكييف عليه
او تنقصه له فيما ذهب اليه لاسيما في مسئلة العمال فاني
سمعت بعض الجهال يخطئ مولانا سليمان في كثرة عزله
للعمال بمجرد الشكاية بهم وتصويب فعل مولانا عبد الرحمن
في ارخاء العنان لهم والثقة بهم حتى يتحقق كل التحقق
سوء فعلهم وشدة ظلمهم ولا تقبل فيهم الشكاية بهم من
رعاياهم لان الرعية تكره العامل على كل حال وقد بينا
الحق في ذلك ووجه السياسة فيه والله اعلم واحكم وتلك
الخصال التي قلنا انها جبلية في مولاي عبد الرحمن موجودة
فيه على الكمال هي في مولاي سليمان كذلك موجودة فيه وهي
فيه الكل اما الحياء فانه رحمه الله تعالى اشد حياء من
العذراء في خدرها فكان اذا اراد ان يفاوض احدا لا يمكنه
من رؤية وجهه ومن اراد ان يواجهه يأمره من حضر يلتحف

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في تلك الحالة واما الجود والكرم فكان اجود من الغمام الصيب
لا سيما على حملة العلماء وحملة الشريعة فغير مولوا الله قول النفيلة
وادركوا القناطير المقنطرة بعد السنة الشريفة وتناثلوا الاسلاع
والعقار والاصول التي لا يدركها الا اهل الاشياء الكثيرة واما
الحلم فانه احلم من الاحنف بن قيس وخاله قيس بن عاصم لا يقطع عن
ذلك من العلماء في حلمه رضي الله عنه حلمه على اهل فاس الذين
بلغوا الغاية في السعي في هدم اركان دولته ومحو اثاره بكل
ما قدروا عليه وحاربوه بماله ونعمته فلما امكنه الله منهم
بعد الشدائد التي يعجز الجبال سماعها فضلا عن مشاهدتها
وكان الفقيه السيد العباس بن احمد التاودي لما جيئت
اودع عنده وجه من فاس والزهراء الى ملاقات مولانا العادل
كما تقدم او ظنه بامور ابلغها للسلطان عند ملاقاته من ذلك
انه قال لي اذا وجدت فسحة وسعة في مخاطبته فقل له
يقول لك العباس انا نخاف اذا فعلت بهما قالة الكلمة العباد
ان تصفح عنهم وتتجاوز عن جرائمهم فقلته له في اول مجلس
فقال لي كيف اصفح عنهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
كان عزيز لما ضحك به النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه ان

114

بعم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ليسرحه ولا يعبر عليه وعاهده على ذلك فتعفا عنه وسرحه فلما
بلغ الى مكة نقض ورجع الى ما كان عليه فلما ظفر به من مرة اخرى
في بدر الموعد فقال له اعف عني فانني لا اعود فقال له النبي صلى الله عليه
لا تمسح سبلتك بمكة وتقول خدعت محمدا مرتين فلما
منّ الله عليه بما شاء ما غيره اصلا ولا واخذه بل عجل الخروج من
فاس مخافة من حمل اهل محبته له على الانتقام الذي ليس من جبلته
ما كنا نظن انه يمثل بمولاي السعيد بن اليزيد واخوته وابناء اخوته
كابن عبد الكريم بن اليزيد الذي سعوا في الارض الفساد فاعرض عن
ذلك كله ومن حلمه ايضا حلمه عن مولاي عبد المالك
ابن ادريس الذي قام عليه من الشاوية كما تقدم خبره بل تركه على
حاله ولم يغير من نعمته شيئا بل زاده احسانا وتركه في ديار ابيه
وكان يبلغ ذلك الى السلطان فلم يبال به ووضع على اذايته حتى
كفاه الله شره بموته وانقضاء ايامه بن ما كان يتمنى
بمولاي سيفه وراء السلطان ومما كان عادة الله في كل من
عاداه وءاذاه من الاقارب والاباعد ومن افترى على مولانا
المؤيد في هذا الحلم الذي لا يقدر عليه الا الاكابر الرجال وهذه
الخصلة الشريفة على النفوس البشرية ولا يلقاها الا الاكابر

بلغني قلت له ذلك كنت
انه اذا فتنت ولم ابتزى
احدهم او لابد الشخص
اما قتله ولو احرقه لكان قد
اصاب بعوده فيه فلذلك

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

كما فعل مولانا العادل مع اهل فاس وفعل مولانا المؤيد مع الوداية
وكما فعل مولانا العادل مع مولاي السعيد واهل بيته فعل مولانا
المؤيد مع ابن الخطيب حذو النعل بالنعل وكذلك فعل الله تعالى باعداء
مولانا عبد الرحمان فاباده الله واهلك اعداءهم فهل ترى لهم من
باقية واما عبادة الله تعالى من القيام والصيام ففي ذلك جعل الله
قرة عينه وراثة نبوية فكان رحمه الله تعالى لا يترك شيئا من
اوراده حضرا وسفرا في المنشط والمكره وكان يختم القرآن في كل شهر
ثلاث مرات موزعة على الايام بعد ذلك عددا ولا يشغله عن
ذلك شاغل ويختم دلائل الخيرات في كل جمعة ولا يطلع عليه الفجر
الا متوضئا مستقبل القبلة مصليا او تاليا وكان يوصينا في السفر
ان نوقظه اذا بقي للفجر القدر الذي يكفيه لورده وذلك يختلف
باختلاف طول الليل وقصره فاذا جئنا نوقظه وجدناه قد
سبقنا وجلس في مصلاه وكان لا يتلو الا اذا حضر من يسمعه وان كان
حفظه غاية الا انه يفعل ذلك حرصا ان يبقى عليه شيء من ورده
من التلاوة تلو من صواب به الطبع يحضر من يسمعه هذه
عادته رضي الله عنه وكذلك مولانا المؤيد اخبرنا الثقة
من اولاده الكرام انه لا يخرج الفجر الا كما ذكرنا عنه متوضئا

مستقبلا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مستقبلا وكان بلغ الصبا الذي مولانا سليمان في السنة الكبرى
ان لهؤلاء السادات الكرام الذين لم يلههم الثريا من بينها
عن الاخرة ولم تشغلهم النعمة الكاملة والمراتب الفاخرة
والعزة المرفوعة والالوية الموضوعة والحاجب المضاجعون
والندماء الجالسون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون من بعض
ما اخص الله به مولانا المؤيد من المحاسن والمناقب والمحامد التي
لا نظير لها ولا يخلو لا ابقاه الله بالسعادة في جميع اموره واصحبه
العناية في كل احواله وحركاته وسكناته فتنقاد له كل عسير
وادعن لامره كل جبار عنيد والتزم طاعته القريب والبعيد واهل
الله لجميع ذريته فلم يكن من اولاده مثل اولاد الملوك الذين تغلبهم
سورة الملك ونخوة السلطان وسرف الغلبة على الناس بل كلهم
منغمس في المروءة وملتحف بالكمالات ومتزي بالمسكنة
وذلك من عجائب قدرة مولانا تبارك وتعالى ومن خرق عوائده
التي يتعجب منها ولم يتفق لاحد من الملوك في اولاده مثل ذلك
حتى في اولاد مولانا سليمان الذي بالغ في استصلاح احوال اولاده بكل
ما تبلغه طاقته فانهم سبعة اولاد وكلهم
الامهات والزمن واحد واهل الخير والديانات فلم يكن

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الا ما اراد الله تعالى وكان رحمه الله يأسف على ذلك وأما
سادتنا أولاد مولانا المؤيد فإنهم ما نالوا ذلك بكثير أعمال
وإنما هو بنفحة الله ومو صبته ورضا والدهم وسعادته وحسن
نيته وقد حقق الله تعالى رجاءه فجعل الخلافة وقفا مؤبدا على عقبه
وظهرت بركته وعنايته في أكبر أولاده وأعزهم عنده ومحل نظره
وخليفته في حياته وبعد مماته مولانا أمير المؤمنين سيدي محمد
فإن مولانا أمير المؤمنين المؤيد كان عزم على العمل عام احدى
وسبعين ومائتين وألف وفاوض في ذلك بعض كبار عماله العقلاء
النصحاء فلان فأشار عليه ذلك البعض بالمبادرة لذلك ونحو
واستحسن رأيه وعزم عليه وشكره وقال له لقد كنت أردت أن
أشير بذلك على سيدي فخفت أن يكون مني فضولا غير صواب
لأني لم أعلم ما نظر سيدي وما فاز به فلما ألهم الله مولانا الى
ذلك علامة الاذن فيجب المبادرة على سيدنا والعزم به فعلا
العزم لم بركة وما كان ينبغي لمولانا أيده الله أن يتنبه لأمر
عارض بما كان فيه تشويش وعوض دون مرادنا ويسر له ذلك
الأمر وعرض بعض العمال الذين لم في ذلك الأمر دخل تام وصو
فلان ومهمم مولانا السلطان ذلك وقال لم تعرفون وما نحن

118

نلي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

نديير في ازالة ذلك الامر العارض ان شاء الله تعالى ثم ان العامل
الذي دخل بعد ذلك الامر مع الخبر وتعفو الحكاية وما نسب اليه
فيما قصر همته الى الفساد ما بين ذلك العامل الاول والمشاور وبين
السلطان بكل ما قدر عليه فلم يزل يغري به السلطان وينقل عنه كل
سيئة تقع في الحوز واستعان على ذلك بأناس اخرين من كل جانب
حتى من داخلة السلطان وحرم دارهم وكان له اتصال شديد بالحضرة
العالية واطلاع على بواطن الاحوال وظواهرها فلم يمض على ذلك
الا زمان يسير حتى تغير خاطر السلطان على ذلك العامل وقبض
عليه ونهب داره واستصفى جميع امواله وقتل غيره بدله وقامت
قيامته والكلام بين اصحابنا السلطان يتمثل ذلك الامر الذي حضر به ونحتال
في ازالته وبعد ذلك ضمهم صدر ذلك المشاور المقبوض عليه
والكهف وعمله في صلاح عمالة الكرم التي كان فيها ثم سافر مولانا
المؤيد الى الغرب آخر سبعمائة فأقام بمكناسة كثيرا حتى لحقه
مرض موته فلما بلغ ذلك العز مع كونه مطلعا عليه بعلم الله
شوق اعتنا به بذلك العهد وانه مات حبه عنه الامر فلم
يعوض سبحانه لذلك فلما توفاه الله تعالى لم يختلف في ولاية احد
مولانا امير المؤمنين من اهل المغرب فلحقت وكان ذلك بمنزلة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

العمر الثابت المتفق عليه وكانت وفاة مولانا المؤيد
رحمه الله يوم الاثنين 29 من شهر المحرم فاتح سنة
وسبعين ومائتين والف 1275

الراية الخضراء المباركة

الجليلة ذات الافياء الوارفة الظليلة والاذيال
الطويلة راية امير المومنين مولانا محمد
ابن مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام بن مولانا محمد بن مولانا
عبد الله بن مولانا اسماعيل ثم هذه الراية
هي درة تاج هذا اللواء العظيم وواسطة عقد النظيم ونتيجة
جميع مقدماته وزهرة ادواح رياضه ومقاماته ومضمن
وبيناته ونبراس مشكاة اياته فيها ظهرت بشائر البشير
وعنها استوى الملك العلوي الحسني على كرسي جلاله
عزه ومحصل اماله

بمآل لعزة راية مرفوعة ... من السعود يظلها التوفيق
رفعت على خير الملوك محمد ... ملك الى كل الكمال سبوق
خضر اللباس بنايل من دونه ... وجه يحول البشر فيه طليق

بحج
وتادراس مبلغ

120

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ورث الامامة كابرا عن كابر ● عالي المجادة بالعلاء خليق
ارضت اليه خلافة نبوية ● ودنت للمشرفين بريق
وجرت ببيعته الفلوك جلائلا ● منها الى احد سواه طريق
فاختال منه بهابه وسريرها ● وكلاهما صب اليه مشوق
فالارض يوم عرسها الذي ● كانت على فلق اليه تتوق
شرف صنعاني ومجد تالد ● ينمو به نسب اغر عتيق
ومناقب داود طووا اعترها ● بلاغ بتصريف الامور لبيق
وشمائل رشحت بغصن العلاء ● من منبت الشرف الاصيل عروق

كان اهل بيت الحضرة المولوية لما ابتدا المرض بمولانا
الشاهان المولى يحسبون ان ذلك مرض ضعيف مثل ما كان
يعتريه المرة بعد المرة فيعافيه الله منه وكان الذي يباشره ويليه
في ذلك المرض هو ولده الاعز الاغر اللبان العقبة النجيب
ذو الاوصاف الطاهرة والخلق العجيب ابو الفضل مولاي
العباس ولذلك لم يعرفوا على مولانا المظفر امير المومنين ولم يخبروه
باشتداد المرض بمولانا المؤيد وكان مولانا امير المومنين المظفر
مشغولا بشؤون خلافته بحضرة مراكش ولم يكن عنده من الخبر
الا كون السلطان مريضا مختصرا وان ذلك كعهده من

من الامراض المعتادة التي تعقبها السلامة والعافية عن قريب الا ورود
بكلم يزعجه الاورود الخبر من اخيه مولاي العباس وغيره من اهل
الحضرة كالوزير الكاتب الفقيه السيد محمد الصفار التطواني
ان السلطان فراشه ووقع الاياس من حياته فخرج من مراكش
من عجالين ذي بر الحياة فلما صدر عن الحضرة بليلة او ليلتين
لقيه الخبر بموت مولاي المؤيد فولى التعزية مع بعض اهل
الحضرة بتزواس ومكناس وجميع العساكر البخارية وغيرهم من
الشرفاء والعلماء واهل الحل والعقد واعيان القبائل من الاعراب
والبرابر وبوخيمها المراكشي فلما وردت اجتمع الناس كلهم
بجامع الكتبيين اهل مراكش والعسكر الشوسي ومفض في
الرحامنة واهل الحوز والدير وغيرهم بحضور كبار اولاد مولاي المرحوم
بالله تعالى واجلهم مولانا علي وعامل البلد السيد احمد بوستة
وباشا الجيش العقيد القائد ابراهيم الاكراوي وعمال الرحامنة
وشرفاء البلاد وعلمائها فلما غص الجامع بالخلائق الذين لا يعلم
عددهم الا الله سبحانه قرئ عليهم كتاب مولانا المنصور المتضمن
الاخبار بموت والده السلطان فبادر تعالت الاصوات
بالترحم على السلطان الماضي الى عالم الرضى والرحمة وبالنصر لمولانا

122

امين

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

62

امير المومنين المطيع الذي اختاره الله لحماية حوزة الامة، واقامه لصيانة الحرمة، فلم يختلج به وطر الداخر، ولا الشفله ولا بجره بابعوام وشاذ له المشهد المبارك الجميل على ان تكتب البيعة المحمدية الصعود بالنفس البليغ والخط الجميل فقال الفقيه العلامة القاضي ابو عبد الله السيد محمد السعيد، الذي هو في كل المكارم والمحاسن وحيد، والله ما سوادك لعلنا باهل، ومثل هذا المقام لا يقوم فيه اولوا الجهل، فالح على ذلك الجمع بالمبادرة والاستعجال فلم يعولوا في صحة في ذلك المجال فكتبت منها نسخة مباركة على لسان اهل مراكش المحفوظة المحروسة ونسخة على لسان الجيش السعيد الشوش انصار الحضرة العالية التي هي في ساحة المجد والسعادة مغروسة ونسخة ثالثة على لسان الرحامنة القبيلة التي هي لحفظ الجوار ضامنة وبحفظ جوارهم تكون الحضرة آمنة ثم ان الغاية الاجل الفاضل الحازم الذي هو لحفظ الحرمة والنصيحة ملازم ابو العباس السيد احمد بوستة اعيان الحضرة وأشرافها ورؤساءها واعيانها ارتيا فهبوا للوفادة والتوجه لحضرة مولانا امير المومنين بحضرة مكناسة

123

لاجل التهنية والتعزية وكذلك الباشا القايد ابراهيم بن سعيد
الاجراوي وهيئة اعيان الجيش واشياخ ايالته من قبايل الزرارة
وكذلك عمال الرحامنة وجميع القبايل الحوزية فتوجه كل ببيعته
وهديته فلما وردوا على مولانا المظفر فرح بهم غاية الفرح واغدق
على الجميع فضله واحسانه وكرامته واجازهم بالجوايز المعتبرة وفرح
جميع المسلمين بولاية مولانا المظفر في حياة والده ولم يتغير شيء من
امور الدولة الشريفة عن الحالة التي كان عليها مولانا المقدس في حياته
والدهور التي ظهرت بعد وفاته وقد وقع مثل هذا لمولانا اسماعيل
في غاية الشبه بجده وسميه وهو السلطان الناصر سيدي محمد بن عبد الله
فانه لما مات مولانا عبد الله ما تغير شيء من امور السلطان
سيدي محمد فانه كان سلطانا في حياة والده وكذلك مولانا امير
امير المومنين مولانا المظفر نصره الله فانه كان هو السلطان
بحياة مولانا المقدس والده **ولما** وردت البيعة المراكشية
على امير المومنين كما ذكرنا امر ان تقرا بالحضرتين فاس ومكناس وكتب
اردت ان اثبتها هنا فبحثت على نسخة منها عند غير هذا
المحل فلم اجدها عندي وكتبت وجهت لحضرة مولانا نصره الله
مع وفود التهنئة هاذه الابيات في رثاء مولانا المقدس

المرحوم

63

المرحوم جوّد الله عليه ملابس الرضوان في كل حين

في ذي الحياة شبيهة الاحلام • ما الناس ان حققت غير نيام

حسب الفتى ان كان يعقل ما يرى • منه ولا ادعى رؤيته استعلام

فيرى بداية كل حي تنتهي • ابدا وان طال المدا لتمام

والنقص من عجب المرور بغفلة • عما يراه في مر الاحكام

اوليس يلمح ما يرى متعاقبا • بين الورى من سطوة الايام

من لم يصب في نفسه بمصابه • بحبيبه حكما على السرّام

فعل المنية شيبت بفعيلها • فوضحا ان يبتلى بسقام

دار يرى العبر لغيرها • ويظنها المغرور دار مقام

منع البقاء بها تخالف حالها • وتكرر الاشراق والاظلام

لو كان يخلد امرؤ دام ملك • بكثرة الانصار والخدام

لنجا امير المومنين ومن غدا • اعلى ملوك الارض نجل هشام

خير السلاطين الذين تقدموا • في الغرب او في الشرق او في الشام

من آله ورحمة منشورة • كانت مراد وملة الاسلام

فقضى على دينه الحمام فاعقبت • ان هددت علماء الاعلام

لم تحجب الحجاب منها كارفا • كلا ولا دفعت يد الاقوام

والملك عن مهيب شانه • واماه في حيرة الفرغام

125

عجبا للعالم نغتر من فتكاته • والاسن تنذر حوله وتخادع •
عجبا للعالم نشتهي من وجهه • والوجه ابهى من بروق تلمع •
عجبا للعالم نرتجي طول قيامه • متمتعا الله خير متاع •
تبا للعالم ندرم محنتا به • ام مقتنع بجوار الملك الاعلى نباع •
اسفا على دار الجلال وانه • لا حل من اسف ومن هلاع •
يا مالكا كانت لنا ايامه • ظلا ظليلا دائم الانقلاع •
لا غرو انك قد رحلت مقيما • دار الهناء وجنة الاكرام •
في حضرة تغدوا عليك بشائر • من حورها بتحية وسلام •
فاجعلت في تلك القصور كواعبا • ورتبة الانوار والاجماع •
تسقيك من السلسبيل مروقا • وتديم كاسا من مدام مدام •
ولك الرضا فانعم بما اعطيته • ولك الهناء بنيل كل مرام •

وبعد ذلك بايام وجهنا ولي عهد الله حفظه الله لحضرة مولانا المعظم مهنئا له بهذه القصيدة الاخرى

وجوه الاماني حسنها متجدد • ومنظرها بحلية خير مورد •
فضل الحب في كل القلوب بانه • تمايل ارباب الجمال واعتد •
وكم من عصي للهوى متعفف • يعجب الشهود العيون ويعقد •
تعشق كلبي على حين غفلة • مهفهفا مستور الوشاح اغيد •

فاصر

126

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فلا صبح مفقود الفؤاد مخبلا ، واي فؤاد عاشق ليس يفقر
ولابد من اسم الغلام وفرعه ، نجوم ضعاف ليلهن مسهر
اذا الليل اضواها تخفيها الهوى ، وليس لها غير الكواكب مخبر
وفي ضماير الضلوع يجنه ، الى رشفات للصبابة تبرد
تراءى له من مختفى الجزع برقه ، فخبر بان الجزع ثغر منضر
وتذكره تلك البروق متابسما ، عليهم من محض الجمان مغفر
يراقب اسراب النجوم مجيلة ، تقضيها شطرين نشر وعفر
ويعجبوا الايام العقيق وتنثني ، مدامعه مثل العقيق تبدد
وما يتناسى عهد من سكن اللوى ، اذا العيش غض والحباب تشعر
ومازالت الايام تغرينا النوى ، وتنبع الذي نهواه عنا وتبعد
ولست ابالي للزمان صروفه ، وكهفي امير المومنين محمد
خليفة رب العالمين بارضه ، ومكارمه الثكالى الشتات المهتز
اطاع تولى الله تشييد ملكه ، وناهيك ملكا بالاله يشير
ومعقود هذا الخلو من آل هاشم ، واعلى ذوي التيجان مجدا واجدر
وارسخهم في العز والعلوية العلا ، واكرمهم في الفضل ظلا وازير
اتته عروس الملك عاشقة له ، وكم عاشق عنها يزاد ويطرد
والقت عن شوق اليه زمامها ، فكان لها منه الجناب المهجر

فيا حسنت الايام تزهو بحوله ، وتعبق في هذا الثناء وتعطر ،

ومع بابه ساوى المكارم والنوال ، وفي بابه الخيرات تولى وتوجر ،

ودولته للعز والنصر مالف ، وحضرته للامر والنهي مفخر ،

تؤم ملوك العالمين لبابه ، وترجع منها ابهة وتنجر ،

له راحة في الجود ما الغيث عندها ، وما البحر والدر النفيس المغلر ،

له انعم تكسو الخلائق الغنى ، وتسحب اذيال الغمام وتزهر ،

وعزم على الخيرات ليس بطامع ، فعالته في المكرمات ينهر ،

وراي ينير الخطب عند اعتكاره ، ويحسر ما ليل النوائب يغفر ،

ووجه اذا ما لاح ايقنت انه ، محيا له وفق السعادة مولد ،

حيي كثير الابتسام مبارك ، يكبر في بر او يوحد ،

اعز بما ذا الحرب منه معاطفا ، تجر ذيول العز منه مجرد ،

له العسكر الجرار في حومة الوغا ، صوارمه منه والمدافع تهدر ،

يقود الى الاعداء كل كتيبة ، تزر عن يمين وبها الوشيج المسرد ،

وكل كمي كالغضنفر مغضب ، وكل صقيل وهو ماض مجرد ،

يبيد العدا قبل اللقا مهابة ، فصارمه في الكف وهو مغمد ،

هو الملك المشهور بالحلم والذكا ، وبالعلم والشهب الدراري تشهد ،

تشد الى دار الخلافة عند بابه ، ركائب اضناها الرسيم المسهد ،

بحر

128

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

يحدث عنه الوهم عند صدوره • أحاديث عن جاذا البحر بحر
إلى مجده آمالنا فرقتها ولكن وليس لها إلا حماه المؤثر
فيا هالك يحمي الرعية بأسه • ويحييهم بالبذل والبذل أغزر
يرى فيهم كل يوم مصالحا • تعود بآي فوز والعود أحمر
ويغنيهم بالعز والعفو والندى • ويحلي بالعطاء من هو معسر
هنيئا لك الملك الجديد فإنه • يروم بمجد الله وهو ميسر
هنيئا لنا فخر العصر وإننا • بسعود مولانا الإمام نسعد
ودونك يا خير السلاطين كاعبا • بديعة حسن للنهى تتودد
تدير كؤوس الراح دون تأثم • إذا عن أبناء المعالي تنشر

فلازلت ما بين الملوك مغيرا
كما أخيتم من بين المعاقل عيشجم
ولمسلى

ولما ورد ولدنا عبد الله لحضرة مولانا المقدس بحضرة
مكناس مع وفود التهاني من كل ناحية من جميع أقطار المغرب
فرح بهم وأنزلهم وأفاض عليهم أنواع البر والإكرام وأصناف الخير
والبركات وخص ولدنا من بينهم بمحبته وكساهم بالملابس
الفاخرة التي تناسب عطايا أعاظم الملوك وأساطين السلاطين
وأجازهم بالجوائز المتكاثرة المتعددة مع مفور وأرجعهم
بالسلامة والفرح والسرور وذلك بعد اضمحلال ما مر من
من البرابر الذين يسعون في الأرض الفساد ولسيرهم غرض

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الا في توهين المملكة وليس للمملكة اعداء غيرهم وذلك ان المولى
عبد الرحمان بن مولانا سليمان وقع له مثل ما وقع لمولانا عبد الواحد
في صدر خلافة السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان ولما مات
السلطان العادل مولانا سليمان رحمه الله بايعه اهل سجلماسة
جهلا منهم بعواقب الامور ووجه مولاي عبد السلام بن سليمان
خليفة لهم الى الكثير كما قدمنا شرح ذلك في راية السلطان المؤيد
ووردت عليه مكاتب من الغرب ممن تعقب ولايته من اهل مودته
تحضه على القدوم وقالوا انك اذا قدمت فان الناس لا يعدلون
عنك الا انك البركة الباقية من اولاد سيدي محمد بن عبد الله فخرج
من تافيلالت مغترا بذلك ولم يكن عنده علم بان اخاه المرحوم السلطان
العادل قد عهد الى الرضى مولاه دون غيره وبمحضر من كان من اخوته
واولاد عمومته ذلك كله اتباعا للحق وايثارا لمصالح المسلمين فلما كان
مولاي عبد الواحد في اثناء الطريق وبلغه عهد اخيه لمولاي عبد الرحمان
ندم على ذلك فكتب في الحين ببيعته لولد اخيه السلطان المؤيد
ووجهها له وكان مولانا عبد الواحد رحمه الله من اهل الدين والمروءة
وعلو الهمة والعقل الراجح بالمكان العالي وما راينا مثله في محاسن
الاخلاق ونزاهة النفس مع المشاركة في العلوم ومحبة الخير

واهل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

66

واهل الاجالس غير اهل الفضل والعلم والادب رحمه الله تعالى وهكذا

وقع لمولانا عبد الرحمن بن سليمان فانه صدرت منه تلك الفلتة

بسبب كتابة بعض الاشراف من ابناء اعمامه الذين بفاس ومكناس

ومن بعض جهلاء البربر امزاذ من عبيد البخاري وكانوا يستحثونه

ليسرع بالوصول الى الحضرة بامر مولانا امير المومنين المتبع

ولم يعلموا ان الله تعالى بالغ امره فلما قرب من فاس ووجد الامر قد

استحكم لامير المومنين اراد الرجوع الى محله والقدوم على مولانا

المطيع كما فعل مولاي عبد الواحد وياليته فعل ما نواه والله لو قدم

عليه لنال المنزلة العالية والمرتبة الشامخة السامية ولكن

جاءه بعض رؤساء الفتنة من البرابر وهونوا عليه الامر ووعدوه

بالنصرة والذب عنه والقتال دونه حتى يدرك ميراث ابائه

فنهضوا به الى ان دنا الى فاس فحالت جنود السلطان بينهم

وبين الوصول الى فاس وكان الوزير الفقيه النجيب ذو الراي

الاصيل والخلق العجيب ابو عبد الله السيد العربي بن المختار

الجامعي رحمه الله قد وقف جهده غاية الوقوف كما يجب

فلما راى البرابر الجرم بهم على ما هو عادتهم من الغرور والكذب

رجع مولانا عبد الرحمن على حال سبيله على انه لا حرج عليه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في ذلك وعذره ظاهر كما قال هرقل لما سأل ابا سفيان بن حرب
عن النبي صلى الله عليه هل كان في آبائه من ملك فقال ابو سفيان لا
فقال له هرقل سألتك هل كان في آبائه من ملك فزعمت ان لا فقلت
لو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك ابيه هـ فيفهم
من كلامه ان من يطلب ملك ابيه لا لوم عليه ونحوه تفهم لنا في
رأيه مولانا عبد الله رحمه الله اعلى قوله لاخيه مولاي المستضيء بعد
ان اعطانوه وسلب وافنى جميع مقدوره حتى غلب وانت يا اخي
لا لوم عليك لانك انما تطلب ملك ابيك هـ وكذلك مولاي
عبد الرحمن بن سليمان لا لوم عليه في ذلك وانما عليه الملام حيث لم
يأو الى مولانا السلطان الاعظم لما ظهر له ان الله تعالى فضله اختاره واصطفاه
لرعاية خلقه لما جبله عليه من الرحمة ولو فعل كما فعل مولاي عبد الواحد
مع السلطان المؤيد لادرك من العز والكرامة ما لا غاية فوقه وقد
ورد اخوه شقيقه مولاي عبد الله بن سليمان على مولانا السلطان الاعظم
فاكرمه فوق ما يخطر بالبال ووجهه لاخيه المذكور مولاي عبد الرحمن
وهو بالزاوية العياشية يدعوه الى القدوم للحضرة المولوية على
الامان وقال له يتكفل عنه بكل ما يرغب فلم يقبلها وعز نفسه وكانه
لم يعلم ما خص الله به مولانا السلطان الاعظم من الحلم والسماح ومحبته

قال

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناء عمه الاباعد مطاع افقه
الغرباء فضلا عن اولاد مولانا سليمان اخواله جازاه الله تعالى
ثم جد بهذه الخطة التي هي محنة الشرفاء بعالم بها احرى من
اشلاحه الكرام مثله الا ما كان من سميه جد ابيه السلطان المنصور
سيدي محمد بن عبد الله سبحان الله فان اخلاقهما متقاربة
واوصافهما متشابهة وقد نبهنا على ذلك غير ما مرة في هذا التقييد
وسياتي ان شاء الله تعالى مزيد وقد كنا ذكرنا ان الوزير الاجل
الاعدل الكاتب الاكرم الاشعر السيد العربي بن المختار الجامعي
كان كثير منه غناء كامل وكفاية تامة بنفسه وقومه وحسن
تدبيره وعزمه لمولانا امير المومنين ذلك ما استوجب عنده المزية
التي لا يطمع غيره في ادراكها لولا انه اغتنافه حمامه وانقطع
في بير العقد الاجل زمامه فمات بان خمود نار تلك الفتنة

ح بانغلاد

وسوغ له بازل الارتحال مركب منيته وتشبيه موته ما كان
يصيبه من شبه الاغماء الذي يعتريه في بعض الشهور الا انه في هذه
المرة لا افاقة بعدها فرحم الله تلك النسمة الطيبة

ح ح والنسمة الطيبة

فانه كان وجه ابتهاج الدولة وطالع الانتصار لها
وعلم الصولة وقد صار اعتمد مولانا امير المومنين حفظه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وجعل كيفطته كومته ومع سار اولاده ولم يزل الاصبنيا من
اكراعه ولا تلاده بل ابقى عليهم ما بين ايديهم وضيعتهم
وجميع املاكهم واصوله وبلاده وهكذا داب مولانا المنعم
فانه ما قضى قط احدا من خدامه ولا اخلف امله وان بلغ الغاية
فيما احبه واقترحه فاحرى اهل المحبة الصادقة والولاء
ومن اخلفه الشيطان بعد تبرئه الابتلاء فلما صفت الخلافة
لمولانا امير المومنين وتمهدت واستقر على كرسي السعادة ثم
وتفقدت وجرت احكامه في جميع اقطار المغارب ولم يتخلف احد
من اشياخ المسلمين ورؤساء القبائل واعيان العرب والبربر عن المثول
في حضرته العالية واداء الطاعة لعزته الغالبة فاقر كل عامل على
عمله ولم يحل بين احد وامله وكذلك اجناس النصارى وملوكهم
ما خرج احد منهم على عادته المعروفة ومرجعيته المدونة المحررة
مفروضة كل جنس رسله ومكاتبه وهداياه وابدى كل من طلب
البقاء على المهادنة خبايا له فانعم مولانا نصره الله لجميعهم بما
طلبوا وقابلهم بالاحسان والجزاءات لما جلبوا الا طاغية
جنس الاصبنيول فانه كان هادنه مع اهل هذه الدولة
الشريفة في ايام السلطان المنصور سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله

134

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بغاية الاعتناء بهم دون غيرهم من الاجناس وكانوا عنده
بمنزلة الجند يقضيهم الاغراض الكبار لقرب جوارهم
واصطبارهم للخدمة التامة والعناية بكل ما يامرهم به من
قليل او كثير وكان سيدي محمد رحمه الله يولي بهم الاجناس جل
الامور ومما انعم عليهم واعطاهم العوايد والصنايع
والفتوح حتى يودهم من يعود لاستخدامهم ومعاملتهم
بالاحسان بالقواعد الجامعة هاذه الدولة ثم لما مات سيدي
محمد وانقرضت تلك القواعد التي كان بناها معهم بولاية
غيره لاسيما مولاي اليزيد فانه تكافاهم بالعوايد لهم ولم ينفع
منها بشيء ولا ما قل ولا جل وانما زال عنهم الهيبة التي كان
مستولى على اهل هاذه العدوة المسماة عندهم بالبربر
فلما زال ما العوايد مع سيدي محمد وما قبل مولاي اليزيد عوضا
انهم ضعف المسلمين حيث جمع الفتوح التي قد علمها وجاء
بتقبيح بلا تاويل واحسن تدبير فانتزعوا من اخذ عنهم لا
كما يليق وجاء بتقبيح بلا تاويل لما فتح عليهم اهل ما كتب
فهذا كان السبب في اغترار الصبنيول حتى تجرؤوا وطمعوا
في الاقتدار على المقابلة بعدما كانوا خدمة للسلطان المنصور

او قريب او بعيد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

نسيج محو فلما جاء الله بمولانا سليمان واطلع على حقيقة الحال
وما آل اليه امر الوهم وعلم انه لا دواء لتلك العلة الا مساعرتهم
على ما رغبوا فيه من المهادنة جعل الجموع امرا معهم فكان الخير
نفسه بغير ذلك فلما جاء مولانا العاهل المؤيد مولانا عبد
الرحمان سلك مسلك عمه العادل في ذلك ولم ينزع عن مذهبه فلما جاء
الله بمولانا المظفر بادر الكفار الى انتهاز الغفلة والناس في شغل
عاد عليهم من فتنة السلطان المؤيد ومولانا امير المؤمنين المظفر
كذلك في الاشتغال بتمهيد المملكة وترتيب وظائف الخلافة
واسترجاع غصص التفجع بالمصاب الهائل الذي مؤمن والرعب
والعدو المذكور منكالب على اساءة الامور وايرادها على موارد
التعنت واظهار الفرح وانتظار امير المؤمنين نصره الله
بعض اهل الحزم والهيئة فلا ثار عليه بمبارزتهم ومحاربتهم
ومنابذتهم واشتهر امرهم غاية فوجه مولانا نصره الله
بعض خدامه فوجه مولانا نصره الله بعض خدامه يؤذنهم
بالمحاربة فاستأذن له البعض الوساطة وامره في التفحص
في غير علم فاستنفر مولانا المظفر نصره الله غزاة المسلمين
وعساكر الدولة الشريفة وفتح ابواب الاموال والعدة والقوة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

المرخية لذلك فأوفر على الناس ما جاوز من العطايا والمبرات
والمؤونات والاقوات وفي اليوم سوة جمعنا ما جمعنا له
ووجه أخاه وخليفته البطل الحازم العظيم العلامة
أبا الفضل مولانا العباس فأقبلت القبائل والعساكر والجنود
المجندة من جميع الأقطار بالأعداد التي لا تحصى غير أنها لما
جاءت بلا ترتيب ولا تعبية ولا على هيئة الحرب وكان بالقرب
من ذلك الهول عهدهم بالقراع والضراب بل العرم منذ أهونتهم
ذلك الحفظ وظنوا أن كثرة العدد تغني في هذه الأشياء ولم يعلموا أن
الكثرة المفرطة هي سبب الانزعاج والخذلان فلما نزلت تلك
الجنود بالسواحل القريبة من مقاربة العدو وأطالوا
المقام وعكفت رؤساء المحلة على الراحة استلذاذا واغتناما
لكثرة الأموال والرواتب والمؤونات التي بعثها مولانا
أمير المؤمنين بقصد الجهاد ومولانا نصره الله يستحثهم كل حين
ويأمرهم بالمناجزة ويعرف غفلتهم ثم أصبح العدو قد أخذ
أهبته وبلغ على الصفة عيونه وجواسيسه ما عليه جنود
المسلمين من عدم التأهب ومن الاغترار ومعاملتهم بالمطاولة وعلم أنه
يطول الشر لأمر فكان إذا قرب منه المسلمون صبحهم بالرصاص

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ومن معهم بالمدافع فيتأخرون وتبقى مواضعها لنا حتى ان
الامر انحصر الى تطوان بعد انكشاف الغزاة عنها في اخبار
لا يحصر عليكم وكان من قدر الله تطوح العدو اليه ومع ذلك لم
ياسر على بعض من المكاس وانقلاب الدائرة عليه لانه في ام كثرة
الناس مما لا يمكن ان يغلب في العادة فتخوف العدو ان يكون ذلك
مكيدة له فلذلك عرض على المسلمين المهادنة ان ارادوا فلما
رفعوا ذلك الى الخليفة مولانا العباس اعزه الله فعل ذلك لما
في ام سوء حال المسلمين وعدم نصحهم لله ولرسوله ولدينهم
فشرط العدو على المسلمين ان يدفعوا اليه جميع ما انفقه في حرب
ذلك وحكم الله فقبل الخليفة على شرط ان يخرج العدو من تطوان
فما نبرم الصلح على ذلك وكان في ذلك الخير والله تعالى بالمسلمين
ورحمته لهم فيما يستعتبون ويراجعون انفسهم ويتداركون
حال التفريط ان كانوا يعقلون وما اصيبت هذه المحلة الا من كثرة
الجموع بلا ترتيب ولا معرفة بتجربة التجاريب ومباشرة الحروب
انما كثرة العساكر في كتب الحكمة انه اتفق اهل السياسة
من العرب والعجم على ان كثرة الجموع لا توصل غوائلها ولا ينضبط
امرها ولا تقوم لما امن المراتب وكل من حارب بجميع عساكره

فهو

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فهو معزول وكل امير أمر امير اعلى الكبير العام عساكره فيفرقه
للتلف والامير الخارج عن ولايته يضبط الالف فاذا كان للملك عشرة
امراء عند كل امير العسكر العشرة مضبوطه فيكون له بمنزلة مائة الف
مهملة ولا نحتاج قوة الميزان الكبير عشرة الالف ليكون نظر
الملك جميعها فاذا زادت العساكر على ذلك يقع فيهم الخلل وتسرع
اليه الهزايم وقد وقع ذلك في الجاهلية والاسلام ومن طالع
اخبار الامم الماضية تيقن صدق هذا وأما نشوء البنا
ع سليمان وافعة العلكان الظاهر امولانا رحمه الله في حركته لجبل فازاز لقبائل
ايت امالو وزايان وغيرهم فانهم ما اتوا الا من الكثرة المهملة والجموع
الجراجية المرتبة الخالية عن الاحكام القانونية والرؤساء
الضابطة التي تقمع اتباعهم بقيامهم وتفتخر بقعودهم
ومن ذلك ايضا في غير هذه الدولة ما وقع في دولة السعديين لجيش
البرتغيز في وادي المخازن فانه اي البرتغيز حضروا بلغة كافة
من الجنود ووقعت الكسرة عليه كما هو معلوم في محله ومن ذلك
ايضا في دولة الموحدين ما وقع للناصر بن المنصور في غزوة العقاب فانه
قال في نفح الطيب ان الناصر جمع جموعا اشتملت على ستمائة الف
مقاتل جميعا حكاه صاحب الروضة السنية في تاريخ الدولة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

المرينية وقد داخله الاعجاب بكثرة من معه من الجيوش فصاف العرب
فكانت عليه ولم ينج من الستمائة الف الا عدد يسير جدا
لم يبلغ الالف فيما قيل وهذه الوقعة هي الطامة
الكبرى على الاندلس العارفين بل على المغرب جميعا وما ذاك الا
لسوء التدبير فان رجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج استخف
بهم الناصر ووزيره وشتت بعضهم ففسدت النيات فكان ذلك من
موجبات الهزيمة والله غالب على امره كذلك نعم الكيد ومن ذلك
ايضا ما وقع لابي الحسن المريني في حركته المعلومة لافريقية
قيل انه كان معه من جفن الكتائب اربع عشرة مائة محفة فوقع
به ما هو مشهور **قال مؤلفه عفا الله عنه**
ولعل به امير وعلة ذلك والله اعلم هو ما فيه من الاعجاب فان
النفوس البشرية مجبولة على الاعتماد على ما يقع لها من
استحسان حالها ومن تعجبه نفسه فهالك لا محالة وقد اشار
الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذا بعثت سارية
فلا تنتقهم واقتطعهم فان الله تعالى ينصر القوم باضعفهم
انتهى فقوله عليه السلام فلا تنتقهم اي لا تخترهم جيد الحرب
اشارة الى ان المومن لا يتكل الا على الله تعالى في مهماته واذا

اتكل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اتكالا على شيء من اسبابه من كثرة او اختيار او غير ذلك علما انك لا ترى
ان الله تعالى بعد ما اخبر المومنين بانه امدهم بالملائكة قال لهم وما
جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله
لئلا يتكلوا على الملائكة ه وحدثنا بعض الثقات ان السلطان العادل
مولانا سليمان رحمه الله لما حل ونزل ببلاد تادلا وقطعوا وادي ام الربيع
من اعلاه ودخلوا البلاد التي امالوا من الكثرة الخيل والجنود المحشورة
قال البعض حتى ان الضيق من البلاد ما اتسعها واسهلها ومن كان
المرابط سيدي العربي بن المعطي يحذرنا منها ويخوفنا من اهلها
ولو كان حيا في هذه الحركة ما تركنا نجاوز وادي ام الربيع اه
فهذا القول يدل على ان مولانا العادل رحمه الله اعجبه ما راى
ووقعت له غفلة ليقضي الله ما اراد والكمال لله سبحانه وقد
قلنا ان هذا الطلع الذي صدر في هذه القضية من لطف الله بالمومنين
ورحمة لهم ومن الغريب ما اتفق لنا مع بعض من ينتمي للعلم
والرياسة وهو انا كنا في بعض الجامع وحضر في ذلك الجمع ذكر
هذا الطلع المنبرم مع الخيار فاطلق ذلك البعض لسانه بغير
احتشام وصرح بان هذا الطلع محرم لا وجه له في الدين وكان عادة اغلا ادبه
منازعة اهل امثال هذا والمجادلة ثم ظهر له انه محجوب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في مثل هذا المقام عن السكوت لان السكوت عن ابتداء الحكم هو عين
الباطل لا سيما مع حضور جماعة يشنعون على الخير بهم فقلت له يا هذا
ان مثل هذا الفعل صحيح بل واجب وقد وقع نظيره في مواطن عديدة
لجماعات من المتقدمين وبحضرة العلماء الذين هم حجة الله في الارض
ووافقوا عليه ولم يقع من احد منهم ادنى انكار فقال اين وقع
مثل هذا قلت في صلح امير المومنين بالاندلس ابن الاحمر بغرناطة
وحضور جميع علماء حضرته في ذلك العصر وصلح اهل طليطلة
قبل اخذها على يد اميرها ابن ذي النون باذن علمائه وصلح ابيها
وصلح اهل ابي بقية مرارا كما ذلك مسطر في كتب التاريخ بنقل
الثقات وصلح امير المومنين العثماني في هذه الازمان على شروط
لا يكاد يحكم لها وجه في احكام الشرع ولم ينكر احد من علماء ايالته
الواسعة لا في الشام ولا في مصر ولا في غير ذلك وكل هذا وان قل من
على انكاره جاهل في زمانه او هامة وشيء افكارهم ، ذاكر الحجج
واهية الركاكة التهافت متناهية ، ثم قال في المختصر
وان قال يعني ياخذ المسلمون من الكفار لا يعطي المسلمون للكفار
فقلت هذه المبالغة لا يتعين رضى عنها للمجهور وان كان هو
الراجح فقال كلامنا في الراجح فقلت فاين انت عن الاستثناء

المذكور

142

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

المذكور بعد ذلك وهو قوله لا الفروع فإن الخصم ما يغتر به كلام
خليل مع كلام الأصل المازري وهو قوله ولا يعادل الأصل الفرع
بإعكاسه مالك لأنه عكس مصلحة أخذ الجزية منهم لا الفروع
التخلص منهم خوف استيلائهم على المسلمين وقد شاور صلى الله عليه وسلم
السعدين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة لما أحاط قبائل الأحزاب
بالمدينة في أن يبذلوا للمشركين ثلث الثمار لما خاف أن يكون الانكسار
ملت القتال فقال إن كان من أمر الله تعالى سمعنا وأطعنا وإن كان رأيا
فما أكلوا منه في الجاهلية تمرة واحدة إلا بشراء أو قرى فكيف وقد
أعزنا الله بالإسلام فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزمهم على
القتال ترك ذلك فلو لم يكن الأقوى عند الفروع جائزا لما شاور
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فلما شرحت له هذا
جعل يحتج على العوام بأن ذلك هو ما عليه عمل الناس من
الفضة أطلعته أو ذكرت له مثل الجزية التي سماها الله تعالى
فيما في القرآن المبين مع ما تضمنه في بادي الرأي من شبه
الجزية التي أنكرها سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بين له
الفرق الأكبر منها من المراد من الوصف القادح فلما ذكرت له ذلك
صار أصمت من سمكة ولم يجد بعد ذلك حنكه ولو نجز في كلمة

الحاضر يرمى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

كأنما الغيم يجري مع بلا عجمة وإن كان بلغنا أنه بعد ما انفصل من
هذا الحاكم منه أنه لم يخرج عن الانكار فنسأل الله السلامة
والعافية ولما نظمت القصيدة الهائية في العيد النبوي
عام 1282 في مدح مولانا أمير المومنين وتهنئته بالعيد
المبارك على العادة أشرت إلى هذه القضية ولم أصرح بهذا
الرجل ولا أصرح به لأنه جاهل مركب والله سبحانه وتعالى أمرنا
بالإعراض عن الجاهلين وهذه نص القصيدة

بشرى لك فهو أعلى ما ترجوا وترضاه ... وكل ما يبتغي الناس تكفاله
بالعدم ممتثلا أمرا نشير به ... جهرا بما يقتضيه الرأي تعطاله
أضحت بك الملة الغراء ضاحكة ... والدين أضحى معتزا أفياله
والملك فوق أنهر فنا أزهارها فرحا ... بنور وجهك حص الله مرآه
ومرهف برياح النصر رايته ... وأنت في ظلها الميمون تغشاه
واشر في العز والإقبال داعية ... لما جرى الحوت ميناه مجراه
بشرى قد أنجز الإقبال موعدها ... من ملككم الأمر أدناه وأقصاه
إن الكواكب في أولاكها حكمتنا ... بما قضيت به والحكم لله
من المغارب فوق الفتا أزمتها ... إليك فاحكم بما تبغي وترضاه
وللمشارق شوق لو صدقت لها ... ميلا من الملك إليهم تمناه

144

ولو

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ولو رميت النجوم السائرات لما ، اخطاك منها الذي نويت مرماله

بشرى الزمان الذي اغنيت مالكه ، بالعز والعدل والاحسان بسرباله

جائت للدين والدنيا بجمعهما ، وانت تهدي الورى للحق اجلاله

سعت الممالك للتوفيق مطلبا ، ملاح الحزم لا تنعطف عن اله

جرت منكم اسنة مقطعها ، نحو مشتكيا ازلت شكواله

بالخيل تنشر والعز مجتمع ، والعز مغتنل فرباح مبداله

اصعلت مالوقد الحرب ما ضرم ، وطاب موفرها والتراخي اله

جمعت للفضل بالراي الشديد بما ، سيجمع الدين والاصلاح عقباله

على تنبلج نور من جوانبه ، حتى اشتبان الهدى وظل مغناله

على وصوف ايالة التي شهدت ، ما كان يظهر وجه الرشد لولاله

ابهته بين بيضا مباركة ، الكرم بعينها ما كان ازكاله

يتيه في بطاح العز عن نفسه ، وان يتم لدار حار سبناله

على الحربية المتلوة صحف ، وفي منبر بعدها الثنا سماله

فرائد البرائة ما تقصر عن ، شيمة الزينة والعاز وبالباله

وفيه سر رائق العقل مختفي ، والسر الاين الصدر سوانباله

وصورة الحال في معنى مشابهة ، وللحفا جوامثال واشباله

يا خيرة العشائر وابن سيدهم ، ومن له في سما الجود اعلاه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لو كان غيرك في هذا الامر جاءله . لكان حيرته وكلى العيال .
وانت يا ناصر الاسلام منتصر . بالله انت تجي في الامر الا هو .
مظفر منجح لك العلا كرما . ابوابها وكيف ما انت تختال .
مؤيد بجنود السعد مكتنف . بالرعب تنزل بالاعداء بلواله .
يا من له رسول الله منتسب . على الله غاية التعظيم والجلال .
يهنيك مولد خير المرسلين بما . اجلت مولده حبا واحتفال .
عين تشرف بالتشريف مطلعه . اذ لاح للمصطفى فيه محياله .
وانت يا خير من يدعى خليفته . كفلت امته نهجا دعواله .
والبيت في الشهر والى وكنت له . ركنا وعاديت من في الناس على داله .
يا ابن الاماجد من ابناء فاطمة . ومن هم لبحور الجبر امثاله .
انا رجوناك للجلى وانت لها . لا خيب الله فيك ما رجوناله .
نوالك اغنى وافنى كل مفتقر . ونحر افقر مراعيت من ساله .
وجاء من فضل فيض الغيث منسجما . حتى الابا عز بالتيم عطاياله .
ما بال عبدك هذا من الكبر . نال الزمان فضاله واغناله .
عبد مطيع طويل الباع معتصم . مهند مجزن بالطبع مثناله .
ينمى الى فرح العال وقر آخر . في كل علم العلا العزيز بلغاله .
وانت يا ابن رسول الله لو نظرت . رحماك حالته لعاد مشغاله .

146

ولو

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ولو رنوت بعين العطف جانبه ، لاهتز فخرا على الاكفاء عطفاه ،
وقد وعاد امير الله مظفرا ، حاشاك تمطله حاشاك تنساه ،
لازلت بدولة حيزة وابهى ، على مخايل عز بما بسر رياه ،

وقد ومن النصارى بجانبهم مجمعون الفلك من الخروج من
مرتطوان فلما خرجوا امر مولانا نصره الله برجوع من خرج منهم
ورجع كل الى محله ولم يرد اهم النصارى شيئا الا القليل
وانما نهبوه اخوانهم الذين يزعمون المجاهدين ولولا انهم اخذوا
حذرهم لفعل بهم كما فعل بالعدوية وباكر ومغنى القدوية علمتهم
والتعبير من اتعظ بغيره ولقد ولقد بالغ مولانا المظفر
نصره الله في الاحتفاء بهم والاعتناء بهم والشفقة عليهم حتى
عادت بلدتهم احسن مما كانت عليه واخلف الله عليهم كل ما
ضاع وحسنت احوالهم وبحسن تغارتهم ؛ وكان مدحها منتظرا
وقال في ذلك مصرا وما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجود
البركة في بقية الخواتيم فقلت له هو كذلك بلا ريب وقد وجه
مولانا نصره الله كاتبه الفقيه الاديب القاضي الامير الحازم
الناظم الناثر الحسيب الاديب ابا العلاء سيدي الحاج ادريس
ابن الوزير الاعظم الاجل الاكرم العلامة سيدي محمد بن ادريس

ح ح
وبعث امواليع

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في هذه القضية وفي غيرها من شؤون المملكة التي تقتضيها
السياسة والعادة المغربية بين الدول الى جنس الفرنصيص
ومن ناحية الجنس الاصبنيول ووجه كاتبه الفقيه العلامة
الماهر الاصيل السيد عبد الرحمن بن محمد الشرقي العباسي الى جنس
الانجليز حتى تقررت الامور وتمهدت على الوجه المعروف وتيسر
الاشياء في البر والبحر فكان لذلك تدبير صالح ووقع اعتبار كل ناجح
من حكيم بارز ناصح وهو مولانا امير المومنين نصره الله وكانت هذه
الاجناس الثلاثة المذكورة وجهت كل واحد منهم باشدور
وطلبوا من مولانا المعظم بنواب بهم ويثق منه بتوجيه بعض
خواصه وخدامه ليعلم الاجناس ان لهم حظوة ومكانة عنده
وذكروا ان لهم من حق الجوار ما يقتضي ذلك وان اسلافه
السلاطين الاعاظم كانوا يفعلون معهم ذلك وهو كذلك
فساعفهم مولانا بتوجيه من ذكر فكمل المراد بحمد الله تعالى
وانتظمت الاحوال وتفاضت الخيرات وشاع الامان في جميع
اقطار المغرب وشمل الناس جميعا عدل مولانا المعظم نصره الله
ولم يفقدوا شيئا مما الفوه في حياة والده المقدس رحمه الله
بل ازدادوا بركة على بركة وخيرا كثيرا الى خيرهم القديم ذلك فضل الله

والله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والشرف والفضل العظيم، ولما تمهدت الخلافة بيمن مولانا
المظفر ولبست حلل زينتها واشرق نور جمالها في مطالع علاها
رجع مولانا نصره الله الى حضرتها الكبرى وذلك عام تسعة وسبعين
وماتين والف انشدته في المولد الشريف على العادة الماضية

هاذه الرائية

حنانيك ان الشوق قد بلغ الذرا • اما ترحم المضنا الكئيب المسهرا •
وربما دار المستهام من النوى • له حالة سوءى ترق لها العرا •
فلا تسأل الولهان عما اصابه • وسل حاله ان شئت عنه فتشهرا •
تفاقم دينا كل حاكم به • لواحظ ظبي من احور اغيرا •
هو الصب لا تزداد لوعة حبه • اذا اطاول الابعاد الا توفرا •
فما تركت منه الصبابة والهوى • على حمل اعباء الغرام تصبرا •
وكم غاب في اهل الغرام هيامهم • وهم واحشاءهم في اكبرا •
وكم سلب الحب الرجال عقولهم • وحب الفتى يعني في سبل العثرا •
فلا تعجبوا من عشق قد صححتها • على زمن بالجزع فوقا مسعرا •
فيا حبذا ذاك العهد يا حبيب ذكره • سقاه الغمام الجود غيثا مرددا •
ولله عيش بالحمى قد محضت به • ليال املاح ما الزهر وان تغرا •
ليال تولى السعد فيه طلوعها • فكانت كما نهوى يمينا واشعرا •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ليالٍ بها قد ارغم الشرك انفها ، واصبح حسادا اوانكى واكمدا ،

اذا ذكرت نفسي منى الاحبة ، اهاج لها وجدا مقيما ومقعدا ،

وغرد القمري في غصون ايكة ، فجاوبت ذات الحمام المغردا ،

وقلت كفاك الله ما انت حاذر ، وبوئت في الادواح وكرا ممهدا ،

فانك قد ذكرتني زمنا مضى ، بهضب الاوراح للعلم موعدا ،

نزور بطا الصحح كالمر مصرخا ، اذا بلغوا ياسر حين تجردا ،

على انها فرقات لبيس بعابر ، ولا يتزى بالوهم ما قال ابعدا ،

فيا قد وفدنا للركاب ويمموا ، زيارة خير الانس والجن احمدا ،

وقد شاقني من نحو طيبة بارق ، بنشر مشوق الروح ما قد تعودا ،

وازعجني حادي المطي وقد شدا ، وردد خلف العيس بينهم الحدا ،

زويريا حادي المطايا فانني ، اتاك رسول الله اسمعه النِّدا

الا يا رسول الله دعوة فاقد

تخلف خلف الظاعنين وافردا

ولا عذر الا الضعف منه فانه ، تخلف ضعفا من العجز وازترا ،

واوثقه جور الزمان واهله ، فيشكو لمن دهر عليه قد اعتدا ،

ومن نفسه يا حجة الله يشتكي ، فبلغه الا الفتح هو الردا ،

فجاهد يرجو الله ما الدام ، فخلصه مما به قد تغيرا ،

ط
قوله في غصون ايكة
الغصون بالمعجم
ونقص اثناع لهذه
اوكل وقب جمع
خيطان اهرق

فليس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وليس له يا ابن العواتك ملجأ • سواك ولا يرجو لغيرك مفخرا •
وانك فرضت الحكام كلها • وانت لم تات النبوة النسرا •
عليك لواء الحمد ينشر آدم • فمن دونه في ظل منشوره غرا •
اذا جمع الله الخلائق كلهم • دعيت لمجد اذ الجمع سيرا •
وكنت شفيعا فيهم ولبست من • حلى الحمد ما زاد عزا وسؤددا •
سموت الى اعلى العلا وحزته • وخلفت جبريل الامين المؤخرا •
وذلك وهو قليل من نجلها • وحييت بانوار الهدى لم اهترا •
واطلعت شمس الحق من مطلع العلا • وفتحت بابا للسعادة موصدا •
وانذرتنا من نار كل شقاوة • وبشرت من اضحى حنيفا موحدا •
وعنيت بحر الضلالة فوضعا • على الطرف حتى استجابوا وازبرا •
وغادرت غير الشرك تبكي دماءها • على من بغا واهله وتمردا •
وبرزت في بدر وحنين كما انهم • فطار الفتى عنز الغليب مفردا •
ولحرت في الاحزاب تحمي حزبهم • وارجعتهم عنه خزايا مخذلا •
وحكمت فيهم كل اسمر ذابل • وكل حسام كالسواك مهندا •
يقولون كم ماح وانتم جاهروا • ومن نصروا الدين العوية المسددا •
هم الملا العالون في حصرة رضا • وهم اسسوا اس البناء المشيدا •
وهم بذلوا في طاعة الله انفسا • فكم ربحت تبع الثواب الموفرا •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وما زلت يا روح المعالي فيهم • الى ان محوا الشرك محوا مشهرا •
وجاءك نصر الله والفتح وارتضى • لك الله اعلاء العباد بسر مفخرا •
وصرت الى الاوطان حيا لتبتغي • لنا الاجواد الحو عزا ممهرا •
وطلعت فينا الذكر والاحكاما • فبالذكر والذكر الحكيم لنا الهدى •
هما النعمتان بارك الله فيهما • وخص امير المومنين محمد مفخرا •
خليفتنا المامون نجل خلائف • اجل ملوك الارض فخرا ومعتبرا •
من الدوحة العلياء من آل هاشم • وآل هشام ما اجلوا محبرا •
هو الملك الحامي البطاح ومن له • ربوتنا حق بشابة الاصالة مفخرا •
كسا دولة الاسلام عزا وزادها • واصلح ما اوهى الزمان وجددا •
وطال عباد الصليب عباد عتوه • لعزته تحت الصوارم اعبرا •
وعزة امثال الاسود عساكرا • تخر لها الاسد الضراغم محجرا •
وتهتز منها الارض عند ركوبها • وترجف اطواد الجبال تحيرا •
وتحسب ان الجو مار تأججت • بنصر لها باغي الفساد مشردا •
وتخفق في النصر بنودها • على علم المنصور اكرم مغفرا •
على الملك الجحجاح ابهى متوج • تبختر وافتاد الخميس المجمهرا •
واعلى ملوك العالمين منازلا • واكرمهم فعلا واهولهم سيرا •
واكرمهم رجاء عقلا وحكمة • واعرفهم بمشرع العلم موردا •

152

واوضح

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

واوفهم بطار مجد ومفخر • واوثقهم بنيان عز ومعقرا •
فصلى له تعنوا الناس طرا للامر • وتنقاد اجلالا له وتوددا •
بما ان يوليهم عوارف جمة • ويصفح عن ذنب المسيء اذا ابدا •
وبالعدل والاحسان مازال دائما • ايالته الغراء امرا موكدا •
به حييت ارض المغارب وازدهت • واضحت لها اهل المشارق حسدا •
هنيئا لنا انما اسعد الله ارضنا • بملك همام في العلا قد توحدا •
بابهى من بدر التمام جلالة • واسمح من فيض الغمام واجودا •
يقيم لنا في كل عام مواسما • مباركة فطرا واضحى ومولدا •
يفيض علينا من سحائب جوده • مواهب لا تنفد نحصي لها العدا •
ونحوله من المراتب جوهرا • فيمنحنا بالفضل تبرا منضدا •
فلا زال بالعمر الطويل ممتعا • ولا زال منصور اللواء مؤيدا •
ولا برح الاعياد يشهد نورها • بغرته ان راح يوما واغتدا •

ومن فضايل مولانا المنصور نصره الله التي ماسبقه اليها
احد قبله في هذه الدولة الشريفة اتخاذ العسكر على الهيئة
المتبركة المحمودة المعتمدة عند جميع الدول اليوم في اقطار الارضين
ويقال لها عند المغاربة النظام ولم تكن عندنا بهذه الدولة واستحسنها
مولانا نصره الله فاقترحها على والده رحمه الله فاذن له في اتخاذه فلم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بل امولانا المظفر نصره الله يزيد فيه ويبالغ في تقويته واصلاح
اموره واقامة اوده واعلاء شانه مع كون اهل الدولة
قد ثقل عليهم ذلك لاغتياضهم ونفرت طباعهم منه لامور منها
انهم لم يعهدوه ومنها انهم لم يتربوا عليه لانهم لم
يجاربوه ولم يباشروا السلطنة به حتى نفرهم من بينه
وعلموا انه لا تمكن الغلبة بدونه اليوم لمن غالبهم به لان المغالبة
هي مقابلة الشيء بمثله واذا انتفت المماثلة بطلت المغالبة هذا
بعض الاسباب التي اوجبت كراهيته لمن كرههم وهنالك
اسباب اخر لا يقتضي المقام ذكرها ومولانا نصره الله لما اطلعه الله
على حقيقة الحال لم يزل اجلاه الله اعانه مبالغا في ذلك حتى
فخر قواعده ورفع بناءه على الاساس وشيده للجد في رايته والده
المولى رحمه الله واجرى اليوم بمنزلة الراية العالية جار عنايته به
في غاية الازدياد الحار والاعتياد وكاد ظنها يقف عند حد ما لولا
دوام المسير من الالوف ايد الله هذا الدين بتاييد مولانا وعزه
وامده بامداد قدرته وجعل من انصاره ارواح الكواكب العلوية
تقدمه السعادة بمنشور الولاية ومن علو همة مولانا
المظفر نصره الله انه ما سمع خصلة من الخصال الا وحبه

اليها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

اليها سوابق الاشتغال حتى تستفرغ بريقها، وتبلغ جرانها
لزينه، فكان اجناس النصارى تتجه بكل غريب الشكل مما استنبطوه
ولا زيد غالي الاثمان اذا اشتهروه، فكانت حضرته العالية من اجل
ذلك مظهر العجائب، ومنال العقائل والرغائب، **من ذلك**
الالة التي يعرف بها الشهر ويعلم، حتى يوجد بكل حين ولا يعدم
ويغني عن طلبه من افاق البلدان، فلما اجرى الله العادة اليوم باستعماله
بسائر الاوقات لاشتداد الاحتياج للابدان، فاراد مولانا نصره الله ان يكفي
الناس مؤونة اجتلابه، ورام نصره الله ان يزرع البلاد لكثرة منافعها
دون غيرها من الافاق والجهات، فامر بغرس القصب الحلو واستنباته
وتهيئة المزارع الطيبة واختيار احسن اوقاته، ووجه على من
يحسن اعمال اخراجه من القوة الى الفعل، بغاية ما يطلب من الاجادة
والحفل، فجاء من النصارى كثير من العملة، الذين زعموا انهم يحسنون
عمله، فذكروا انه لا بد لذلك من محل مخصوص، وبناء مائل مخصوص
فامر نصره الله بالبناء واخرجت الكراء على ما وصف اوليك الانزال
فانفقوا على ذلك اموالا كثيرة العدد، في زمان هو يسير المدد، ووجه على مثل
ما يتوقف عليه من الالات العجيبة، والالات الغريبة، فجاءت من
النصارى، ولم يتكلف من ذلك تعريبا ولا اختصارا، فكمل ذلك كله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

على اكمل الوجوه كما يامله الامل ويرجوه ثم اراد واليه المباشرون
من الاروام توقفوا في اثناء العمل عن الاتمام ولعلهم انما كانوا
من جملة العوام • وبعث مولانا نصره الله على الصناع المهرة •
فجاءوا من مصر القاهرة • ومن ذلك فسطاط من الحرير مما احدثه
حكماء النصارى في هذا الزمان الجديد من عجائب الفطرة ولا تغادر
اخر قدرة • كان مولانا المنصور نصره الله اراد ان ينصبها على
وادي الربيع للجواز عليه في اوان الشتاء وتراكم الامطار وكان
المامور بالوقوف على اصطناعهما وعلى جلبهما من بلاد النصارى هو
التاجر ولد مصطفى الرباطي • وصرف عليه من الاموال الثقيلة ما
بهر سامعه • ولا يمكن غير الملوك العظام ان تبلغه اطماعهم • فلما
جاء بها على الحال الثالث واتفق حسد بعض من له الوجاهة
في عيبوا ما جاء به عند الخليفة نصره الله وقالوا انها لا تصلح
ولا تناسب وان يختل نظامها في اقرب مدة ثم ان مولانا العلي
المنصور عزم على بناء القنطرة على المحل المذكور بناء ازليا ثابتا ابديا
قائما من غير انه يحصل النفع في ذلك فوجه يختار المحل الذي يصلح
لذلك ويبين ما تدعو اليه الحاجة من الاقامة والحجارة ويقدر
كم تدعو اليه الحاجة في كل من ذلك ومع ذلك الحضرة مولانا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فيأمر بترتيب كل ما يحتاج اليه حتى يكمل الغرض وكان ذلك الموضع
كان باقيا بما زعمت وحشر النظر منه على ما قيل في الحجر بلا تأويل
ولا ترتيب فضلا عن شيء منه في الخير وكان الناس يودون أن
لو تم ذلك وليته ما عرفت الا قوار في وجوده بأنه من الآثار الباقي
نفعها التي تحصل منها الفوائد العظمى للمملكة وقد كانت في القديم
فيما يحكى عنوة في العوار وكانت حصانة فسيحة عامة لأجل حراسة
ذلك المجاز باقية في أيام مولانا اسماعيل وبقيت الى أيام مولانا
عبد الله كما تقدم ذلك في أخبار رائيتهما ولعل الله تعالى يهيئ مولانا
المطيع نصره الله لبنائها ويعينه عليه ويوجه عنايته اليه ويجعل
في ذلك الخير إعانة للمسلمين ومن ذلك أيضا الرحى التي جاء بها
مولانا نصره الله لبنائها ويعينه عليه ومن ذلك أيضا برج
الفنار الذي بناه مولانا نصره الله على ساحل البحر من المسافة البعيدة
التي هي طنجة وأوصله يوقد فيه الضوء الذي يظهر للمسافر في البحر
ليلا من المسافة البعيدة وذكروا أنه يوقد فيه من الزيت في كل
ليلة شيء كثير قيل إنه كان في الزمان القديم وأحياه
مولانا نصره وانفق عليه آلافا مؤلفة من الريال تقبل الله
من سيدنا احسانه ورفع بذلك مدارج القبول ومن جانبه

أي ثغر طنجة وأما الحديث عنها من الأعاجيب ويذكر عنها أنها تطحن كل يوم وفي ليلة واحدة عدد الكثير من امداد وهو من ذلك

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ومما تفرد به من الدولة الشريفة وجميعا قبلها من الدول المغربية
فيما بلغنا قراءة الشلشلة صحيح البخاري في الأشهر الثلاثة رجب
وشعبان ورمضان حتى طرد ذلك أم الأزمنة لا يتخلف إلا لمانع لا يلي
رفعه وكان مولانا المقدس نصره الله جاريا على ذلك السنن
القويم حتى في أيام خلافته عن والده المؤيد وكنت أرفع إليه
في كل ختمة من ختماته على العادة قصيدة يستوعبها المقام
ويقتضيه ويستحسنها كل سامع ويرتضيه ولم يعرض إلا أن أهملها
ومما رفعت للحضرة عند الختم في السنة التي رجع فيها
من حرب محي الدين غيم النوبية المتقدم ذكرها هذه التي انما
هي تهنئة برجعه وهذه في الختم عند حضور جمعه وأشرت فيها إلى
فتحه بالغزو المذكور بإشارة بعض من طلب ذلك مني وهو هذه

لاحي آثار الحبيب ودارك • ولا تله عن حال الرقيب ودارك •
وحدث عن الحي الحلول بعالج • بغاديه وهنا شميم عرارك •
فلله في آثار آثارت غرامنا • وربع يذيب القلب عند ادكارك •
تقاضته عمر الحب وهي شواكب • محاجر دمناها بسوء انتثارك •
معطلة أطلاله لعبت بها • صروف زمان لا يقام بثارك •
فيا صاحبي والقلب ليس لرائه • دواء بغيه صح وقول محارك •

بلنز

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فيلزمه في الحب ان قيل انه ، صريع جمال عن غير عفار ،
فلا تحسب الحب عارا لمبتلى ، فمن ذا الذي يرضى الغرام بعار ،
ولا تحسبن الشوق منه لمرتج ، دريس بجاه السعي بين فعار ،
ولان تميلي العزاء لمنزل ، وروض يبتلي النجم شرو هزار ،
فليس بكاء من جعار خرائب ، والانشاد فيه جبل بين مزار ،
ولكن شوقي للعلوم واهلها ، علوم حديث المصطفى وشعار ،
فمن لامني الشوق بين جوانحي ، وحرفة قلبي من شرائح نشار ،
ومن لعلم كان للدين معقلا ، وضيفهم سيل يغني لمنار ،
فحسبي لعمرو الله نور هداية ، لمن ظل في ليل الهوى واعتكار ،
وفيهم شفاء للقلوب من العمى ، وفيهم حياة للنهى باعتبار ،
جزى الله بالخيرات جامع علمه ، محمد الجعفري حامي دمار ،
اتاك على حال تشوق لانسه ، تشابه فيه كل زيغ من نفار ،
فجاز عليما عليك واصبحت ، ففي العصر تهنى بخير انكسار ،
سقى روحه سحب الرضى كل ساعة ، ولا برحت غفلة بانهمار ،
وقابل بالحسنى خليفته الذي ، الاح له بدرا بغير سرار ،
يقيم له في كل عام محافلا ، مزينة من حسنه وافتخار ،
تزان بها الاعلام وهو امامها ، ويزهو بها في الجمع عن ابتكار ،

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وان قصرا عنه انغلاق عويصة ، ابان هواها في مجال اختصاره ،

هو البحر لو ان البحار مفيضة ، اليه لكانت نقطة ابحاره ،

ولو ان نجم الافق كانت مراكبا ، لخافت مثال الامر مشي غواره ،

افاض لنا صوب العلوم وباعها ، مضاعفة الارباح عند تجاره ،

وروع بين الناس اقدار اهله ، بجر كامطة من ازاره ،

واعطى بما اكدى وحاشى جلاله ، واغنى وافنى من اتى لجواره ،

وعمت عطاياه البقاع كانما ، يروضها صوب الحيا بانتشاره ،

فلو هبت ريح الشمال وارعدت ، ورامت تباري كفه لم تباره ،

فلا جود مما فرعنا للغير ، وان ضرب الامثال عنه افتخاره ،

وكيف يفاخر موجود بسيبه ، ميمنا به الحرب او به المكاره ،

بهمة الذي فرد في المجد والعلا ، صغير اجلال عنه مجد كباره ،

تسمى ابناء الزعامة باسمه ، الى مستوى للدم قحمة شعاره ،

واركب خلو النصح كل مرجج ، يبشر ان داعيه العدا ابعاره ،

كتائب خضر بالحديد اذا رست ، على ارض قوم زلزلت بقراره ،

تظل صهيل الجرد فيها رواعدا ، صواعقها تسيم الردى عند اعتصاره ،

اهاب بها الصقر الهمام محمد ، فجاءت كصقر في انقضاض مطاره ،

وصار يخوض السوابح عجاجة ، تشابه فيها ليله من نهاره ،

بسيم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

181

يسير بجنده يقتحم الاكم عابرا
ويبني هوامر إسراده وغماره
يسير من ح

يسير كأن النصر في لجج الوغى ، كما سار في الأجفان سوق شواره
ويغني عن الشمس المنيرة وجهه ، إذا ما دجى وفت القتام غباره
له الحزم إحسانا ومسالمة العدا ، إذا اشتوخ الأمر الخطوب غماره
له في ظهور الصافنات مجالس ، لعمرك أشهى من قصاصير داره
ومنه لأعراض السوابق عنك ، يصير لمسمع الأذن عنه اعتجاره
له الرعب جند حامل في جهاته ، مسيرة شهر من تراه نجاره
إذا ما نوى إتيان قوم بغارة ، أناله الذي ينوون حين ظفاره
وإن كان ينوي غزوة لمعاند ، فليس لمن يبغيه غير فراره
كما جرى عبد القادر الغر سابقا ، على عقبيه خائبا في غراره
له الويل لولا الله حسبنا سعادة ، وتاب إليه نال حسن اغتفاره
ولاكنه قد راعه من حماته ، مضاء فلك واقع في دماره
وكان أمير المؤمنين سقاه من ، تفضله من تبره ونضاره
سقاه ببطن العود من جرعه ، وغرس لذيذ المجتنى من ثماره
إذا أنه لا مثل فيه ولا جنى ، ولا أنه مستوفر بجماره
على أنه لو كان فيه مظنة ، لهام الظن غاص صير انقشاره
سوى الجاهل المغرور في الذنب ، وخامة ما عاطاه سوء اغتراره
يفر هلاء الملك أيكة جابع ، ويحسب أن الغي مثل فراره

181

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ويحسب اسد الغاب في الحرب مثل ما ... تعلو ومن الزيبان صواديار

ملوك المطارت جسوم اناسه ... طلائع فيهم في فناء وجار

اطاعهم ما افراطا بشومه ... كمن يمود باجتراح فرار

اطاعهم ما فرضنا بجهالة ... وكم من مقام في جناية جار

وكم جاهل للغير يبدي افتخاره ... غيابات ذات الجمع بعد اجتماع

اسائله بالتربوع اخبارها ... الدار كم في لباس صغار

اكان معيفا حين ذاك من الكرى ... فريد به او كان في خمار

اجعل للكبار من فلة الحيا ... عليهم سبيلا كان يبا غير بحار

فيتبا له في ذمة الخزي جاثيا ... معنى برائه خطوه في صغار

وتبا لمن يمشي فيعطي امشا ... اصيبه الخزيان عند عثار

جزى الله مولانا الامير محمد ... بكل جميل فانما سائد فخار

يقيم ملة الاسلام كل ملمة ... وكل عدو يختشي من فرار

وكل غوي هائم في ضلالة ... وكل سعيد جاء بجوار

فيا ايها الغرو الذي بنا النا ... من العز سورا عاليا با قتدار

لك الفخر اما تزعيم من العلا ... فيا من نالته دون اختيار

لك الشرف المرفوع عند كنانة ... ومنه معز انخاب في نزار

تركت بهذا العتبى كل ملحد ... فهي حيارى لا تهتدي باعتذار

قوله فدارك فدا ركها
ابن سراف عافر الثالثة

ح ح

ولو اهداه الخبر وبعد مفارع
تادرك فخر الكل ابدا اماره

162

وارضيت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

، وأرضيت مولانا أبا الأنبيل، فأرضاه ما بين الورى باختيار،
، فإنه إذا أولى نيل مخامة، وكل الغلا فرجته بابتدار،
، ومجلسه العالي عن ومن حل الذي، وهو انقطاع الفرد بعد نثار،
، فلا زلت مكلوءة الجناب مهنئا، ودم دائما أو عاخاد بانتصار،
، تقابلك الأعياد منه بمنظر، وتبتسم فيه جميل افترار،

وكان مولانا المعظم رحمه الله تعالى وعليه الغير
باشتداد المرض على السلطان، والذي خرج من الكثير وخلف أخاه
الأجل، الأمير الأكرم المفضال ذا الأخلاق والعلائق التي حسنها
لهم الأنوار الخضال، أبا الحسن مولانا علي حفظه الله فباشر
الأوامر والنواهي، مباشرة العقلاء الدهاة، وكان لا يقطع أمرا
قليلا ولا كثيرا إلا عن رضا وبحكم مولانا أنظره الله وكان يعالج
ما يضايق به الزمان بسعة أخلاقه، ويقابل كل ما تعسر باستفتاح
أغلاقه، حتى تملك الفلك بلين الجانب وخفض الجناح، وتسهيل
المشاق ورفع الجناح، ولولا ذلك الأصل والحزم كلاهما استوغر له
الجامع السحر أو نوبة من نيران العقوق، وانصباب كالماء المعقود
فأنتم عمرو والمسموع الخيس من أكثر منهم، وكل من خلع وابن خارجة
أو ذا خلا سلبوه، فانقطعت الشبل برهة من الزمان لعقوق المخالفة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وعدم الأمان، وارتفعت الأسعار، وأكل ما استعر بالادخار
وقطع ما حول الأسوار من الأشجار والحطب، وحصل الريح المورد
في إبانه لغير راغم والمنتقب، واشتد الحصار، وتمادى الأعوان
والانتظار، والخليفة المذكور يرامح من يرشه وعمهم بالإحسان
وحسن الخلق وطلاقة اللسان، ومولانا المظفر نصره الله
بحضرة فاس في بعض الغزو والكلام، وتفويض العساكر المقابلين
لهم بالقتولحا، وكان جهاد هؤلاء الذين ببلاد الدار أولى من
الذين نقل البهم الرواحل، وفي خلاله لطروف انفصال
قضية النصارى ظهرت فتنة أخرى بالغرب في سفيان وبني مالك
وذلك أن رجلا أخرق منهم معتوها يقال له الجيلالي المسروي
كان قبل ذلك مسجونا لكل أحمق لازمه جماعة من الشياطين
وجعلوا ينسبون إليه الخوارق وزعموا أنه يخبرهم بالمغيبات
فتبعه كما أخبر وصوروا أمر ذلك صورا غريبة اشتغلوا بها
العامة وجعل أمره يزداد كل حين وكثر عليه الناس كثرة
فادحة والسلطان فيما ذكرنا من الاشتغال بأمر الكفار
وانتزاع ما أخذته الليه من المهادنة، فلم يشعر أحد بأمر ذلك
المعتوه والشياطين الذين يصحبونه، حتى أخذوا الغرب بلادا

تاجج

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تاتي بافصح من نسج العنكبوت من الحجج وسبب ذلك الكفور
ان اولاد الشياظمة زحفوا بتلك الجموع الى دار عاملهم الطالب
النزيه السيد عبد الكريم بن عودة وكان على قرب من ولايته وقتل
ابنه بجهاد النصارى وقبل استحكام حاله وصفا له السنى
اجمع منه اولاد العشاد وحصروه حتى لم يبق معه بالدار من
عبيده واتباعه واخوانه الا القليل فجاءت تلك الغوغاء
المتكاثرة بغتة واحاطوا به ودخلوا عليه فقتلوه ونهبوا
الدار وكانت ممتلئة بالخيرات من الاموال والكساوي
والامتعة والانعام والخيل والعدة فاخذوا جميع ذلك
ووزعوه على اتباعهم من اهل العشاد وقوي بذلك امرهم وساعدهم
واصلح وحصلت لهم عصبية تامة لا تقدر قبيلة يتوجهون اليها
على دفعهم فقام مولانا المعظم نصره الله بجميع
القبائل المجاورة لهم من الغرب والبحر بمحاربتهم وامر اخاه الامير
الهمام البطل غرة الكرام ابا السعادة مولانا الرشيد
بالخروج في العساكر اليهم فخرج في الحين مسارعا واوردهم
من الردى مقارعا بعزمة كانت لشيوخ العتو مطامعا
ولاطماعهم قاطعا فلما اراد الله سبحانه الانتقام منهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ذهب فاصدا نحو مكناسة وقال انهم نفدم زيارة مولانا ادريس وبعد
ذلك ندخل مكناسة وفي الخفيفة قد دخل الناس الدهش منه لما وقع
له ما وقع في دار ابن عودة وقتله بلا دفاع ولا افتقار حتى ان المزين
جاء ولقتاله ما تجرا احد على القرب منه ولما جا كما دخل زيارة مولانا ادريس (في ثمانية)
ادريس وكان هناك ابطال من الشرفاء العلويين ومن زرارة والقبائلات
فسدوا عليه الابواب وجعل كل منهم بشي من الحرم فقتلوه وحزوا
راسه وبعثوا به ووجهوا ذلك لمولانا السلطان ففرح الفرح ووجه
ذلك لحضرتهم من الكسوة وبذلك انطفت بعض نيران الحرب بحمد الله تعالى

وقد كان حدث في اثناء ذلك بالقلعة ببلاد الحياينة
بالقلعة حادث فضيع من نحو ما قبله وذلك ان محمد ولد احمد بن القايد
كان ذهب لعامر محلة مولانا المعظم نصره الله محلة واخبرهم انه جاء باوامر
السلطان بجمع جماعة من اهل الفساد مثله فدخل على العامل عم
الرجل الصالح الحاج محمد العشوبي وهو غافل فاهانه فقبضه وقيده
وقال للناس ان السلطان امرني بذلك وقد قيل انه القريب وهو
قادم في ايام السلطان مولاي الحسين بن زرع المخزن فبقيته
وجعل يبيع ويقبض الاموال التقيلة التي لا يعلم قدرها ويعطي
اهل الفساد من اتباعه بلا قياس ولا عد فتبعه كل الغوغاء وانعز

الخليفة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الخليفة مولانا علي جمعا الخيل في تسعة من العامل العشوبي
من نفعهم مدة مديدة حتى وجه مولانا نصره الله حاجبه
الفقيه السيد عبد الله بن احمد وصرحه بنوع من الاحتيال
وذلك للعامل مصر على ما هو عليه من الغي والضلال حتى افرغ
ذلك المرسى الذي كان يقال انه لو انقطع الزرع من المغرب لكان يكفي
اهله هذا المرسى فاستهلكه ذلك العاسي في مدة قريبة
بلا فائدة ولا طائل فمع ما اخذه من متاع دار العبيد وذخائرهم
وامتعتهم وخيلهم وبهائمهم وانعامهم وكذلك ذهب في الحبس
كما ذهب الدخان ولم تزل امراكش في نشر الهول والخلاء من
اجل فساد الرحامنة وفسادهم هو اصل فساد الحوز كله
لا السراغنة ولا غيرهم ولولا انهم تجرءوا على الحضرة
المراكشية ما تجرأ احد عليها فلما فرغ مولانا المظفر
من استصلاح الغرب واخماد نار الفتن النائرة فيه توجه
لحضرة مراكش فلما قرب منها جمع الرحامنة خيلهم ورجلهم
واجمعوا على محاربة السلطان جهارا وظنوا انهم مانعتهم
كثرتهم من الله فانحازوا بخيلهم الى ناحية زاوية ابن ساسي
والوسيرات والرميلة ليحولوا بين مولانا نصره الله وبين دخوله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لم اكثر ولم يبال بهم ولا اخذ لهم اهبة بل هجم ونزل عليهم نزول
الصاعقة والداهية الطارقة والمصيبة العامة الواقعة،
فلم تمض الا ساعة من نهار حتى سيقوا الى مراكش مقرنين في الحبال،
والسلاسل والكبال، حتى ضاقت بهم السجون، ولولا ان مولانا
نصره الله امر الجنود ان لا يقتلوهم ما كانوا من الاستيصال
ينجون، ولا ابقيت لهم باقية، ولا وقفتهم واقية، ومولانا
نصره الله اعتبر فيهم عهد الاسلام ونظر نظرة الرحمة الى هؤلاء
الضعفاء الخارجين من دائرة الخلاف، فأقال لهم من العثرة،
فلم يروا منه فظاظة، وهذا من حلمه الذي هو اخص
اوصافه على انه لا يليق لو تظاهر بالانتقام من الظلمة
على انتقاصه، وفرض عليهم مولانا نصره الله
رد المظالم التي ظلموها، وغرم الاموال التي انتهبوها واكلوها،
فادوا بعضا من ذلك واكل العمال جله، وان شئت قل كله،
وغاية ما عاقبهم به مولانا نصره الله انتزاع البلاد الثلاثة
التي لا يقدر على انتزاعها منهم الا الله تبارك وتعالى
وهي بلاد الوبران وبلاد ايت سعادة وبلاد اغواطم وهذه
البلاد هي نعم الله التي اغنتهم واطغتهم وبها كانوا

يظاهرون

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

يغادرون قبائل اهل سوس من الحوزية كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم كانوا فيها فاكهين، لما كانوا عن الحق لاهين
وفي الباطل غير متناهين، مشغوفة بالقرم سلب النعم ومحنة النقم،

ونعمة

ولما حل من الانس الحضرة المراكشية حلول الشارق
استعرابها جمه، وتفقد الاعلام زاجمه، وحضر عيد المولد الشريف
المبارك المنيف، ركبت الحضرة العالية على العادة
الماضية، بعد العصر واشرف فيها الى ما اشتمل عليه من شرحه،
وجلوت صفحه، وهي هذه:

تذكرت ازمانا مضت واحيانا، قضيت بها ذير الصبابة احيانا
زمانا صحبت فيه شرخ شبيبتي، منازها عطلانه وبعض اعطلانه
اجر به ذيل الشباب وارتمي، باسحم مرخي الذوائب فينانا
والبس ريحانه كل ملبس، بهي وازهانه مشاكلة اوطانه
اذا ذكرت العصر يوما تحنت، تراحي من نحو المعاطف نشوانا
سقى الله هاتيك الليالي واهلها، وحيا ارتضاها احبابه روحا وريحانا
رويدا ارى القلب تجنيه الهوى، وما بمرآة من شراب للجعلان
تحرضني الشيب شوقا لما لف، ومطلب ما فرحات لعفة خسرانا
لعمرك ما تجديه مستذكر، حنين لاحيان مضين وازمانا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وقد كان الشعب للغزاة فلا بدع ۔ تسامى بهم عن عزة وسعدان
تود بود ان مناخا وتشتهي ۔ شميم شمام واعتسافا بعسفان
ومسرى لنجد والاباطح والنقا ۔ ومدّ لنجد عند الحطيم واركان
ونجد وانها الحلال الشعب هاشم ۔ علت لا شعب مقام لبوان
تمالوا منا الا كمين وانا نسري ۔ اليا اليها ادعوا برحمة رحمان
فكم عندها تنثر دماء وادمع ۔ وكم من ضجيج للحجيج وارنان
وكم نجباء الحجيج بين ربوعها ۔ تجاذب فضل الايد ارام غزلان
هناك بزاد الشعب قد كان مولد ۔ بمن بشر الارسال في كل ما ان
وشاد به انجيل عيسى بن مريم ۔ كما شاد توراة لموسى بن عمران
بمولد محبوب الاله ومن له ۔ ومن اجله تكوين شتى الاكوان
بمولد خير المرسلين **محمد** ۔ نبي له قد زخرفت دار رضوان
بمولد من حاز السيادة كلها ۔ على كل خلق الله من انس وجان
اذا جمع الله العباد بموقف ۔ وطافت بهم اذ ذاك امواج نيران
ولاذ به الاشهاد قال انا لها ۔ وقال جميع الرسل نفسي وجثمان
مطاع له كتيبة من اغنم ۔ كثير الانكار على الجوا عدوان
صناديد من ابناء قيلة منهم ۔ معاذ وعباد وبشر وسعدان
تخوض غمار الموت منهم غطارف ۔ كأنهم في الروع اساد خفان

170

هنالك

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

86

هنا الذي غيث الوصل حل نطاقه • فاجلهم اصفياء القلوب بايمان •

هنا الذي الحوافل نوره • وادبر دين الامجاد عباد اوثان •

مواطن خير الرسل معكر اهله • ومجمعه عنوا انتقال من العان •

مبتهيه في اجمع الناس انهما • اجل من العرش العظيم بايقان •

فكم خط الروح الامين خلالها • وكم درس المختار فيه لسعفان •

وكم جاء بها مستتليا متقفيا • من انزل الاحي اخزاء ابا شيطان •

• ما اعظم خاك المصطفى ونجره •

• واكرم مبعوث الى الانس والجان •

ومن كان جبريل الامين ملازما • لخدمته في السر منه واعلان •

خلاصة سر الكون منبع نوره • سعادة مشغوف هواه بحيران •

هو القلم الاعلى الذي كتبت به • كواتب ملك الله في كل ديوان •

حياة ادم الارواح يا بدر النها • ويا علة الكونين يا عين اعيان •

صدعت بامر الله وحدك وانثنى • عبود لالة واهي العقاد والاوان •

وجالدت اهل الجاهلية في الهبا • وجادلتهم فاستعتبوا بعد عصيان •

وجئت بمقبول المعجزات وادعيت • ومن ساعدت واستبشر كل اذعان •

وباطلت بالحق المبين معاندا • فاحجم رهبانا كرهبة نجران •

سموت الى السبع الطباق وجزتها • الى حيث لا حدث هنالك ولا ان •

١٧١

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وجئت لاطلاع النقا ربها والغضا ، فريق لذي سمعهم ولا دان ،
وحليت بالاملاك والرسل كلهم ، اماما فبان الفضل منك غير كتمان ،
عليك صلاة مثل عرفك تنتشي ، الى العمرين مثل علي وعثمان ،
وتشمل كل الآل والصحب نشرها ، وازواجك اللاتي حظين بجنان ،
الا يا رسول الله جئتك مادحا .
. رجاء نوال الله عفو وغفران .
الا يا رسول الله جاهك واسع ، عظيم اذا امر الامر ضاق وماجان ،
فكن شفيعا في القيامة عندما ، تجلى الاله الخلق في حال غضبان ،
وكن لي مجيرا عند ذاك فلا ارى ، تطاير صحفي او تخف ميزان ،
وكن لي في دنياي كهفا وموئلا ، اعوذ به من كل خسف ورجفان ،
، وخذ بيدي خير الملوك امامنا .
، سليلك اولى الناس منك باحسان .
ومولى الصفا عزك واحمه ، حماية آباء كرام لولدان ،
وتوجه تاج النصر وهو مكلل ، بكل فتوح من علاك ورضوان ،
وايده تاييدا مبينا وكن له ، معينا على الحتاج يوم الاعوان ،
وشتت شمل المعتدين من الورى ، فليس يرى كاسيهم غير عريان ،
ومن فيه في الارض كل ممزق ، وغادر دارا واهلهم دون ابدان ،

ح ح
وقد قام بالدين الحنيف مجاهدا
عداك ومن يعزى اليهم من اخوان

172

٤٠

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بعز امير المومنين محمد ، بناي اذا ما والعضا كل المعان

بجود امير المومنين محمد ، نغا بل امثال الحماء لا احزان ،

بدولته كل الورى طيبا ومنظرا ، تمايح دوحا وتعا موج ريحان ،

وايامه تفتر عن ثغر باسم ، وتسفر عن وجه كما زهر بستان ،

لقد ابتهجت امال كل مؤمل ، الربيعا ونال المبتغا كل انسان ،

ودولته زادت بهاء وبهجة ، على ما عرا اشام مما الدى عمران ،

بها رفعت للملك افوق دعايم ، بها اضحى الاسلام عزا جزلان ،

بها امن الله البلاد من الردى ، ولم تخش فاس من مخاف وادان ،

فمن مثلنا اهل المغارب انما ، نعام من بيض الفخار بسلطان ،

ومن الكنا سلطان كل متوج ، اذا ابتهجت يوما ملوك بتيجان ،

هو الملك المنصور الاشد انه ، اجل ملوك الارض عجم وعربان ،

لمجد همم راكة وعزايهم ، تفوت مبا غيها مطالع كيوان ،

لقد عقدوا اللعدا بعساكر ، مسوجة ركبانا خيل ورجلان ،

ليوث افتهامر كلما زار علي ، ديار لناس زارها كل العربان ،

فوارس تغتال النفوس كانها ، اذا صبحت ارضا عقارب عقبان ،

ترا ما كمثل السيل يجمع تحتها ، ترا ها وتزهى كالانام بشهبان ،

تصولوا باسياف تخيفوا ذكورها ، وتمشي شطوا بالجوارح كالنيل بلهبان

بعز امير المومنين محمد
تلوذ فلا تخشى اذا ومن خوان

وتسطوا بارماح كانياب ثعبان

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وتلك رايات تنوش ذيولها ، رياح سعود من رخاء سليمان ،
اذا اضطربت في الجو فالهبوبه ، لارتعن الله والعجب واجان ،
ايا ابن الملوك الاكرمين ومن بنوا ، مباني العلا والمجد اوسع بنيان
ويا ابن هشام والهمام الذي به ، يعان سماك من ابناء مروان ،
لك العز ما ترعيه قيام ، لذا العجز لا ما ترعى الاسلطان ،
فعن شاعت الاخبار من غير واحد ، وليس باقوال ولكن بتبيان ،
يقيم دليل الصدق انك فاطمي ، وانك مهدي بالة حسبان ،
وكاشعر اجلى واوضح عندنا ، كفتلك للكذاب كذاب سعيان ،
ستملك الارض بالعدل بعدما ، غدت كلها ملئا بجور وعدوان ،
وتملكم امر امصر ونيلها ، الى المشرق وما كان خلف خراسان ،
فمن الى الافطار كف تناول ، تواجيك طوعا او تنقاد باذعان ،
بعزة رب العالمين وحوله ، وقوته والحوليش ببهتان ،
فدع للخلائق صوات رسومها ، ودرس علومهم من حديث وفرقان ،
تقيم لنا في كل عام مواسما ، مشرحة بالمصطفى خير عدنان ،
تفيض علينا فيه كعد انعما ، مرصعة كالدر مع خلجان ،
وتلبسنا من كل خير مطارفا ، طويلة اذيال بسيطة اردان ،
ولازالت الاعياد تهدي سرورها ، لحضرتك العليا المعظمة الشان ،

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ويعز القلم وصف مولانا نصره الله ولي الأمر، وخليفته الأسعد
الأعز مولانا الحسن، الذي نبه كل المحاسن من الوسن، وفاق
جميع المحاسن بحسن التفطن الشوسي بالعساكر والجنود من الألوية
المنصورة والبنود وهي التي ابتدأ بها أعماله، وضمن بها نصره الله
ما في سعده من اشتمال كماله، وذلك في توجيهه إلى القبائل الجبالية
المتكاثرة مثل هنتيفة واعتاب ولتانة وما انضاف إليهم من
البرابر من جبال درن من أعراب الرحامنة وبني مسكين وغيرهم فإنهم
قد انتشر نظامهم بما غشيهم من نيران الفتن التي أضرمها
أولاد أحمد بن الغازي كما قدمنا فأصلح مولانا الخليفة المذكور
جميع ذلك ومهده، وأخمد نيرانه وشرده، وجعل تلك القبائل
كلها تورد، وادعنوا للحق بلا مشقة وبادروا بكل ما وجب ولازم
ورجع مؤيدا منصور اللواء وظهرت لمولانا نصره الله
أمارة نجابته وسعادته، فلما توجه لسوس وحل على أنسب
ما يكون من المنعة كما هو شأنه في غالب الأحوال عند طول العمر
تبرز نجمه بكثرة المحال التي تجوس خلال الديار، وتحول بينهم
وبين التمكن من الاختيار، فلما ورد عليهم مولانا الخليفة السعيد
أقبلوا إليه يهرعون لما رأوا من حسن خلقه ويمن طلعته

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فبروا ما يقصدون، واكثر مما كانوا يعتمدون، فبادوا وجميع ما تولوا عليهم

من كوات اموالهم ومواشيهم وغلاتهم بجمع تلك الجبايات

التي لا تعد ولا تحصى، ولا غرو فرجع بالسلامة والغنيمة،

والسعادة الجسيمة، ووجد مولانا المعظم بالحضرة السلطانية

المراكشية ففرح بوروده غاية الفرح وامر بركوب الجنود

للملاقات، والتهيئ لمواقفات، فكان دخوله للحضرة موسما

عظيما، وقدومه قدوما مباركا كريما، وكان مولانا نصره الله وجه

اخاه مولاي عبد القادر يربط بالمحلة والعسكر على اهل الذين

الذين اطلقوا الاعنة في مجال الفساد لما سمعوا فساد الرحامنة

بواسطة عنصر الغواية والغرور الفساد والطغيان، اولاد بنو

اشتبع بانهم منشا كل فتنة وفعلته الحوز من قديم الزمان،

وكان السلطان الناصر المؤيد سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله

اخرجهم منها لذلك ومن ما غزوه ثم رجعوا في العقبى

التي كانت بعد موته وفي هاذه الزمان انهم اعوان

لكل من اراد الفساد وضعف عنه واخوان لكل شيطان مريد

يستفاد منه ومن الذين اشتهروا امتوكه حتى خربت ديارهم

ومن الذين اوقدوا نار الشياطنة فباح فتنهم نارهم وكذا اهل فخذ

وكثر مبيد

وكثيرون منهم مشايخ تلك الثغور كلها، ومصادر جميع الغنى
فلها وحلها، وكان الذي أسند زمام الأحكام السلطانية في هذا
الغرض وفض الشوش الذي وراء الجبل إنما هو الفاضل الأجل السيد
الحاج عبد الله بن الرجل الصالح السيد عبد المالك ابن الحاجي فبات
ما بقي جانب من جوانب المغرب الأقصى إلا وما قبيلة من القبائل إلا دخلها
الزلزال ما عدى قبيلته والناس كلهم متشوفون إليه فلما رأوا
ثباته، واجتهاده في الطاعة ولم يروا أزوراره ولا التفاته،
امسكوا اعنتهم في الحال حتى قدم مولانا نصره الله فقام نصره
الله اخاه المذكور ان ينزل في سفح الجبل على رأس الحية الذي
خضع في ذلك لأهل الظهور وهم امزوضة واولاد بو السبع
المجاورين لهم في البسيط فنزلت المحلة هنالك نحو سنة كاملة
فكان ذلك أمر الخبر وجوب المكيدة فكل قبيلة من تلك القبائل
تظن أنها هي المقصودة فتبادروا إلى أداء ما وظف عليهم
من المغرم وعوشي كثير ولم يثقل عليهم ذلك لأجل الخوف
الذي خالط أحشاءهم مع كثرة المشوش والنوازع لتلك الحال
الكثيرة والعساكر المظفرة الخطيرة، فلم تغن عنهم الجنود
حتى أضعفوا قواهم، وأوهنوا قشعاهم، فرجعت المحلة

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

سالمة بعد المدة المذكورة وفي عام ثمانين ومائتين والف 1280
رجع مولانا المقدس من اكثر لحضرته فاس واقام في مروره على قبائل
تادلا بجنود وعساكر المنصورة حتى اخمد نيرانهم وخلص من
اداتهم فيرانهم وكانوا قد عتوا في الارض عتوا كبيرا فمنهم الله
سبحانه بصولة مولانا المقدس تتبيرا، وقبض من رجالهم
الصناديد عددا كثيرا، وغرمهم الاموال الثقال، مع ذلك
الاعتقال، ولم يخل عنهم حتى كملهم وانعام ولولا المرابط
البركة السيد بن داود حفيد الشيخ سيدي المكي ما انعام
ثم لما بلغ السلطان مولانا نصره الله رباط الفتح
اقام بالدار الجديدة المباركة السعيدة، التي ابتكر بناءها،
وجعل المحاسن كلها ساكنة احوازها وافنائها،
وهي فيما بلغنا انها من اخوات البديع بل تزيد عليه بالانفراد
بالمحل الرفيع، الذي يشهد المقيم فيه بفضيلة الجهاد،
ويحظوا المغازي بالمثوبة المنبجسة فيه بالغمائم العهاد،
ويربع فيه اعمال المغيرة الجاري على الصراط المستقيم، وقد
اباح نصره الله الدخول الى ذلك القصر السعيد الذي عرف
منه كل اهل بعيد الاعيان حضرة الخلافة من الوزراء والنجباء

واهل

واهل المراتب والاتباع والكتاب، وكبراء الدولة والاجناد
والعساكر، وكل صالح وتال وذاكر، فافاض عليهم الخيرات وانواع
النعم والمبرات، فجعلها وليمة تحرس السعادة خلالها،
وتلزم البركة ظلالها، فبنا بمروام من تلك الاثار العجيبة ما
ابهر ابصارهم، واوجب عن ادراك اوصافه اقصارهم،
وفيه اعتنى مولانا نصره الله كل الاعتناء في تعمير ذلك
الثغر المبارك الذي هو بهجة البلاد، وغرة العقد المنير عند الجلاد
بجوار رجال المجاهد الناصر لدين الله تعالى سيدي محمد بن عبد الله
جلوزار رحمه الله، ما شيده مولانا المظفر نصره الله لا تنقضي منه
العجب العجاب، وعلم انه تاج العلماء الامراء الفضلاء الانجاب
وان له زرعا يغيظ الكفار نباته، وطبعا مثل الجبال رسوخه في
الدين وثباته، ولو حضر يعقوب المنصور الذي انشاه، ورأى ما
صنعه مولانا المظفر وجدده، لقال الآن صار الرباط رباطا،
وازداد دون غيره من ثغور الاسلام اغتباطا، لما اصبح للاسد
المنصور عرينا، واضحى لموالية الاسلام قرينا، واظهرت جميع
الدول المحمدية انوارها، ونشرت عليه الابهة الاسماعيلية نثارها،
مفاخر تحاكي المباني المحمدية المراكشية، والاسماعيلية

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

المكناسية إلا أنها تقوضت بذلك في غضون العدو عنادا ولم تزدد
العز إلا إثبات الأوتاد ، وعنوتها للبر والبحر صدورا وأعجازا ، ومنوها
إلى الشرق وإلى الغرب مجازا ، جازاه الله الثواب لأمير المؤمنين على
حسناته ، وبارك للمسلمين وله في حركاته وسكناته ، ولما
استقر مولانا نصره الله بالحضرة العباسية في ظلال السعادة
وجه صحبة القائد محمد الشرقي ولد الباشا محمد مع عامل سلا القائد
محمد بن سعيد لجنس العرنصيين لأمور اقتضاها الحال في شأن ولد حمزة
ولد الشيخ بوساحة القائم على العرنصيين في حالة الجزائر فإنه
شوش عليهم وروع سربهم فطلبوا من مولانا نصره الله أن ينظر كيف
يكف عنهم مع أنه ليس في ولايته ولا في إيالته فوقع الكلام في ذلك
بينهم وبين مولانا وتكررت الرغبات منهم فوجه مولانا عامليه
المذكورين لحسم مادة الكلام في هذه القضية فذهبا إلى ذلك
مع خواصهما وأطالوا مكثهما عندهم في الكرامة التامة
وراجعوا مولانا نصره الله بالمكاتبة مرارا حتى انفصل
الأمر على الوجه الجميل فرجع الوفد مقضي المآرب ، نافذ الخطاب
1282
وذلك عام اثنين وثمانين ومائتين وألف ، وكان مولانا
المعظم نصره الله لما صدر عام اكثرسترى ولده البار المتوج

بالمهابة

180

بالمهابة والاكبار اباه علي مولانا الحسن خليفة منهمك بالعبادة
ما حل وهو باثواب الشعادة من زمن ما. ولاحت عليه من رضى
والده المنصور المقدس انوار. ولم تبغام عليه من الايالة انجاد
والاغوار، مع اختلاف الاحوال وتعاور الاطوار. ولم يشغله
شئون الخلافة المتزاحمة اناء الليل واطراف النهار. والاكباب
فصوره السلطانية من الحدائق والازهار، عن وظائف الورد
من نوافل الخير من صلاة وصيام وتلاوة كما حدثني بذلك بعض
بطانته انه يجد لذلك في الخلوات لذة وحلاوة. وهو من عطاء
الله تعالى الذي لا يدركه الا فحول الابدال السابقة الازلية لاسيما في سني
الحداثة الغالبة الطبيعية. والانغماس في النعم والرفاهية.
فسبحان واهب الارزاق الحسية والمعنوية
ومن ادب مولانا الخليفة المذكور مع والده المقدس انه لا يبرم
شيئا مما قل او جل من امور الا بعد المشاورة مع انه مفوض
له كل تفويض في جميع الامور ومن اداب بذلك دار خلافة الله الاعظم
منذ ما عسى بغير خاطر والده نصره الله في الباطن وهو لا يعلم وهكذا كان
مولانا المقدس نصره الله مع والده المؤيد لا يقضي شيئا الا باذنه
وهو لا يعلم وهكذا كان مولانا المقدس نصره الله في ما مضى من عهده

فجعل الله جزاءها في ذريته الهيبة واولاده كبرى وكذلك
لا يخفى الانعام ما عرفته الانسان فهل جزاء الاحسان الا الاحسان
وفي شوال عام اثنين وثمانين ومائتين والف مرض مولانا المقدس
نصره الله مرضا شديدا حتى وقع الخوف عليه وتوهم من
يباشره ان الاجل مقترع البشر وسبب تلك الحمية انه
اصابته غشية ثم اجاو بعد مدة قريبة وتركته في
حالة مرضية فاعترض من دابته وهو شديد الوهن مع
تخوف السلامة وانفكاك المهجة فلما كانت العافية
تتراءى لمولانا على سبيل التدريج، والنفوس تنبسط بتيقن
التفريج، حتى كملت بحمد الله قوته واضمحلت علته
وفرح كل مومن صالح باستقلاله، واشتد كل شيطان مارد
في اغلاله وقد كان الناس اشرفوا على هوة الاتلاف وهم
كل متعرض بالاختلاف، واشرأبت اهل الدعارة المعتادة
مواثبهم، والنفخ في جمارهم الخامدة في مواقدهم وفرحوا بما
اصاب مولانا نصره الله من المرض واعتراه، وارجف كل
مرجف واختلق ما يوافق هواه وافتراه حتى رجفت الارض
رجا فلم يخف ذلك الا المولى سوطنا ولا اتى فجاءة، ومال

الناس

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الناس كل الكلام لبليه، واقعقعت رياحه، ومن بلاد نكعاء مصباحه،
فلما أن تفضل الله الكريم على خليفته بملابس العافية عادت
الموارد المتكررة في بحر الله صافية وفرحت النفوس بجران عاجها،
واستقامت الأمور واعوجاجها، وانكشعت ضبابة الناس وفارق الأغلال
خوف الصيال من أمير المومنين والعفاة، ولما ظهرت من علة مولانا
نصره الله أمارات الإبراء والإبلال، وإقبال الصحة وانمحاء أمر الاعتلال
كتب حجاب الحضرة المولوية لخليفتها المستنصر مولانا الحسن
من الكتب يبشرونه بالسلامة، ويهنئونه بسلامة مولانا المظفر
ويعرفونه، فلما وردت الرسل بذلك أمر مولانا الخليفة أعزه الله
تعالى بإخراج المدافع والأنفاض فشاع بذلك خبر سلامة مولانا
المظفر واستقلاله، فلم تزل المدافع تعلى حتى اهتزت الجبال
الرواسي وكانت الفلك الغواسي فقام الناس كلهم إلى إقامة
النزاهات والأفراح وكل موجب للانبساط والانشراح كل طائفة بعد
كل طائفة وقبيلة بعد قبيلة وكان مولانا الخليفة أعزه الله هو الذي
ابتدأ بذلك وابتهج سيما وبانه على الناس الدعوة الجعلاء، فلم يتخلف
من حضر الكثير أحد من العقلاء، فقام أيده الله بتهنئة جنابه
رضوانا ففتحت أبوابه، ومرحت قصوره وقبابه، وزخرت أنهاره

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الدافقة حتى فاقت انواء الغادقة، وضربت فيه المضارب
الشاهكانية، التي هي من ابهى زينة الحياة الدنيا الفانية
بحضرت الدنيا الغانية وجوه الدولة واعيانها ورؤساء
القبائل وربانها، وكان ذلك بان عين الاقصى قبل انعطاف من
حضر من العمال وغيرهم، ومن قدم بعد بانهم بامرهم او بغير
امرهم، فلما حضر ذلك الجمع الحفيل، الشبيه بالسيل الجفيل
انزل كل واحد بالمحل المناسب له، فامتلا ذلك الفضاء المتسع
حتى عم الازدحام فجاجه وسبله، ثم اندفعت عليهم من
الدار المولوية سيول موائد الطعام العاجز، فاعم الاول
منهم والاخر، حتى صار في جميع الرحاب، تدوسهم الافراح وتكتنفهم
الوزعة والخدام، هذا للعامة المطلقة، والاوزاع الملفقة،
واما الخواص والوجوه، ممن ياملهم الامل ويرجوه، فلهم الحظ
الاوفر من العناية، والحفاء بزائد الترحيب وصريحه
دون كناية، بالفرش الحريرية المذهبة، والمقاعد
العالية المطنبة، والرش بمياه الازهار ومباخر الطيب
وكل معنى لطيف ومنظر عجيب، وقد اخذ كل واحد ما شاء
من الات اللهو والفرح، على حسب ما اشتهى واقترح،

186

ملا

فلا تكاد تسمع في تلك المجالس والمحافل، الا اصوات المثاني
والمثالث واصوات الاغاني، فلم يبرح الناس الخواص والعوام
في ذلك الازدهاء ثلاثة ايام ومولانا الخليفة اعزه الله
مع اصواته ويجلس في القبة الخمسينية الفوقية المشرفة
على مجال الخيل وملاعبها، ومطاردها ومصامها ومتاعبها،
وكل عشية يركب بالحضرة على عتاق الخيل المسومة، والصافنات
الجياد المطهمة، ويلبس كل مرة ما زان ركابها زينته المزخرفة،
وما تضمنته خزائنه مما اعد للايام التي يبرز فيها مفتخرة
فلما انقضت ايام النزهة الشهيرة، ذات الاحتفال
الوريفة، شرع احمد عامل الرحامنة في مثل ذلك فيما يليه
حين جاء زمن مقرره، فاعد جفانا كالجوابي، وقدور كانها رواسي
فدعا الناس دون تمييز، ولا تعظيم احد ولا تحقير، فافاض
عليهم المطاعم البربرية، التي لا تكاد تقدر عليها اهل
الحضرية، ويكفيهم عن الاحتياج، ما جل بحومة الحجاج،
ثم تتابع الناس في اطعامهم، واظهار ابتهاجهم، وانتخاب
دواعي الافراح، ومقتضيات الازدهاء والانشراح، فما منهم
احد يشتغل ولا حرفة، ولا روضة انيقة، الا قربها او يسمح

جماعة زاهية، او طائفة مضطهدة لاهية، وممن سمعنا
عن الحضرتين الفاسية والمكناسية. والله اعلم ذلك كله كيف
سبيل التراوح او خاصية. ولم يكن عارية ولا كاسية. وجاء بشفاء
مولانا الامام ادام الله عزه، وعافيته لحماية الاسلام. وكان
مرض مولانا المقدس نور الله ضريحه ضعيفا في التقويم. وان كان خطيرا في
المضيق، لو كانت المباشرة لعجول الاطباء المهرة. والاصابير المفتقرة
والمرض المذكور فيما بلغنا انه المعنى بالخلاف وهو نوعان ظاهرة
وباطنة وكلاهما امره من العلاق. والظاهرة اخف من الباطنة
الخفية الكامنة. والاولى يكفي في علاجها التدهين لورمها
الظاهر عند اللمس بالانفجار. واما الثانية فان نجاحها فيها
بالانفجار، ولما كان خفيا لا تدركه الا وقت الانضاج. كان
الترشح عند ارادة الادخال في الحلق والاخراج. ولذلك كان
داء خطيرا، وعارضا عسيرا، وكثير من الناس يعتريه كثيرا. وكان
اخونا في الله الفقيه العلامة الوزير لسان الدولة ابن ادريس
في اواخر اوان تردده في مجالس العلم يكاد ان لا يمر عليه شهر من
الشهور الا ويصيبه وينجلي له من داخل بعد اسبوع لا كرايمة
ذلك الاسبوع الاوفر انه على الهلاك فاقام به ذلك في ذات غاية

186

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ثم إني رأيت ابن العنبري ذكر في كتاب الرحمة دواء ذكر أن
من استعمله يشفى منه ولا يعود إليه أبدا أصلا وقد علمه الوزير
المذكور فاستعمله فلم يعد إليه أبدا بعد ذلك وكلهم كرر دواء المسمى
وكثر لأجل ذلك الكلام واحد فلم تتخلف تلك الخاصية المذكورة
وهو أن تؤخذ دجاجة وتؤخذ مرارتها ويحتفظ بها ثم تطبخ
الدجاجة فإذا نضجت أخذ من مرقها فيفرغ فيه تلك المرارة
ويشربها العليل مع ذلك المرق أياما سردا وقد كان الملوك
الذين أدركناهم وبلغنا خبرهم من هذه الدولة الشريفة لهم العناية
التامة والاهتمام الزائد بالعلماء والأطباء أكثر من غيرهم
وكانوا يلازمونهم حضرا وسفرا ويتفقدون أحوالهم صباحا
ومساء ويستخبرون من طباخيهم ومآكلهم ومشاربهم
ومناكحهم ومضاجعهم فيصلحون ما فسد من ذلك ويستدركون
ما فات عن قرب ولا ينافي هذا التوكل على الخالق المنفرد بالتدبير
فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وقد شرع سيد المتوكلين صلى الله
عليه وسلم التداوي وكان يستعمله في نفسه ويأمر به غيره حتى
قيل إن القدر التي تطبخ فيها أدويته عليه السلام لا تكاد تنزل
عن النار وذلك تعليم وإرشاد منه عليه السلام لأمته المرحومة

وقف على هذا الدواء ابن نغلة المفيد رحمه الله
من كتاب الرحمة في الطب والحكمة في شأن
ضرر الرقبة المعروف عند العوام بالغلاقم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

واخبار الملوك القدماء وان كانوا ايمة علماء مع اطبائهم معروفة
من محاسنهم كالة جمع المنصور وولده المهدي وولده الرشيد
وولده المامون وغيرهم من الدول السالفة وكذلك دولتنا هذه
المباركة الشريفة جار ابا الخلايف مولانا اسماعيل رحمه الله تعالى
كان لا يفارق حضرته العلامة الحكيم السيد عبد الوهاب ادراق
الفاسي وكانت مكانته عظيمة لا تدرك لغيره بحيث لا ترد شفاعته
ولا تهمل اشارته وكان مقربا ومنزلته في الاشعار اعظم من منزلة اكبر
العمال وكذلك السلطان الناصر للدين سيدي محمد بن عبد الله كان له بذلك
اعتناء زايد اكثر من غيره من الملوك السابقين لانه رحمه الله كان اذا سمع
خصلة من خصال اعاظم الملوك السابقين لا يرضى لهمته الا ان ياتي
بمثلها او احسن منها وكان من شانه ان يبعث الاطباء من بر
النصارى او الترك في كل سنة لانهم فيهم البعض حظه من الكحل
وبعضهم بكذا وبعضهم بكذا وانشا في الثغور مارستان وجعل
لهم مالا عظيما ينفق عليهم في جميع ما يحتاجون اليه في ادويتهم
واوعيتها واوانيها التي تطبخ فيها الادوية وكل من اصابته علة
ذهب اليهم فيعطونه ما يليق به من الادوية مجانا فاذا مضى
سنتهم رجعوا لبلادهم وجاء بدلهم هاكذا حتى انا من شاهد

سيدي محمد بن عبد الله

ذلك

188

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ذلك من اهل وقته رحمه الله تعالى فلينظر الناظر ما اشد عناية
هذا السلطان العظيم القدر رحمه الله تعالى بالمسلمين **واما**
طبيبه الخاص به وهو الفقيه السيد احمد ادراق وليس من ذرية
الحكيم السيد عبد الوهاب المذكور بل هو من قومه وفصيلته وكان هذا
الفصيل في فاس من قديم الزمان لهم الرياسة في هذه الحرفة
وكانت منزلة السيد احمد ادراق المذكور عند السلطان سيدي محمد عالية
البنا في بهاء الاعتناء كان ملازما في جميع حضراته يطلع كل بكرة
وعشية فيتفقد احوال السلطان واحوال من يحتاج الى ذلك من اهل
الدار المولوية وكان يحمل امتعته في الاشغال على ازيد من ثلاثين من البغال
وكان السلطان في حركته لتادلا اصابه مرض شديد في القصبة التي
على ام الربيع وكان طبيبه المذكور يباشره حتى ابرئ من علته وعاودته
ما عهد من صحته فاعطاه الف دينار وقال له هذه دية المسلمين
الاحرار فقال له الطبيب مباسطا يا سيدي هذه دية مطلق الناس
لا دية عظماء الملوك فزاده الف دينار اخرى **ومما** نقل الزياني
هذه الحكاية في هذه الجملة الاخيرة وهي قول الطبيب مع الزيادة
المذكورة ثم حكى ما وقع لامير المومنين يعقوب المنصور مع طبيبه ابن
زهر وهي معروفة مشهورة فقال بعضهم ان الزياني قال والله

الزياني

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ماذكرت هاذه الحكاية عقب ما وقع لادراو مع سلاطيننا الا ليعلم
ما بين السلاطين من درجات الكرم والبخل فانظر الى هذا
العالم كيف يقول مثل هذا في مخدومه الجزار فكلما شهد من عشرة من
مثل يعقوب المنصور والاكرم صلة العشر لا يعطي عن عشر الشعر ومرادنا
ببسط الكلام في هذا الفصل تنبيه مولانا امير المومنين المظفر
نصره الله وبارك في عمره وابقاه لهمته العالية الى الاعتناء بهذه
الخطة فانها في الزمان الاول والدول السابقة كان لها غاية
التنويه والتشريف حتى ان العامة كانوا يقولون لما مات
صلاح الدين ابن ايوب وكان طبيبه غائبا بالواراة التي بقاؤه
ما غاب طبيبه قال ابن خلكان مانصه وكان من امارات
انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي كان فرغ من مراجعة سفره وحضر
واما في هذا الزمان فقد اهملت وتنوسي اعتبارها في الحضرة
السلطانية وليس المراد مطلق من يدعي طبيبا من الجهال
الذين ياخذون المسائل من الاوراق وهو لا يكاد يحسن تهجي
الحروف فان هذا يجلب الى الاعضاء كل داء كالذي ابدل
الحبة السوداء بالحية السوداء ولكن المراد الذي ينبغي
الحضرة السلطانية انما هو الماهر في الزمان لا من يبهرج

بالترهات

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

96

بالترهات بل ينبغي ايضا ان يكون الامام له اطلاع على امهات
مسايل هذا العلم كتحقق اشخاص الادوية المعجونة ومفرداتها
العلم وجملة الكلية وطبايع المطعومات المتداولة حتى
لا يغترها فوايل احد وخصوصا مما يختص ذاته الشريفة مما
يوكل او يشرب ومن هذا الغرض هو الحامل للامام المازري رحمه الله
على تعلم الطب حتى مهر فيه لما كان اصابه مرض وكان
يباشره طبيب يهودي فقال له يا سيدي اما تخاف ومعالجة
مثلي لمثلك وان قربة في الدين عندي من اتلاف مثلك
للمسلمين فتنبه الامام المازري لذلك واشتغل بالطب حتى
دون فيه كتبا نافعة وحاصل الطب هو حفظ الصحة
الحاصلة حتى تبقى على صاحبها الى الاجل المسمى او رد الصحة
الزايلة حتى تعود الى حالها الاول ويحتاج لملازمة الطبيب
لكل نوع ان الانسان بصدد تغير الاحوال عليه وتبدل
حال بحال اخر لان دوام الحال من المحال عند المتكلمين لان
العرض لا يبقى زمانين والصحة لا محالة انما عرض من الاعراض
فاذا تبدلت الاسباب المقتضية للصحة ظهرت لها طوارات
بذات الانسان يجربها كل عاقل فهي فيحتاج الطبيب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بذلك فيزيله على ما يقابل ذلك التغيير حتى ترد الطبيعة الى مجراها
المعتاد فتبقى الصحة محفوظة وهكذا كل يوم يغير الطبيب بما
ازداد عليه او نقص وهذا الطبيب لا يغلط في انه قد سلك بحركة
في حفظ الصحة عليه اذ كان معلمه على ما اعتاد فانه عالم وكان
المتعلم لا يخالف معلمه **فان قيل** هذا يقتضي ان الملوك
الذين لهم اطباء حكماء يتظاهرون احوالهم على المنهاج المذكور
لا يمرضون ونحن نرى اكثرهم يمرض بل ربما كان يشيع المرض فيهم
اكثر من غيرهم فالجواب انا شرطنا في حفظ الصحة طاعة المطبوب
لامر الطبيب وعدم مخالفته والغالب على الملوك كونهم مغلوبين
لشهواتهم مع كثرتها عندهم في كل حين وحضورها لديهم وتيسر
وجودها عليهم ومن كان هكذا حتى من السوقة تغلبه نفسه للاغترار
على طعام شهواتها وهذا شأن كل احد من نفسه **وقد** اشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى هذا بقوله المعدة بيت الداء والحمية راس
الدواء وهذه الكلمة الشريفة جمع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
جميع ما دونه الحكماء في دواوينهم على كثرته وهو مضمون ما ذكرناه
في مشاورة الطبيب وطاعته فيما يأمر به ويصون منه وعلى النفوس
الغالبة على ما ذكرنا ومن افرد الله على مخالفة نفسه وموافقة

هواه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

هو الاجنس مرتبة ووجود لذة والله على كل شيء قدير **وممّا** يدل على
صحة ما ذكرناه ان الحكماء والفلاسفة الذين جاهدوا انفوسهم حتى ملكوها
ولم يبق لها تصرف في ارواحهم بل صار الحكم للارواح تهول حياتهم وتغلب
عليهم وعاداتهم وربما عاش بعضهم المئين من السنين كما هو مذكور
مشهور عند نقلة الاخبار **ولمّا** فرغ الناس من ازاهاتهم وهنا
بشعار امير المومنين وصل كل احرم العمال والقبايل وفودهم وهداياهم
لحضرة مولانا للتهنية بما منحه الله من الاقبال والمعافات والاستقلال
والتخليص لذلك المقام العالي المتوج بتاج الجلال **وكنت**
نظمت في التهنية له اعزه الله تعالى هذه القصيدة لما ورد الخبر بشعاره

جاد الزمان وجاء بالسّراء * ورقى اساءته وراء وراء
وافى كتاب في يمين مبشر * متضمن لبشارة غراء
فلثمت وجه الارض بين جريح بلا * جاء البشير به من الانباء
نبا شهي للنفوس سماعه * متبلج عما امر وهناء
لبست به الدنيا لباس جمالها * وتبخترت في بهجة وبهاء
وبعور الارواح كل كئابة * كالصبح يصقل فتنة سرحة

العلماء

ظلمات الارجاء وانبعثت به * مهج النفوس وجوانح الأحشاء
يا يوم مورد ذلك النبا الذي * عم الوجود بسابغ النعماء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

يا بردها بين الجوانح مخبرا • فرعتم بالحي للاء والآلاء •

وازداد نورا في مطالع سعده • فوق الرجا وكواكب الجوزاء •

ورد البشير به فكان وروده • بردا على أحشائنا الحراء •

ولزام حثت في حشا ارض مثلما • لعب النسيم بدوحة غنّاء •

او كالذي سلبته نوب وقاره • كاس مروقة من الصهباء •

قل للبشير فديته يا ابن مكرم • نفسي وانفس سائر الكرماء •

ويقل شكري يا بشير وانما فز • واحييت للأموات بالأحياء •

بشرتنا بشفاء من بشفائه • ماء الحياة يسيل في الأعضاء •

• بشفاء مولانا الإمام محمد •

• ملك الممالك كعبة العلياء •

ملك نمت في الأنبياء أصوله • ورست به الأعراق في الخلفاء •

وخطير الملوك الصيد تقصر دونه • ويطول عن المدح بالإطراء •

لما اشتكى سارت الى كل الورى • شكواه حتى ارتج كل بناء •

وتكدرت كل المشارب بعدها • كانت مروقة ذوات صفاء •

فاليوم قد صح الإله بفضله • صح الوجود وزال كل عناء •

واسترجع الأرواح من أشباحها • ما كان منتسبا الى الأقراء •

وأضاء مصباح الخلافة إذ أمنا • لا يختشي أبدا من الإطفاء •

هذا

194

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بعز امير المومنين مسلما ، ومن أمر سائر الانام ذواده ،
والشرف ومفخر عظيم فرحبا ، سلطانه بعز القنا بسناء ،
وابا حه صعو الجبال وطيبها ، محياته متبوا السراء ،
فلئن الهنا كل الهناء فبذاته ، خلقت خلوص الثنا عن طلاء ،
وله البشائر ان تحولا حيلته ، بمملكه في العزة القعساء ،
حتى يشير للعقار مبانيا ، لم يبنها ارم العظماء ،
وبزاديه عن الخلافة منزلا ، زادت مثانه على الاعداء ،
والحمد لله الذي اظهرها ، معلومة بالكشف للغراء ،
والحمد لله الذي لم يبلنا ، بشماتة الحساد والاعداء ،
عكس الالاه بفضله امالهم ، وجزاهم بمجاءة البأساء ،
كذبت ظنونهم التي رجوتها ، وكذا الظنون كواذب الاهلاء ،
وراغمهم مذ شجع العراق وباصهم ، نكبت باعطار بغير رخاء ،
بينا هم يتضاحكون اذا هم ، بمآتم يا ويلهم وبكاء ،
جلنا الهناء معاشر الغرباء فمن ، محض الفضا معاشر الفقراء ،
ونضت لنا الامال تغيو منكما ، عبق الازاهر غب جري الماء ،
لا زال مولانا تقلا حكم الملا ، منصور رايات رفيع لواء ،
ثم رجعتها للحضرة المولوية مع وجود

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

النهاية، تزول بها حلى انصع المباني، وحلى احاسن المعاني، تأمل
وترجوا من مولانا القبول وبلوغ الأماني، ومما رفع لحضرة
مولانا الخليفة الأشعر المبارك الأمجد مولانا الحسن أعزه الله
تعالى قصيدة الفقيه العلامة النحرير الفاضل ابي عبد الله سيدي
محمد الطيب بن محمد التاملي الرداني حفظه الله تعالى وهي هاذه

غرام يفوق الحد والوصف والشرحا، ولحظ جفون ما امر افشى بي الجرحا
ونيران شوق اورق العين فهي من، دواعي الهوى ما تعرف البدر والصبحا
واعجب من اضرم النار في الحشا، ولم يطفها وبل العيون التي سحا
نشا ذا عن زهر الرياض وطيبها، وفي خطبتنا بزيارة الخضرة الفيحا
تحطوا على طلع العزارة والهوى، اذ الشمس حلت من منازلها النطحا
ليغتنموا الوقت الذي طاب منه، النسيم العليل والهواء الذي صحا
ويقتطفوا ورد الخدود معتجلا، ويرتشفوا ثغر الحسان رانجحا
وكم فرح عم فضل الربيع وزهره، نفوس كرام ما استجابت له فرحا
وكم بين محبوب تعود وحبه، سعى الحب يوما فضمهما الصلحا
دعاني فيمن قد دعاه بلطفه، واخرجت عن داعي القبول له صفحا
وقلت له لا تطلبين محاسن، ابنت بها فليلحني فيك من يلحى
وما همة لا ارتضى اصطفا، لما يقتضي من حالها اللهو والمزحا

اخام

اخاف عليها ان تشاء بغيره • وجوانحنا من حبه فرغت طمحا

ومن ملكت ذا تاله الناس كلهم • فمن مبتغ منحا ومن متنور محا

فتى جمعت فيه المحاسن مفردا • خصوصية واستوجب الحمد والمدحا

اذا احسن اسمه الشريف حري به • فما طعمنا ازدانت به سائر الانحا

فقد ضمن الله اسمه وافعاله • وصفو جميع معناه ما يحيي الشرحا

خليفة مولانا الامام ونجله • وعمرته فيما يروم له نجحا

ارى شيم حال الصبا لتحمل • الخلافة واستعلى من الطافها الارجحا

له اليمن يمضي والسعادة ساعد • ينيلانه التشييد والنصر والفتحا

تقصر شمس عن علي اشرقه • مع الحوز حتى صار اهلها مرحا

فقد صار في تمريبهم خير سيره • فنالوا به ما الربح الذي اعظم الربحا

وما احتاج في تمريبهم غير رايه • وترتيبه لا العاديات بها ضبحا

فكم منهج التدبير والراي عسكرا • ولم يغن ان اعمل السيف والرمحا

وكم كف كف الجور والبغي عزله • وكم ولّيت كفاه للمجتدي سمحا

فيا سيرا يغني العبان ذكرها • عليهم كما يغني العراة اذا اغفا

ليهنئ والانام به امامنا • وعافيته اهنت لمغربنا روحا

فجا سلامة للاسلام وسلامة • لكل رعاياه واعظم بها ربحا

اداه الاله عزه وبقاءه • وعوضه من كل ما مرض صحا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ويمنيك بالمجد السعيد وبالرضا ، المزيد وادراك المنى غير ذي العجا ،

تومل اشتات الوفود تقربا ، اليك فتوليك المسرة والمنحا ،

فطوبى لمن اضحى لبومه شاهرا سناك مشاهرا محياك او اضحى

ليرعاك عبد الدار عوذا بعدك ، فعذرا به قلبا وان لم يزر شبحا ،

ورمت إلى ذاك الجناب خريدة ، مخدرة عذراء فرهف كشحا ،

عشراه تزهو عن بعد الافلاذ ، تاملها خبرا وحققها لمحا ،

فان ترضها او ترضها قابل فرحها ، ولم يلف فيها ناقد عيبا أو قدحا ،

على انه در نظمها الذ انها ، فان نفقت محا فقد كانت مرجا ،

وهذا الفاضل غير اعيان زمانه ، الا خصوص فضله وبلاده ،

فراد زاد المجد يا مجلا قبل بلوغ امده ، محتد كريم ، ومجد عظيم ،

ومحاسن يجيد الزمان لولؤ نظيم ، تحلى بالادب الفاخر ، والعقل

الباهر ، والكرم الزاهر به حاتم ايامه ، وتيربه في قعوده وقيامه ،

فاتعفف القلوب على حبه والالسن على امتداحه ، لدينه وحقه

خلقه وسماحه ، ومما رفعت لحضرته نصرها الله في

بعض اعياد الفطر عند ختمه للصحيح الجامع هذه الميمية

الكاعب العذراء التي هي بالتفتق اخرى ، وهي هذه ، ا ا

، حديث الحمى يهتاج منه غرامي ، وقربان عند البان فيه مرامي ،

اعيروا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اعيروا على سمعي محاسن ذكرهم • وماذا عليكم في ارتداد كلام

ولا تنكروا مني حنيني اليهم • فان حنين القلب غير حرام

الا حكم خلف النوى ثم انثني • بلا ربعة مثل الغمام سجام

سقى الله صوب الغيث او بحر ادمعي • اباطح خلوها وراء اكام

وان رحلوا حتى يليح خيالهم • يمر سرارا في ضمير ظلام

ومكم كما بين الضلوع اجنه • الى ظبيات في الصريم ضوام

ولا انتاسى ما حييت معاهدا • مخضلة يبتل منها اوام

افنيت زمانا عندها بمسرة • بنجد وفرشاه الغصون مقام

وغالت ريب الدهر فهي على المنا • فلم تتكدر مبوتي بملام

وقضيت في العيش غضا كانما • اعيرا زهاء الروض غب رهام

فمن سلب الايام غير اذكاره • فيعلو اله الانفاس وهي حوام

وسو المعالي حلعت لا ابيرها • على لغب الا النفوس كرام

لشر الزمان التي في صبابتي • ولي قلبي شقوة وهيام

رضيت بدين الحب لا ابتغي به • بديلا وفي حبي مضفت لحام

ولا اختشي كبر العصا واهلها • ولا اتقي منهم رضيه راع

• فلا عز للحادثات اعنها •

• محمد نجل المالكي هشام •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

سما زمن عليا به كل حاجة ، إلى ماجد رحب الفناء همام ،

واضحى اوان شب الخطوب ضرامها ، بنجل امير المومنين ضرام ،

وجيه مهيب كلما لاح وجهه ، تلقع رغما وجه بهم غلام ،

اعز المساعي توجته جلالة ، تغض لها الابصار وهي سوام ،

محجب الخباء اذا ما اذ كرته ، ذكرت ربيعا مستهل غمام ،

وان تره يوما باسم لمهمة ، وجدت منال الرغب خول تمام ،

يفيض الندى من راحتيه على الورى ، تفيض ناء الحجرتين ركام ،

فتبرك يسيم الزهر الا بسيفه ، يقاد له طوعا بغير خطام ،

تسل هرك بترا انكلما حشته ، اذا الدرع العسار ليل قتام ،

اذا ركبا رجت له الارض كلها ، بنحو لجب من الصهيل لهام ،

يجاذب الهامات الاعنة والقنا ، على جنبات للمارقين وهام ،

اذا ما فريق للضلال واوغلوا ، واغواهم صغيار كل طغام ،

رماهم بجعفار عليهم اض اغمم ، سيوف بهم فيها مرد حمام ،

وروى غليل المشرفية منهم ، وحكم في الاعناق صال كل حسام ،

وطهر دين الله من كل فاسق ، وابراهم من علة وسقام ،

فما زال بالبيض الصفاح وبالقنا ، يراجع عناد اهما و يحام ،

ويحي من الاثار ما كان دارسا ، تعاظم عن ادراك كل امام ،

200

فالجمري

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وما جرى من الانهار ما روض الفضا * وابدت به الادواح حسن قوام
ومجريه الفعم المقام اخضرا * تموج باحلى من كؤوس مدام
تعيض فيغني الارض عن واكف السما * من المزن رجاف الرواعد هام
فمهما به الامال يعوض ضاعها * لذى معشر من عيشهم بنيام

ايا سيدا لم يحو مجد السيادة * شيوخ وفراطى بسن غلام

ولله عبد المجد النجم دركه * احلك اعلى ذروة وسنام
بقيت لنا والدهر في الافق كوكب * وما جاء فض بعد شمس ضيام
تفيد لنا في كل عام مواسما * ذوات وجوه للوجود وسام
واعظمها قدرا واحسن منظرا * جلوسك للاقراء يوم ختام
ختام الصحيح الجامع الحجة الذي * رمت الى احكامه بزمام
تحكمه عنترا الحكومة منزلا * تفرع بحكم الوصف غير فيام
ممنوره الوضاح تقتبس الهدى * وترمى به نحو العدا بسهام
فمنورك نور الله ليس بمنطفي * وسيفك سيف الله غير كهام
واهدي الى مثواك مني بشائرا * ذوات قطاف في بديع نظام
على وجهك المحمود في كل موطن * صلاة تم المولى وازكى سلام

انتهى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

سافة الجيش العرمرم الغالب المظفر المغنم
في آداب الملك ودعائمه وأوتاده وقوائمه

اعلم أن للملك أمورا لابد منها يقوم الملك عليها أبناؤه، ولا يستغني
الملك عن مقوماتها هناؤه، وأمورا يكمل بها حسنه ورواؤه، ويتضح
بها بهاؤه، ويتم بها ضياؤه، ومجموع القسمين هو المستفاد من هذه
السافة، والذي يوجه الى عنايه مسافة، اما القسم الاول وهو
ما لا يقوم الملك الا به وهو اولى ما تنصرف الهمة الى استجلاب
وهو امور سبعة [1] العقل و[2] حسن السيرة و[3] خشية النظر و[4] ذكاء
الفطنة و[5] المشورة و[6] تدبير الحرب و[7] جباية الاموال وهذه الامور
كلها في الحقيقة ترجع الى السياسة **واما القسم الثاني**
وهو الامور التي يكمل بها حسنه ف[1] الشجاعة و[2] الحلم و[3] الجود
فهي ثلاثة من هذا القسم تبرز امور مستحسنة يجريها القلم

السفر

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

رشفة، وامور اخرى تلزم الملك لزوم الظل لشخصه، وشعاع
الشمس لقرصه، ومنها الحجابة والوزراء، والقضاء والشرطة
والكتابة **مجموع** المسائل التي يشتمل عليها في
هذا الشاهد اربع عشرة مسئلة ولكن اردفتها بالسرايا
لمناسبة الجيش **و**الخاتمة في مواعظ تناسب الملوك
وتعين الموفق منهم الى سبيل النجاة في السلوك والله المستعان

المسئلة الاولى من القسم الاول في العدل

قال الله تبارك وتعالى ان الله يامر بالعدل
والاحسان، فقرن الله العدل مع الاحسان اشارة الى ان
العدل قد لا يمكن الا مع الاحسان ولذلك كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطي العطاء البالغ للمؤلفة قلوبهم لان
مجرد العدل فيهم لا يتمكن في الحال ومنزلة الامام العادل عند
الله تعالى عظيمة قال صلى الله عليه وسلم عدل الامام ساعة في
رعيته يوما واحدا خير من عبادة خمسين سنة بقيامها
وصيامها وقال صلى الله عليه وسلم الامام العادل لا ترد
دعوته وما ذلك الا لما فيه من صلاح هذا النوع الانساني

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

6

الذي هو اشرف المخلوقات فبالعقل تصلح الدنيا وتعمر
البلاد وتكثر المنافع وبه يكون صلاح الاخرة وما الصواب به
صلاح الدنيا والاخرة اعظم منزلة عند الله تعالى فليس
ليس فوق منزلة الامام العادل الا نبي مرسل او ملك مقرب
وقد وعد الله تعالى اهل العدل بالنصر على الاعداء لنصرهم
شريعته فقال ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي
عزيز ثم بين سبحانه من ينصره فقال الذين ان مكناهم
في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر وما بعث الله رسولا ولا انزل كتابا
الا لتحصيل هذه الخصلة الشريفة قال الله تعالى يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض الاية وقال انا انزلنا عليك
الكتاب لتحكم بين الناس بالحق قال العيمري العدل هو ميزان الله
في الارض يوخذ به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل فمن
رفع ميزان الله الذي وضعه بين عباده فقد تعرض لسخط الله وقالت
الحكماء للمملكة صورة في صورة رجل فراسه الملك
اي السلطان وقلبه قوته ويداه الجند ورجلاه الرعية
وروح العدل فمملكة لا عدل فيها كجسد لا روح فيه وممـا

ربعي

منزلة

2041

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ويجبر المملوك على العدل تقريب من يوثر التقوى واجتناب من
يقبل الرشى واستكفاء من يعدل في القضية واستخلاص
من يشفق على الرعية فانه ما عدل من جار وزيره والاصلح من فسد
مشيره ولما ولي عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصري
وقال له اكتب لي صفة الامام العادل فكتب اليه اعلم
يا امير المومنين ان الله جعل الامام العدل قوام كل مائل وصلاح
كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف
والامام العدل كالراعي الشفيق الذي يرتاد لماشيته اطيب
المراعي ويذودها عن المراعي المهلكة ويحميها من اذى السباع
وغيرها وكالاب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم
كبارا ويكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته وكالام
الشفيقة على ولدها تسهر بسهره وتسكن بسكونه
وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته وكالقلب بين الجوارح تصلح
بصلاحه وتفسد بفساده والامام العادل قائم بين الله
وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينقاد الى الله ويقودهم
انتهى كلام الحسن البصري وسياتي ان شاء الله تمامه
في الخاتمة وروي ان عاملا لحمص كتب الى عمر بن عبد العزيز

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ان سور المدينة الى تحصين فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونق طرقها
من الجور والظلم وروى ان بعض عمال ابي جعفر المنصور غصب
ضيعة لرجل فارتحل ذلك الرجل حتى اتى ابا جعفر واستاذن فاذن له فلما
وقف بين يديه قال اصلح الله امير المؤمنين ان الطفل الصغير اذا نابه
مكروه انما يفزع الى امه لانه لا يعرف غيرها فلا يرى ناصرا له فوقها
فاذا ترعرع واشتد واوذي كان فراره الى ابيه لعلمه ان اباه اقوى من
امه فاذا بلغ وصار رجلا وحزبه امر شكى الى الوالي لعلمه انه اقوى (من ابيه)
من سواه فان لم ينصفه السلطان فاذا قوي عقله واشتد به
الامر شكى الى السلطان لعلمه انه اقوى من سواه فان لم ينصفه
السلطان شكى الى الله تعالى لعلمه انه اقوى من السلطان وقد نزلت
بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك الا الله تعالى في الموسم فاني
متوجه الى بيت الله وحرمه فقال بل ننصفك ولا نحوجك الى هذا
فكتب الى الوالي بهنت مرءا باءى الكرام ان يرد لهذا ضيعته
ساعة قراءته كتابه لا تاخير فيه ما لا فقبل الكتاب به وزود الرجل
واحسن اليه وانصرف **وقال** بزرجمهر لولده ان الملك
والعدل اخوان لا غنى لاحدهما عن الاخر فالملك اس والعدل حارس
فالملك بلا اس مهدوم والملك لا حارس له ضائع وقد قال

ح ادلاج

ح ح فان انصفتني والا رفعتها الى الله تعلى

ح ازهر

206

وهب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله النقص في مملكته
في الاسواق والزرع والضرع وفي كل شيء، واذا اعمل بالخير اوهم به ادخل
الله البركة في مملكته في كل شيء، ولما لقي سفيان الثوري ابا
جعفر المنصور قال له اني اعلم رجلا ان صلح صلحت الامة وان فسد فسدت
الامة قال ومن هو قال انت وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ملكا خرج
يسير في مملكته مستخفيا فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة وحلبت قدر
حلب ثلاثين بقرة فعجب الملك فلما راى او حدث نفسه باخذها فلما
راى او حدث نفسه باخذها فلما راحت من الغد حلبت على النصف
فقال الملك لربها ما بال حلبها نقص ارعت في غير مرعاها بالامس
قال بلى ولكن اظن ان ملكنا هم باخذها وان الملك اذا هم بالظلم او ظلم
ذهبت البركة فعاهد الله تعالى في نفسه وقال ان لا ياخذها فلما راحت
من الغد حلبت حلب ثلاثين بقرة فعاهد ذلك الملك ربه ان لا يتعدى
العدل ما بقي وفي هذا القدر كفاية في بيان فضيلة العدل الذي هو
روح جسد المملكة ولو ذهبنا الى بسط القول في هذا المقام بذكر
وقائع العدل الصادرة من الخلفاء الراشدين وامراء السلف لادى ذلك
الى الطول الموجب للسآمة والله المستعان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

السرية الثانية من القسم الأول في خمس السير وهي السياسة

لـــ افترضنا قال الله تبارك وتعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال رسول الله صلى الله عليه كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الامام
راع في اهل بعضه ومسئول عن رعيته والرجل راع في اهل بيته ومسئول
عن رعيته وقال أبو بكر رضي الله عنه لا يصلح هذا الامر
الا شدة في غير عنف ولين في غير ضعف وقال معاوية رضي الله عنه
لصعصعة بن صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان
عالما برعيته عادلا في قضيته عاريا من الكبر قابلا للعذر سهل الحجاب
مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف ○ وروي ان بني
اسرائيل سالوا موسى عليه السلام ان يعرفهم الزمان الذي يرضى فيه الله
سبحانه وتعالى على الناس فقال اذا استعمل عليهم الخير الليل الحيي
واوصى ابرويز ولده شيرويه فقال له توسع على جندك بسعة
يستغنون بها عنك ولا تضيق عليهم ضيقا يضجون به منك واعطهم
عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا وابسط لهم في الرجاء في العطاء

208

كمل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جزّا نهاره ثلاثة اجزاء
جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه
وبين الناس وكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوني حاجة
من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها ثبت الله قدميه على الصراط وامنه يوم الفزع الاكبر
وكان بعض الملوك اصابه صمم فاهمه ذلك من اجل
رعاية المظلومين فامر بالنداء في جميع مملكته الا يلبس الاحمر الا كل
مظلوم ثم قال ان منعت سمعي لم امنع بصري فكان كلما رءا
لابس الاحمر استكشفه عن مظلمته فقضى فيها بالحق وسئل
بعض الملوك بعد خلعه ما سبب ذهاب ملككم فقال الاشتغال باللذات
عن التفرغ للمهمات ووثقنا بحفاظنا فآثروا اغراضهم علينا
وظلموا الرعية فنفرت لنا منهم الطوية وقطعت الامداد
وقل الخراج وبطل العطاء فلما قصدنا العدو قل الناصر واعظم ما
اوجب انتهاء زوال ملكنا استتار الاخبار عنا قال العلماء
ومعظم ما راينا وسمعنا من سبب دخول الفساد على الملوك
من حجبتهم عن مباشرة الامور فلا تزال الرعية ذات سلطان
واحد ما ولي السلطان فاذا احتجب عنهم فهناك سلاطين

كثيرة ه **ولما** غزا سابور الاكتاف ملك الروم
وخرب كثيرا من بلاده فكتب اليه اخبرني ما الذي سست به مملكتك
حتى فوتت على ما ارى وبلغت ما لم يبلغه احد من الملوك قبلك
كله ما يضبط به الملك اديت اليك الخراج وحملت لبعض رعيتك
فقال له سابور اني لم ازد في السياسة على اني لم اهزل في امر
ولا نهي ولا خلفت في وعد ولا وعيد ووليت اهل الكفاية واثبت
لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب واودعت قلوب الرعية المحبة
من غير جرأة ولا ضغينة فرأيت لي الرعايا واديت الخراج ه
وقال زياد لحاجبه اني وليتك حجابتي وعزلتك عن اربعة منهم
عن المنادي للصلاة لا تعرجه عني ولا سلطان لك عليه وعن طارق الليل
لا تحجبه وانه ما جاء به تلك الساعة الا امر مهم وعن رسول الثغور
فانه ان ابطأ ساعة افسد عمل سنة فادخله علي ولو كنت في لحافي
وعن صاحب الطعام فان الطعام اذا اعيد تسخينه فسد **واوصت**
بعض الملوك امه فقالت له يا بني ينبغي للملك ان تكون له
ستة اشياء وزير يثق برايه ويفضي اليه بسره وحصن يلجأ اليه
اذا خاف وسيف اذا نازل الاقران لم يخش ان يخونه وذخيرة
خفيفة المحمل اذا نابته نائبة كانت معه وزوجة اذا دخل عليها

210

اذهبت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أذهبت همه وحزنه وطباخ اذا لم يشته طعاما صنع له ما
يشتهيه وكتب بعض الملوك ثلاث رقاع ودفعها الوزير له
اذا رايتني غضبت فادفع لي واحدة منها وكان في احداها انك
لست بالاله فتعجل ما شئت وانك ستموت وتعود الى التراب
فيأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في
السماء وفي الثالثة اقض بحكم الله بين الناس فانه لا يصلحهم الا ذلك

السر الثالث من الفن الاول في حسن النظر

لما احتضر أبو بكر الصديق رضي الله عنه ارسل الى عمر رضي الله
عنه وقال اني وليتك على الناس فاتق الله واعلم ان الحق ثقيل وانه ما ثقلت
موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة الا باتباعهم الحق في الدنيا
وثقله عليهم وحق الميزان اذا وضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا
وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق الميزان اذا وضع فيه الباطل
ان يكون خفيفا واعلم ان لله تعالى عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا
بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة وان
الله تعالى ذكر اهل الجنة بحسن اعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فاذا ذكرتهم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

قال اني اخاف ان لا الحق بهم وان الله تعالى ذكر اهل النار بسوء
اعمالهم ورد عليهم احسنها فاذا ذكرتهم قلت اني اخاف
ان اكون منهم وان الله تعالى ذكر اية الرحمة مع اية العذاب
ليكون المومن راغبا راهبا لا يتمنى على الله فان انت حفظت وصيتي
لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو اتيك وان انت ضيعت
وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولست بمعجزه ه
وقيل للاسكندر فلان يسيء الثناء عليك فقال انا اعلم
انه ليس بشرير فينبغي ان نعلم انه هل نابه من جانبنا امر دعاه
الى ذلك فبحث عن حاله فوجد لها رثة فامر له بصلة سنية
فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بحسن الثناء عليه فقال اما
ترون ان الامر الينا فيما يقال فينا من خير او شر ه فهذا
من حسن النظر وكان لعبد الله بن الزبير ارض مجاورة لارض
معاوية رضي الله عنهما فادخل فيها معاوية عبيدا
يعمرونها فدخلوا في ارض عبد الله فكتب الى معاوية اما بعد
يا معاوية فانه عبيدك دخلوا في ارضي والا كان لي
ولك شان فلما وقف معاوية على كتابه دفعه الى ابنه
يزيد فلما قراه قال له ما ترى قال ارى ان تبعث له جيشا

اول

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اوله عندك وءاخره عندي يأتونك برأسه فقال الوضين مرة لحد
يا بني علي برواية وفي كتاب فكتبنا وقفت على كتاب ابن حواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني ما شاء له والدنيا باسرها
مليئة عني بجنب رضاك وقد كتبت له على نفسي سجلا بالارض
والعبيد واشهدت علي فيه فليدفعها مع عبدانه الى ارضه
وعليك والسلام فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب له
وقفنا على كتاب امير المومنين اطال الله بقاءه فلا عدم الراي الذي
احله من قريش هذا المحل والسلام فلما بلغ معاوية قال الوليد له
اذا ابليت بمثل هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء ه **ولما**
دام المامون اشتغاله باهل خراسان بعث عليه ايام فبقيته مع
اخيه الامير استفتشا وزيره الفضل بن سهل فقال له الفضل انك قد
فاتك الغزو والحديث فارى ان تجمع العلماء وتحسن اليهم وتكرم
القواد والملوك وابناءهم وتعدهم بالمواعيد الحسنة والمراتب
العالية وتحط ربع الخراج عن الرعية ففعل ذلك فمالت اليه
وجوه الخلايق وقال انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا
وقال ابن الهيثري رفعت الى المامون ان رجلا ما زال يصرخ
بزمن فلان علانية وقال قد عرفت فضل الرجل وانا عازم ان اوجه

البيد عشرة آلاف اقطع بها الضيعة عني فقلت انه يا امير المومنين
اذا يطمع فيك كل من في مثل حاله حتى يجتمع فيك الشوفة وفي
مثل هذا يؤدي الى الاجحاف باموال المسلمين والحظ الاعلى فقال
والله لبركات ما تخاف لا افتح بيوت اموالي ولا غافر عن شتمهم اسماعي
والو هذا الرجل وادفع اليه عشرين الف دينار يصرفها فيما ينوبه
واضف اليه على توليته قال ففعلت ذلك وقابل الرجل فرفع مجلسه وولاه
انتهى

السرية الرابعة القسم الاول في ذكاء العقلية

كثيرا ما اوتي الملوك من تولية الامور لخامدي العقل واهل التغفل وان كانوا
امناء صالحين كما وقع لمولانا علي كرم الله وجهه في قضية التحكيم لما وجه لذلك
ابا موسى الاشعري في مقابلة من هو ادهى اهل زمانه عمرو بن العاص ذكر
الجرجاني اخر كتاب الكنايات ما نصه وحكي عن ابي عمرو بن
العلاء انه قال المغيرة ان عتبة بن ابي سفيان قال لابن عباس رضي الله
عنهما ما منع عليا ان يبعثك مكان ابي موسى فقال عبد الله بن
عباس منعه حاجز القدر وقصر المدة ومحنة الابتلاء اما والله
لو بعثني لاعترضت في مدارج نفس معاوية ناقضا لما ابرم
ومبرما لما نقض اسف اذا طاروا واطير اذا اسفوا لكن مضى

214

قدر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فدرو يغفر اسف ولا اخرة خير لامير المومنين وقال في ذلك خريم
ابن فاتك الاسدي مشيرا لهاذه القضية

لو كان للقوم راي يرشدون به • اهل العراق رموكم بابن عباس •
لله درايته ايما رجل • ما مثله لفصال الامر في الناس •
لاكن رموكم بشيخ من ذوي يمن • لم يدر ما ضرب اخماس لاسداس •

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا استعمل الرجل واحدا ع
خير منه لانه ايقظ عينا واوسع ذهنا واشد حذرا واصبر
على شدته وبعض الناس ينسب هذا القول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ومما يذكر من ذكاء الفطنة الصادر والملوك ما روي عن المنصور بن ابي
عامر انه قدم عليه تاجر من اليمن بجوهر نفيس واحجار ياقوت كثيرة
فاخذ منه ما استحسنه ورد اليه الباقي فصر التاجر ما بقي في قطعة
ملبانية حمراء واخذ في الرحلة على الشط فكان اليوم حارا فدعته
نفسه الى التبرد في النهر فنزع ثيابه ووضع الصرة عليها ودخل
في النهر يتبرد فمرت حداة فاختطفت الصرة تحسبها لحما وارتفعت
بها في الهواء حتى قطعت ما ادركته عين الرجل فقامت عليه
القيامة حتى اصابته منه ذلك علة فلما كان من جمع اثمان ما اشتري من
التجار جلس المنصور بن ابي عامر لذلك بنفسه فنظر المنصور

ج
وفنت

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الى التاج واستبان له ما هو عليه من المهانة والكآبة بعد النشاط
وسأله العارفة فسأله عن شأنه فاعلمه بقصته فقال هلا
اتيت الينا بجرانك وقوع الامر فكنا نستعين على الحيلة فيه
هربت الى الناحية التي اخذ اهل الرفقة اليها قال نعم فمشوا على سمت هذا
الجبل الذي قصد بعض الرملة فدعا المنصور شيخ تلك القبيلة فقال
له جئني بمشيخة اهل الرملة السابقة فمضى وجاء بهم ثلاثة فقال لهم
اجتمعوا في غير هذا الحي فقال منهم ثلاثة واتفقوا على الاضافة دون
تاريخ متناهض ولعل ذلك فقالوا ما نعلم الا رجلا من ضعفائنا كان يعمل
هو واولاده ويقتنا ويبنون السبو على اقترابهم فجاء على تمراد ابنته
وابتاع الان دارا وانتقل هو واولاده كسوة متوسطة قام بالخارج
من الغد وامر التاج بالغدو الى الباب فحضر الرجل بعينه بين يدي المنصور
واستدناه والتاج حاضر وقال له شيء ضاع منا وسقط اليك فما
فعلت به فقال ها هو ذا يا امير المومنين يا مولانا فمضى بسرعة الى
جزة ثم اسلمه واخرج الصرة بعينها فصاح التاج طربا وكاد يطير
فرحا فقال له المنصور صف لي حديثها فقال نعم بينما انا اعمل في
جنانة تحت نخلة اذ سقطت امامي فاخذتها ورايت حسنها
ومنظرها فعلمت ان الكاسر اختطفها من قصر لغيره من الجوار فاحرزت

ح
دا دجديع

ها.

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بها ووعدني وافقني الى اخذ عشرة دنانير عيونا كانت معهما في
الصرة وقلت اقل ما يكون من كرم مولانا المنصور ان يسمح لي بهما فاعجب
المنصور ما كان منه وقال للتاجر خذ صرتك وانظرها واصرفني
عددها ففعل وقال وهو راسه يا مولاي ما ضاع منها شيء
سوى الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له فقال له المنصور نحن اولى
بذلك منك ولا ننغص عليك فرحتك ولولا جمعه بين الاقرار والانكار
لكان ثوابه موفورا ثم امر للتاجر بالعشرة دنانير وللجمال بعشرة
ثوابا على تاديه عن افساد ما وقع بيده وقال له لو بدأت اتيتنا بالمال عن تمام من
قبل البحث لاوسعناك جزاء واحسانا قال فاخذ التاجر في الثناء
على المنصور وقال له والله لا يبقى في اقطار عظمة ملكك وابنيك
انك تملك صميم عقاك كما تملك بشرها فلا تقتص منه ولا تسوق جارك
فضحك المنصور وقال اقصر في قولك يغفر الله لك وذكر
ابن عذاري في البيان المغرب حكاية اخرى عن المنصور بن ابي عامر
اغرب من هذه تدل على شدة فطنته ودهائه ونصه قال ابن
حيان انه اي المنصور كان جالسا في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة
البرد والريح والمطر فدعا باحد الفرسان وقال له انهض الان الى فج
طليارش واقم فيه فاول خاطر يخطر عليك سقه الي فنهض

الفارس في الحين ويقي في الفحص في البرد والريح والمطر واقفا على فرسه

اذ وقف في الفحص شيخ هرم على حمار له ومعه الة الحطب فقال له

الفارس الى اين تذهب يا شيخ قال وراء حطب فقال الفارس في نفسه هذا

شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطبا فما عسى ان يريد المنصور

منه قال فتركته ثم فكرت في قول المنصور وخفت سطوته فنهضت

الى الشيخ وفرسار عيني قليلا فقلت له ارجع الى مولانا المنصور فقال

وما عسى ان يريد المنصور مني بالله دعني اتعجل واتركني لطلب

معيشتي فقال له الفارس لا افعل ولابد منه حتى تقوم بين يديه

ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه فقال المنصور للصقالبة اي عبيد

الدار فتشوه هل تجدون معه كتابا ففتشوه فلم يجدوا معه شيئا

فقال فتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتابا من نصارى كانوا في

تداعوا الى المنصور يخبرون عنك الى اصحابهم من النصارى يامرونهم

ان يقبلوا ويضربوا في احدى النواحي المعلومة فلما انبلج الصبح

امر المنصور باخراجهم ولبحت النصارى الى باب الزاهرة فضربت اعناقهم

وضربت رقبة الشيخ معهم وهذا من العجائب التي كادت ان

تكون من اختبار الغيب لا من خلال الذكاء فيه ولكنها سعادة محضة

ومما روى من دهاء ابرهيم بن الاغلب امير افريقية ان رجلا من

مجلسا

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

سجلماسة ذكر لي رفقة توجهت إلى مصر فخرجت مبادرا لأدركها
ومعي ثلاثة آلاف دينار فإذا بالرفقة قد فاتتني فجعلت
أطوي المراحل وحدي حتى وصلت إلى قابس فلما خرجت منها وسرت
أميالا لقيني سبعة من الفرسان فأنزلوني عن دابتي وأخذوا الخرج
بما فيه وأرادوا ذبحي فتضرعت إليهم فقلت قد أخذتم ما ابتغيتم دعوني
مضاعفة وأنا رجل غريب لا أعرفكم فأطلقوني فرجعت إلى قابس ثم سرت
إلى القيروان وقصدت الأمير إبراهيم بن الأغلب وهو في المقصورة فقلت
رجل غريب وقفت وراء هذا رجل ملهوف فأمر بإدخالي وسألني
عن أمري فقصصت عليه قصتي فأمرني بالجلوس وجعل يأمر وينهى
ويشاور بعض من معه وظننت أنه نسيني فلما انصرف قال
لخادمه الخفي بهذا الرجل قد تركب ومضينا بإزائه حتى دخل القصر
فأدخلت في بيت وأنا لا أدري ما يفعل بي فبعد ساعة أتيت بالمائدة
التي رفعت من بين يديه فوضعت بين يدي فأكلت ما أتت وأكلت ونمت
فلما انتبه الأمير من قائلته دعاني فرفعت إليه وهو في روشن
على باب القصر قد فتحت الأبواب التي فيه وأمرني بالجلوس
الحنية وإذا به قد دعا حاجبه في الوقت الذي ذكرت له قصتي
وقال له هل وجهت إلى المسرح خيلا في هذا اليوم فقال نعم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وجهنا سبعة من الفرسان وفرقوا فقال من جميع من على بابك من الخيل
ان ياتوا بعشرة فيلا من القافلة ووجه مناديا باسمائهم قال فوقف
خادم بين يدي الفضل بن فلان بن فلان فيجوز ناحية وقال لي ان وقعت
عيناك على واحد من اصحابك معروف فكلمه واخرج فقلت له فيا من
بوقوفه ناحية فلم يزل الوايمون حتى عرفت السبعة فقام بوجه
غيرهم وادخل السبعة وانا جالس الى جنبه فقال لهم اتعرفون هذا
الرجل فما انكروا فجعل يلاطفهم حتى قالوا نحن سلبناه وماله بوادي
فلان في المخرج لم ناخذ منه الا سبعة دنانير فقال احضروها فجاءت
في الحال وقال لي خذ متاعك فقال لي اتعينا او تلحق بالرفقة فقلت
وانى لي بالرفقة فقال للرجل اخرج من الجامع حتى وجهت الى عامل طرابلس
يحبس الرفقة عليك فدعوت الله له ووجه من يصحبني ويلحقني
بالرفقة فبلغتها سالما بجميع مالي ه وممّا حُكي من فطنة امير المومنين
ابي جعفر المنصور العباسي انه لما دخل المدينة في حجته قال للربيع وزيره
ابغني رجلا عاقلا عالما بالمدينة يوقفني على دور المدينة فقد بعد عهدي
بديار قومي فالتمس الربيع له فتى من اعلم الناس واعقلهم فكان
لا يبتدئ بالاخبار عن شيء حتى يسأل عنه فيجيب باخصر عبارة
فاعجب المنصور به فامر له بمال فتاخر عنه ودعته الضرورة الى استنجازه

صح صح
وان الوجه معك
من يلحقك بها

فمر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فجز ببيت عاتكة بنت عبد الله بن جعفر فامر فقال يا امير
المومنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص
يا بيت عاتكة الذي اتعزل · حذر العدا وبه الفؤاد موكل
اني لامنحك الصدود وانني · قسما اليك مع الصدود لاميل
فعلم المنصور بقوله وقال ثم يخالف عادته ابتداء بالاخبار
دون استخبار الامر واختبار ابيات القصيدة وتصفحها
شيئا فشيئا حتى وقف على قوله فيها
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم · مذق الحديث يقول ما لا يفعل
فقال المنصور يا ربيع هل وصلت الى الرجل ما امرت له به فقال
الى الان ما وصل اليه فقال عجل له مضاعفا ومزام الذكاء والفطنة
من امير المومنين المنصور رحمه الله

الشربة الخامسة من القسم الاول المشورة

شاور سواك اذا نابتك نائبة · يوما وان كنت من اهل المشورات
فالعين تبصر ما منها نأى ودنا · ولا ترى نفسها الا بمرآت
هي افضل على الراي من الاستبداد ولا انفع في الحزم من الاستغراد
واقل ما وقع للرشيد لما اشتمل عليه وزراوه البرامكة فامر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بعض الشعراء مغنية فانشدته قوله ۔ هـ

ليت هندا انجزتنا ما تعد ۔ وشفت انفسنا مما نجد ۔

واستبدت مرة واحدة ۔ انما العاجز من لا يستبد ۔

فكان ذلك سبب الانتقام من البرامكة كما هو معروف فان هذا
مقام اخر ونوع من المكر والاحتيال على التوصل الى كفاية
واريت كفايته من الاغراء وذلك من الحكم التي اشتمل عليها الشرع كما قيل

۔ الشرع نار بلا دخان ۔ وللقواطع زفير الهيبة ۔

وامر المشورة لو لم تكن اعظم الاسباب لسعادة اولي الالباب لما امر
الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وشاورهم في الامر مع انه
صلى الله عليه وسلم في غاية الاستغناء بانوار النبوة بما تكفل الله له
به من ارشاده وما عضده به من تاييده واقداره وانما امره تعالى بذلك
ليقتدي به غيره لما علم فيها من الفضل الكبير قال صلى الله
عليه وسلم ما تشاور قوم الا هداهم الله تعالى لارشاد امورهم
وقال صلى الله عليه وسلم المشورة حصن من الندامة وامان من
الملامة وقال صلى الله عليه وسلم لن يهلك
امرؤ عن مشورة وقال صلى الله عليه وسلم من نزل به امر فشاور
فيه من هو دونه تواضعا عزم له على الرشد وقال الامام علي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

رضي الله عنه نعمت الموازرة المشاورة وبيس الاستعداد
الاستبداد وقال الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الراي
الواحد كالخيط السحيل والرايان كالخيطين والثلاثة اراء
كالثلاثة خيوط لا تكاد تنقطع وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
المشاورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة لا يضل معهما
راي ولا يفقد معهما حزم وقال بعض الحكماء من كثرت استشارته
حمدت امارته وقيل للحكيم ما يويد العقل وما يضره فقال
يويده ثلاثة التثبت والتجربة والمشورة ويضره ثلاثة
العجلة والتهاون والاستبداد وقيل لرجل من بني عبس ما اكثر صوابكم
فقال نحن الف رجل فينا حازم واحد فنحن نشاوره ونطيعه فصرنا
الف حازم ويطلب في المشاور امور منها ان يكون ذا عقل وافر
قال صلى الله عليه وسلم استرشدوا العاقل ترشدوا وقال عبد الله الكامل
لولده محمد النفس الزكية احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا
كما تحذر مشورة العاقل اذا كان عدوا وقال بعض الحكماء من استعان
بذوي العقول فاز بادراك المامول ومنها ان يكون ذا تجربة للامور
ولذلك قال مولانا علي رضي الله عنه راي الشيخ خير من مشهد غلام
ومنها ان يكون ذا دين فان من غلب عليه الدين كان مامونا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

السر من مُوفُّوا العز بغيته وقال صلى الله عليه وسلم من اراد امرا فشاور
فيه مسلما تفيأً وفقه الله تعالى لارشد اموره ومنها ان يكون
ذا نصيحة ومودة فبهما يمحض الراي ويصدق الفكر فقال بعض الحكماء
من جاد الفكر ينجلي عند الغم ولا يكون ذلك الا من ناصح ودود ومنها
ان يكون سليم الفكر من هم قاطع وشغل مانع فان من غمرته فكرة
الهموم لم يستقم له راى والله اعلم وقد رمى حارثة بن بدر
بالاحنف بن قيس وقال له لولا انك عجلان لشاورتك فقال
له اجل كانوا لا يشاورون الجائع ولا العطشان ولا الخائف
ولا الماضل يعني المضل رحله او جمله ولا الطالب وكان كسرى
اذا همّ بامر استشار مرازبته فان قصروا في الراي عاقب قهارمته
وقال ابطاتم بارزاقهم فتعلقت خواطرهم بها فاخطؤوا في رايهم
وكان ملوك العجم اذا ارادوا ان يشاوروا رجلا اعطوه قوته وقوت
عياله حتى يتفرغ لكل ما يراد منه ومنها ان لا يكون له في الامر
غرض فان الراي اذا عارضه الهوى وجاذبه الاغراض فسد
ومنها ان لا يكون المشاور ممن سبقت له عداوة وتكدر عنه
الخروج الى مضاده فيتخذ ما فهم له غاية في المحبة والنصيحة فانه
يتعمد بذلك الرواية ويضمر لك الغوائل ولله در بني صلاح الاية فيما دل

ح
نصيحة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فضل الاول فقال مجاهد لا يسقطه بعضه ولا يتجه
ان الفضيلة تلقاها وان قدمت ، كالفرع يكرم حينا ثم يثمر ،
وفي حكمة الفرس اذا احترق لك العروق صرافة لعلة
الحاجة اليك مع صحة صحبة ما بي العلة ترجع العداوة كالماء تسخنه
فيسخن فاذا امسكت عنه عاد الى اصله باردا والشجرة المرة
لو طليتها العسل وسقيتها بماء النخل لما اثمرت الا مرا وكل
ذي عقل سليم يدرك ذلك كما قال زهير بن الحكمة ،
وما تخفي الفضيلة حيث كانت ، وكالنفط المرتفع من الظلم ،
روي ان بعض ولاة خراسان قطع يد رجل وكان ذلك
ذلك الرجل ليلا خريتا ثم احتاج ذلك الوالي الى دليل في بعض
غزواته فلم يجد غير ذلك المقطوع فدعاه واحضره اليه ثم
سار به وقال له ان اختصر لك الطريق فخفي في مسافة
ثلاثة ايام ثم قال له اسمع انك الان في مفازة في ولاية بينها
وبين الماء ثلاثة ايام من كل ناحية كلها سبخا فلا ماء فيه
ولا مسرعا وانت وكل من معك هالك فافعل ما بدا لك ومات
هو ومن معه من الجنود عطشا ومن كلام الحكماء من نالته
اساءتك فاحذر مساءته ، وما احسن قول صالح بن عبد القدوس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

إذا وترت امرءًا فاحذر عداوته • من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
إن العدو وإن أبدى مسالمة • إذا رأى منك يوما فرصة وثبا •

وقال غيره

ذو غرة ثم أمسى في الحبائل • فلا تنم عنه فالمرهوب يقظان •

السمة السادسة من القسم الأول في تدبير الحروب

هذا من أسرار أركان الملك فإن أهل الإمامة الكبرى والرياسة
العظمى بصدد معاداة كل أحد روى أن المأمون كان في سفر فانعزل
عن الجيوش لحاجة فلما بعد عنهم لقي أعرابيا فسأله المأمون عن اسمه وبلده
فأجابه عن ذلك فقال له الأعرابي من أنت فسألتني فأجبتك فأنا أسألك من أنت
قال أنا جميع العرب قال إذا أنت من قريش قال أنا من الذين تعاديهم
وتكرههم جميع قريش قال إذا أنت من بني هاشم قال أنا الذي تعاديه
وتكرهه جميع بني هاشم فقال له إذا أنت المأمون السلام عليك يا أمير المؤمنين
فإذا كان الإمام بهذه المثابة فما أحوجه إلى الاعتناء الكثير بتدبير أمور الحرب
قال بعض الحكماء إن الله تعالى قد جمع آيات الحرب في آية واحدة
وهي قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا

وتذهب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين **وكان** رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا بعث جيشا او سرية يقول اغزوا باسم الله وفي سبيل الله تقاتلون
من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امراة ولا صغيرا
انتهى **وكتب** عمر رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
ما نصه الى سعد بن مالك ومن معه من المسلمين اما بعد فاني امرك ومن
معك بتقوى الله فان تقوى الله تعالى افضل العدة على العدو واقوى المكيدة
في الحرب وكونوا اشد احتراسا من المعاصي منكم من العدو فان ذنوب الجيش
اخوف عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا
ذلك لم تكن لنا بهم قوة لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان
استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة واعلموا ان عليكم
في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا
بمعاصي الله وانتم في سبيل الله ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط
علينا وان اسانا فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم كما سلط على بني
اسرائيل من هو شر منهم اذ عملوا بمعاصي الله كفرة المجوس فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا واسالوا العون من الله على انفسكم
كما تسالونه النصر على عدوكم اسال الله ذلك لنا ولكم وترفق على المسلمين
في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بهم حتى يبلغوا غزوتهم والضعيف يتقوى منهم ومن قوتهم فانهم صائرون
الى غزو ومقيم خلف النغر والكراع وافسح من معك في كل جمعة
يوما وليلة لتكون لهم راحة فيها ويرمّون اسلحتهم وامتعتهم
وفي منازلهم على قرى اهل الصلح والذمة ولا يدخلها من اصحابك الا
من تثق بدينه ولا يرزأوا احدا من اهلها شيئا فان لهم حرمة وذمة
ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فوفوا لهم ولا
تستنصروا على اهل الحرب بظلم اهل الصلح واذا وطئتم ادنى ارض
العدو فاذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك امرهم وليكن
عندك من العرب او من اهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه
فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدق في بعض والغاش عين عليك
وليس عينا لك واذا دنوت من ارض العدو فاكثر من الطلائع وبث
السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع
الطلائع عوراتهم وانتق للطلائع اهل الراي والباس من اصحابك
وتخير لهم سوابق الخيل واجعل امر السرايا الى اهل الرغبة في الجهاد والصبر
على الجلاد ولا تخص احدا بهوى فيضيع من امرك ورايك اكثر مما حابيت
به اهل خاصتك ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليه فيه ضيعتها
واذا عاينت العدو فاضمم اليك اقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع

صح
ولا تبعث

اليك

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اليك مكيدتك وقوتك ولا تعاجلهم بالمناجزة ما لم يستنكر هذا فتال
حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الارض كلها معرفة اهلها
فتصنع بعدوك كصنيعه بك ثم اذكر حراسك على عدوك والعدة
ولوازمك ومن معك وليكن النصح لكم على عدوكم وهو المستعان ه **ومن ذلك**
الرسالة المباركة ما تركت قليلا ولا كثيرا مما يحتاج اليه بالحرب
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة ه وقالت الحكماء
رب حيلة . انفع من قبيلة . وقال المتنبي .
. الراي قبل شجاعة الشجعان . هو اول وهي المحل الثاني .
فالحازم من الملوك هو الذي يدبر مملكته بالاراء والمحاولة
والاحتياط والمدارات التي هي تعمل بمنصب الملك اذهما بكتب
فرع الكتائب وقد اوصى عبد الملك بن مروان اميرا سيره لارض الروم
فقال له انت تاجر الله تعالى لعباده فكن كالمضارب الكيس الذي ان
وجد ربحا تجر والا تحفظ براس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز
السلامة وكن من احتيالك على عدوك اشد حذرا من احتيال عدوك
عليك ه **وينبغي** لمن وجه جيشا ان لا يقدم عليه الا الرجل
الشجاع الباسل البطل الرابط الجاش الجريء القلب الهادي والبارس
الممارس للحروب المقارع للاقران فقد قالت الحكماء اسد يقود

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الى ثغله خير من ثعلب يغوده الى اسره واول ما يجب عند ارادة الحرب
هو اذكاء العيون كما تقدم في رسالة مولانا عمر رضي الله عنه ليكون ما يليه
امير الجيش وما يدبر من توقيف وحركة وسرعة وابطاء على معرفة منه
وتيقظ بما امر عدوه فلينتخب امير الجيش لذلك قوما عقلاء فطناء
نصحاء اوفياء لا يقدر غيرهم على استخراج ما في ضمائرهم بما رضخ لهم على
حسب الصنعة فقد ادركا بحاجته وان لم يجب على منع الصنعة الا واحدا
ضم اليه جماعة لا يعرف بعضهم بعضا ويعينهم منبع فمن قبل ذلك يعرف
صدقهم من كذبهم باتفاقهم واختلافهم حتى لا يقدم على امر الا بعد
تيقن حاله وعلى امير الجيش ان يخبر تفحصه عن العدو وقدر طاقته ولا يكون في
حالة واحدة يعرفه بها من ملبوس او مركوب او مستقر او حلية بل لا يزال
بين ذلك ويغيره النهار اوقات حتى يعمي امره على عدوه فانه اذا عرف
بزي طلبت غرته ويحمل عليه بكل وجه من وجوه الكيد ذاتية والهلاك فقد
اتفق ذلك لكثير من الملوك قبل الاسلام وبعده **وذلك** كملك
الحبشة باليمن الذي قام عليه سيف بن ذي يزن حسبما ذكره البيهقي وكجرجير
ملك النصارى بافريقية الذي قتله عبد الله بن ابي سرح ايام عثمان بن عفان
رضي الله عنه كما ذكره اهل الفتوحات وكقضية علي بن عيسى بن ماهان
مع طاهر بن الحسين وكقضية ابي الفتح البارسلان السلجوقي مع ملوك

الروم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الروم وغيرهم ممن يليق ذكره ولسنا نزيد فالواجب على امير الجيش ان لا
الحرب بنفسه بوجه الا اذا راى فرصة يخاف فوتها او راى
متوليها عجز عن القتال ورجوا انفاذه او راى ناحية من جيشه
راغبين في القتال ولم يجد من يسد غيره ولم يجتهد في اخفاء شخصه
وعدوه في ذلك ما امكنه واما في غير هذه الوجوه فلا ينبغي له ان
يباشره وروى ان المهلب بن ابي صفرة راى بعض ولده يعني مع
الترك افظ ابا مراغبه بالفرس فحمل على راسه وتقدم مستقتلا
للموت فاتاه القعقاع بن ابي علم وقال له ايها الامير ليس بنا عنك غنى
وارجو ان الله الفتاح الحقنا الذي اردت ولو اصبت ما كنا الا كغنم
لا راعي لها وليس للامير ان يباشر القتال حتى ما وجد من يحامي عنه
فتقدم القعقاع في الناس يحرضهم ويرغبهم في الجهاد فثابت
قوى الجيش فصبروا الجلاد حتى هزموا العدو ه وقد تقدم
في لواء اللمتوني ان الشيخ عبد الله بن ياسين قال لامير يوسف
ابن تاشفين انه وجب عليك حد لا بد ان اخذه منك فقال له ما هو
فقال لا اذكره لك حتى اخذه منك فقال له دونك فكشف
القميص عن ظهره فضربه عشر سوطا فقال له انك باشرت
القتال بنفسك وغررت بالمسلمين ومن مكايد الحرب اتخاذ

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الكمائن فالواجب أن يختار لها المواضع الخفية المنخفضة وينتخب
لها من الجند أهل التيقظ والجرأة ومن ليس به سعال ومن الدواب ما
ليس له صهيل ويكون أقدامهم بعد التيقظ بإقامة العزم
وليكن أيضا عمن كثرة الحذر سرعة ويكون نهوضهم من مكامنهم في وقت
يظن فيه غفلة الحارس وأن يكون في الصيف في أشد ما يكون من الحر
وفي الشتاء في أشد ما يكون من البرد وليكن أكبر همهم النكاية
في العدو فإن تعظم وكما يجب في حق الملك اتخاذ
الجنود من الشيوخ كذلك ينبغي له اتخاذ جند من الكهول وذلك
مما أثبتنا فيه في ألفاظ الملوك وأخبار الوزراء ومن أحسن ما روي
في ذلك ما رواه العجم قال كان نظام الملك وهو الذي تنسب إليه
المدرسة النظامية ببغداد قد توزر لابن العتيق البارسلان ملك
الترك وكان وزيرا لابنه من قبله فقام بدولتهما أخص قيام فشد
أركانه وشيد بنيانه واستمال الأعداء ووالى الأولياء
وعم إحسانه العدو والقريب والمحب والمبغض والغريب
والبعيد حتى ألغى الملك العزيز عن جيرانه وذلل الخلق لسلطانه
والذي مهد له ذلك مع توفيق الله تعالى أنه أقبل بكليته على
وإعانة حملة الدين فبنى المدارس للعلماء والرباطات للعباد

والصلحاء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والعلماء وأجرى لهم الجرايات مشاهرة ورتب لهم الكساء وعمّ بالخيرات
جميعهم فلم يكن أحد ينتمي إلى العلم وإلى الصلاح إلا ونالته نعمته
الشاملة السابغة في جميع مملكته وصحبه معتمده أربعة آلاف
من أكراد الشام المجاورين له جيحون وما بين الشام والعراق في
وسمرقند وخراسان الأمير عميد صلته وإحسانه فيخرج من بيت أمواله
في تلك الأسباب الصالحة ستمائة ألف ألف دينار في كل سنة
فاشتغل بمن الشيطان عند الملك وقال الواصفون الأقوال يفضلها بما
حيث نشر رأيه في صور قسط بيته محمله ذلك على أن قال
له يوما يا أبت بلغني أنك تخرج من بيوت المال كل سنة ألف ألف
دينار إلى من لا ينفعنا بشيء فبكى نظام الملك وقال للملك
يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي علي فيمن يزيد لما بلغ ثلاثين
دينارا وأنت مشتغل بلذاتك منهمك في مقاصدك دون هذا عندك جيوشك
الذين تعدهم للنوائب إذا احتشدوا جميعا كانوا عندك بسيوف طولها
ذراعان وقسي أقصاها من مداها ثلاثون ذراعا وهم مع ذلك
مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي وأنا أقمت لك جيشا
يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك قامت جيوش الليل على
أقدامهم صفوفا بين يدي مولاهم فأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء

ح ح
ثمانية

ح ح
خمسة دنانير وأنت غلام
تركي لو نودي عليك
عساك تبلغ ثلاثين

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بالدعاء ألسنتهم وفزعوا إلى الله أكفهم يدعون لك ولجيوشك
فإنك وجيوشك في ضمائرهم تعيشون وبدعواتهم تنصرون فهو سهام
دعائهم إلى السماء السابعة وتجاوزها بالدعاء والتضرع فبكى
أبو الفتح وقال لنظام الملك يا أبت أكثر لي من هذا الجيش جزاك
الله على حسن نظرك خيرا

السنة السابعة من القسم الأول في جباية المال

إذا أخذ المال من وجهه ووضع في محله • أورثته البركات وحفظته
العنايات • فكان ناميا للصاحب وإن كان قليلا • مكتفيا بالله وكفى
بالله كفيلا قلت كان مجموع علم تحملوه أفطنه الله في تدابير • وإن كان
كثيرا مجموعا كامصر الأبرار • وهو على الوضع المحمود مادة الملك وأغزر
عناصره • وأقوى مؤيده وناصره • وقد صنع أرسطاطاليس للإسكندر
الشكل الدوري المعروف عند الحكماء وكتب عليه العالم بستان سياجه
الدولة • الدولة سلطان تعضده السنة • السنة سياسة
يسوسها الملك • الملك راع يؤيده الجيش • الجيش أعوان يكفلهم
المال • المال رزق تجمعه الرعية • الرعية عبيد يتعبدهم العدل
العدل مألوف به صلاح العالم • العالم بستان ه وقولنا هو الوصف

المحمود

234

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

المحمود ان اذا اخذ من وجهه ووضع في محله هذا الغير لا بد منه في كونه
نافعا لصاحبه والا كان وجوده كعدمه وكانت في غفلته وهذا مشاهد
بالضرورة كم راينا وسمعنا من جمع من الاموال فانه يفقد ولم ينتفع به
عند الحاجة اليه بل يكون فالة اشرف اعليه ولذلك كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون لا يدخرون الاموال
بل يبذلونها في وجوهها ويصرفونها في صنوفها فقد قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاموال الثقيلة فجلس اليها فلم يقم حتى لم يبق منها
درهم وما ذاك الا ان ادخارها غير نافع وانما ينفع ادخار الرجال
وما ينتفع بهم من الات الحرب والكراع قال بعضهم يعني الرجال
خير من بيوت الاموال لقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل الاية وكان بعض الحكماء يقول عز الملك بيت ماله ومن يقيه
حشمه فاذا ضعف احدهما قوي الاخر فاذا ضعف بيت المال
ببذله للحماة قوي الناس واستتروا وادرك الملك كل ما اراد واذا قوي
بيت المال بان خزنه ضعف الحماة وقل الناس وهان امر الملك
فوثب عليه الاعداء وقد اوصى بعض الملوك ولده وقال له يا بني
لا تجمع المال لتتقوى به على الاعداء فان جمعه تقوية للاعداء
فانه اذا جمعت الاموال ضعفت الرجال فاختفى الصديق ووثب

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عليك العرق وكما قام ابو عبد الله داعية بني عبيد في قبيلة كتامة
على امر ائمة عبيدية واستجابت له البربر اى لدعوته وزحف بهم الى
الشاطئ زيادة الله القائم بدعوة بني العباس جعل زيادة الله
يعطي للناس بلا عد بل يحثوا للرجل ما يحمله من الذهب بالاكف كما يعطيه
من الخيل والسلاح فيخرج من عنده فيذهب للداعية فلم ينفعه ماله
المدخر عنده حين احتاج اليه لانه انما كان ادخره عداوة الناس لما احتجن
عليهم مال الله الماخوذ لاجلهم فكانوا يتربصون به الدوائر فلما امكنهم
القيام لم ينفعه ما ميزه جمع المال بعد ما جاوه عليه وهذا دليل
على عدم الانتفاع بالمال المدخر عن اهله واما قلة البركة فيه
فلانه روي انه لما مات هشام بن عبد الملك بن مروان خلف احد عشر ابنا
وكان اوصى لهم بمال فاقتسموه فجاء كل واحد منهم الف الف دينار
ثم ان الله تعالى محق ذلك كله في مدة قليلة حتى ما كان من ولده
احد الا وهو فقير ولقد شوهد احدهم يوقد في تنور الحمام يملأ فيه
بطنه ولما حضرت الوفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
دعا اولاده وكانوا احد عشر فلما نظر اليهم بكى وقال بابي وامي
من خلفتهم بعدي فقراء فقال له مسلمة بن عبد الملك تعقب يا امير
المومنين فعلك وتدارك امرك واغنهم مما بيدك اذ

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في حياته ولا يدفعه الوالي بعده فنظر إليه مغضبا وقال
يا مسلمة منعتهم إياه في حياتي وتشفع به بعد موتي أما
ولدي فبين رجلين أما مطيع فالله رازقه وكافيه وأما عاص
فلم أكن لأعينه على معصية الله ثم التفت إلى بنيه وقال إني
لم أترك لكم مالا ولكني تركتكم ولا لأحد قبلكم تباعة ولا تقع
على واحد منكم عين أحد إلا وجب له عليه حقا فلما مات خلف
بضعة عشر دينارا أكفن منها بخمسة واقتسموا الباقي فحصل
لكل واحد ثلاثة أرباع الدينار ثم إن الله تعالى وسع عليهم
حتى إن أحدهم جهز مائة فارس من خالص ماله في سبيل الله

القسم الثاني فيما يكون به حسن الملكة مما الأمر به رفق في جماله

وفيه ثلاث سرايا وخصال حميدة ومزايا

السرية الأولى من القسم الثاني في الجود

أما الدرجة العليا فيه فخاصة بنبينا ومولانا محمد بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم فإن الله سبحانه قد كتب في الأزل بلسان القدرة
لولاك لما أخرجت الدنيا من العدم وذلك أمر واضح شهير كما قاله

الامام البوصيري رحمه الله تعالى في بردة المديح

فان من جودك الدنيا وضرتها ۔ ومن علومك علم اللوح والقلم

من البسيط الخفيف وامام في الشاهد فقد كان لا يباري في الجود ولا يجاري

قال جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما يكون في رمضان اذا لقيه جبريل وكان اجود بالخير من الريح المرسلة وسأله رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال لهم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة واعطى صفوان بن امية مائة من الابل ثم مائة اخرى ثم مائة اخرى فكان صفوان يقول كان محمد ابغض الناس الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي واعطى المؤلفة ازيد من الف بعير في يوم واحد ورد على هوازن سبيهم وكانوا ستة الاف واعطى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه من الذهب ما لم يطق حمله وجيء يوما بتسعين الف درهم فوضعت على حصير فقام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغت واهدى له طبق فيه رطب وقثاء فرده مملوءا ذهبا وكان عليه السلام يقول الخلق عيال الله واحب الخلق الى الله تعالى انفعهم لعياله ويقول الكريم قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وقال اصطناع المعروف يقي مصارع السوء

وقال

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وقال لبلال انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا وقال له رجل اوصني
يا رسول الله فقال لا تحقرن شيئا من المعروف ان تاتيه ولو ان تفرغ
من دلوك في اناء المستقي وتلقى اخاك بوجه طلق وقال اهل المعروف
في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة **وافترى** به صلى الله عليه وسلم
اصحابه واهل بيته روي ان ابا بكر رضي الله انفق على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثمانين الفا **وروي** انه خرج عن ماله ثلاث مرات **وورد** عليه
في صدر خلافته مال من بعض العمال فصبه في المسجد وامر فنودي من
كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضر فجاء ابو ايوب
وقال ان رسول الله صلى الله عليه قال لي ان جاءنا مال اعطيتك هكذا
وهكذا وهكذا واشار بكفيه فقال له ابو بكر اذهب فخذ فقال
فجمعت حفنة فقال عدها فوجدت فيها خمسمائة دينار فقال
خذ مثليها فاخذت بالف وخمسمائة ثم قسم الباقي على المسلمين
وكان عمر رضي الله عنه يلبس المرقع وياكل الخشن ويعطي نفايس
الرغائب ولا يرضى باعطاء القليل وكان يقول اذا اعطيتم فاغنوا
ولما فتح العراق وجمع اليه من المال الجافل ما لم يفد مثله قيل له ادخله بيت
المال فقال لا ورب الكعبة لا يرى تحت سقف بيت المال حتى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

حتى يغسل ويغطى في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح ورءا الذهب والفضة
والدر والياقوت والزبرجد تبلالا بكى فقيل له ما هذا بيوم
بكاء ولاكنه يوم شكر وسرور فقال والله ما كثر هذا في قوم
الا رجع باسهم بينهم ثم توجه الى القبلة وقال اللهم انى
اعوذ بك ان اكون مستدرجا فانى اسمعك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ثم قال اين سراقة فاتى به اشعر
الذراعين واعطاه سوارى كسرى فقال البسهما
ففعل فقال قل الله اكبر فقال الله اكبر فقال قل
الحمد لله الذى سلبهما كسرى لكفره والبسهما اعرابيا من
بنى مدلج لايمانه ولم يعط سراقة غير السوارين وكان
فيهما غنى الابد وقسم سائر المال على المسلمين ولم ياخذ
منه شيئا وانما اعطى السوارين لسراقة لان النبى
صلى الله عليه وسلم قال له يوما وقد نظر الى ذراعيه كانى بك
وقد لبست سوارى كسرى فقال سراقة ملك قال نعم
وقال عمر رضى الله عنه لما قسم تلك الاموال ان الذى

ح
الملوك

240

ادى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ادى اليناه هذا الامير فقال رجل انما كنت انت امينا كان
الناس كلهم أمناء ولو رتعت لرتعوا قال نعم وكان عثمان
رضى الله عنه ذا جود وعطاء يتبع بعطاياه وجوه البر
فقد روى انه اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغزوا
تبوك فارغب الناس في النفقة في سبيل الله فقال عثمان رضى
الله عنه وعلى مائتا اخرى بافتابها واحلاسها ثم فعل مثل
ذلك في الثالثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على عثمان
ما فعل بعد هذه وكانت في المدينة بير جرية لرجل من اليهود
فما يستقى احد منها الا بثمن فاشتراها عثمان باربعين الفا
وصيرها على المسلمين وكان بازاء المسجد بيت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اشتراه وزاده في المسجد فله الجنة فاشتراه
عثمان وادخله في المسجد بعشرين الفا قال الحسن البصري
شهدت عثمان بن عفان يخطب وانا فى راهقت فلم ار منظرا احسن
منه فسمعته يقول اغدوا على كسوتكم فيجاء بالحلل فتقسم بينهم
حتى انه والله يقول يا معشر المسلمين اغدوا على السمن والعسل
فيقسم بينهم ثم قسم بينهم الطيب والمسك والعنبر وغيره

تحمل

على صابة بعير بافتابها واحلاسها ثم رغب صلى الله عليه وسلم في النفقة في سبيل الله فقال عثمان رضي الله عنه وعلي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والاعطيات دائم والخير كثير **وكان** الامام علي رضي الله عنه
في الدرجة العليا فقدم عليه اعرابي فقال يا ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم رفعت اليك حاجة فقد رفعتها الى الله قبل
ان ارفعها اليك فان انت قضيتها حمدت الله وشكرتك وان لم
تقضها حمدت الله وعذرتك فقال خطها فاني اكره ان ارى
عليك مذلة السؤال وكذلك كان يقول رضي الله عنه كل من
عرضت له حاجة الي فليرفعها الي في كتاب فاني اكره ان ارى ذل
المسئلة في وجوهكم فكتب الاعرابي في الارض اني عار وانا
ضعيف فقال علي للغلام يا قنبر ائتني بالحلة الفلانية فدفعها
الى الاعرابي فلبسها وقام بين يديه وانشد هذه الابيات

كسوتني حلة تبلى محاسنها • فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا •
ان نلت حسن ثنائي نلت مكرمة • وليس تبغي بما قد نلته بدلا •
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه • كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا •
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به • كل امرئ سوف يجزى بالذي عملا •

فقال علي يا قنبر الدنانير التي عندك ادفعها للاعرابي ثم قال له
يا اعرابي اما الحلة فلمسئلتك واما الدنانير فلادبك وكانت مائة

دينار

دينار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تشكر والمرائي عليكم
اثنتين **وقال** رجل لمعاوية اعطني مما اتيت من عند ابخل رجل
واجبنه والكنه فقال له معاوية من هو فقال علي فقال له
كذبت والله لو كان لعلي بيت تبر وبيت تبن لانفق تبره قبل تبنه

ح
فف

وما كان علي في فتنة الا غلب ولا اخطب بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من علي قبحك الله واشرف الامام علي يوما في ايام
ولايته على بيت ماله فرأى فيه فضة كثيرة وذهبا كثيرا فتغير
لونه وارعد فقال يا بيضاء ابيضي وغري غيري ويا حمراء احمري
وغري غيري ثم امر بقسم جميعه على الناس وامر بكنسه ورشه ودخل
وصلى فيه فقال الان استرحت والحمد لله **وحسبك** منقبة
في جوده رضي الله عنه جوده بنفسه في الليلة التي انزل الله في شانه

ح ح
ما نزل فيما فيه من سر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الآية النازلة

قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية فقد فدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنفسه فلبس لباسه وارتدى برداءه وقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انك مبعوث ودعني في مكانك افديك بنفسي
فبات علي مكانه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجو الله تعالى
ان يقيك شرهم **وروى** ان الله تعالى قال في تلك الليلة لجبريل
وميكائيل عليهما السلام اني اخيت بينكما وجعلت عمر احدكما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اطول من عمر الاخر فايكما يؤثر صاحبه بالزيادة فاختار كل منهما ان تكون
الزيادة له فاوحى الله اليهما هلا كنتما مثل علي ابن ابي طالب اخيت
بينه وبين نبيي محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة
اهبطا الى الارض واحفظاه من عدوه فكان جبريل عند راسه وميكائيل
عند رجليه وهما يقولان بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله بك
الملائكة وفي ذلك انزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله هذا بعض البعض مما روي عن الخلفاء الراشدين
رضوان الله عليهم في هذه الخصلة التي هي الجود واما بغيرهم من
الصحابة فانه لا يمكن ان يجمع ديوان وذلك كالحسنين السبطين رضي
الله عنهما وابن عباس وابن جعفر وابن عوف وطلحة بن عبيد الله ومن لا يحصى
من المهاجرين والانصار واما اجواد الملوك من الدولتين الاموية
والعباسية ومن بعدهما فلو ذهبنا الى ذكر القليل من ذلك لخرجنا عن
المقصود ولا باس بالالمام بما فيه غرابة او كثر قصة او حكمة فمن ذلك
ما حكي عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه انه مرض يوما فاستبطأ الناس
في عيادته فسأل فقيل له انهم يستحيون منك لما لك عليهم من الدين
فقال اخزى الله مالا يمنع من زيارة الاخوان ثم امر مناديا ينادي من
لقيس عليه مال فهو في حل فازدحم الناس عليه حتى كسرت عتبته

بابه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

تعفف الجيران

غص بابه من كثرة العواد ووقفت عليه امراة يوما فقالت
اشكو اليك قلة الجرذان في بيتي فقال ما احسن هذه
الكناية املأوا لها بيتها بالحنطة والادام وسائر الاقوات
ومن ذلك ما حكي عن عرابة الاوسي الذي قيل فيه هذين البيتين

رايت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

قيل انه لما ضعف حاله في اخر عمره خرج الى المسجد ويده
اليمنى على كاهل غلام ويده اليسرى على كاهل غلام وهما يقودانه لانه
صار اعمى ولقيه رجل في طريقه فسلم عليه وقال له اني رجل غريب انقطعت
بي السبل ونفدت نفقتي ومقصدك لتعينني بما جعل الله على يديك
فرفع يديه عن الغلامين وقال خذهما بارك الله فيهما والله ما املك
من الدنيا غيرهما وجعل يقول امرا ياخذ بي الى المسجد واتكل على الله
ومن الاجواد عبد الله بن ابي بكر الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه
روي انه كان ينفق على جيرانه اربعين دارا عن يمينه واربعين عن يساره
واربعين امامه واربعين خلفه يقوت الجميع ويكسوهم ويعطيهم لهم
وكان يعتق كل عيد مائة رقبة وروي انه اشترى يوما جارية
بعشرة الاف وقال لغلامه ائت براحلة تحمل عليها فقال له رجل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بعزاه ابنتي فقال اغلوها عليه الى ذاك **ومن الاجواد** مخلد بن
يزيد بن المهلب بن ابي صفرة كان كابيه وجده واهل بيته
المهالبة انشد له رجل :

آل المهلب قوم ان نسبتهم ، كانوا الاكارم آباء واجدادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم ، بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم ارواح يكون لها ، آل المهلب دون الناس اجسادا

فاعطاه مائة الف درهم ثم عاد اليه فقال له مخلد الم تك اتيتنا قبيل
حاجتي نالك فقال بلى ولكن ذكرت قول الكميت فيكم :

سألناه الجزيل فما تلكا ، واعطى فوق منيتنا وزادا
فاعطى ثم اعطى ثم عدنا ، فاعطى ثم عدت له فعادا
مرارا ما اعود اليه الا ، تبسم ضاحكا وثنى الوسادا

فاعطاه ضعف ما كان اعطاه قبل ومات مخلد هذا في حياة ابيه
وصلى عليه عمر بن عبد العزيز وقال اليوم مات فتى العرب ولو اراد الله
بابيه خيرا ابقاه له ثم انشد عمر بن عبد العزيز فيه متمثلا

على مثل عمرو تذهب النفس حسرة ، وتضحى وجوه القوم مغبرة سودا

ومن اجواد العرب المشهورين بالافضال في الدنيا معن بن ابي زائدة الشيباني
احد امراء الدولتين المروانية والعباسية روي ان الصاحب بن عباد

ح يزيد

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فرق على الناس كسى كثيرة فسمع بذلك بعض شعراء زمانه فكتب
إليه بهذه الأبيات شعر

أيا من عطاياه تهدي الغنى ... إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين ... كسى لم تخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ... ثياب من الخز إلا أنا

فقال الصاحب فرائد في أخبار معن بن زائدة أن رجلا سأله من كسوة
فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ونعل وقال لو علمت مركوبا
غير هذا لأمرت لك به وأنا أمرت لك بجبة وقميص ودراعة وعمامة
وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس ولو علمت
ملبوسا غير هذا لأمرت لك به روي أن رجلا قصد معنا فقيل له
كيف تدخل هذا البستان فأخذ عودا فنقش فيه هذا البيت وجاء إلى
مدخل الماء إلى البستان فألقاه في الماء والبيت هو هذا شعر

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فليس إلى معن سواك رسول

فدخل الماء بالعود فأخذه معن وقرأه وقال أين هذا فصاح بالباب أحد
فوجدوا الرجل فأدخل المجلس وقال له أنت صاحب هذا العود قال نعم
فأمر بإنزال الرجل معززا وبعث إليه مائة ألف ووضع العود تحت وسادته
فلما كان من الغد رفع العود أيضا وبعث إليه بمائة ألف أخرى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وفي اليوم الثالث من الغد وبعث اليه مائة الف اخرى
فلما راى الرجل كثرة المال الذي وصل اليه فاستعظمه وخاف
ان ينبغي له تجمع تلك الاموال وذهب بغير استيذان فلما كان
اليوم الرابع بحث عنه فلم يوجد له خبر فقال معن عزمت ان
ابعث اليه كل يوم مائة الف كلها فان شغله حتى يفنى
جميع ما في بيوت اموالي كان معن بن زايدة يتصرف لبني
امية في انواع الولايات وكان منقطعا الى يزيد بن عمر بن هبيرة امير
العراقين فلما وقعت الحروب التي بين ابن هبيرة وبين ابي جعفر
المنصور ابلى معن فيها بلاء عظيما فلما قتل ابن هبيرة خاف
معن فاختفى واشتد طلب ابي جعفر له وجعل لمن ياتيه به عشرة ديات
قال معن فلما طال بي الامر تعرضت للشمس حتى حال لوني وجهي
وخففت عارضي ولبست جبة صوف وركبت جملا وخرجت في زي
اعرابي متوجها الى البادية فلما خرجت من باب المدينة تبعني
اسود متقلدا بسيفه حتى اذا غبنا عن الحرس قبض على خطام
البعير واناخه وقبض على يدي فقلت ما لك قال انت طلبة الملك
فقلت ومن انا حتى يطلبني الملك قال انت معن بن زايدة فقلت
لست بمعن فقال انا اعرف بك منك فلما رايت منه الجد قلت عندي

واحفيت

جوهر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

125

جوهر يساوي أضعاف ما جعل المنصور لمن يأتيه بي إليه فخذه ولا تكن
سبب سفك دمي فقال هاته فأعطيته إياه فلما نظر إليه قال
صدقت ولكن لست أقبله منك حتى أسألك عن شيء فإن صدقتني
أطلقتك فقلت قل فقال إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني
هل وهبت مالك كله قط قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه
قلت لا حتى بلغ العشر فاستحييت فقلت أظن أني فعلت هذا
قال ما ذاك بعظيم أنا رجل رزقي من المنصور كل شهر عشرون درهما
وهذا الجوهر قيمته ألوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لجودك
المأثور بين الناس ولتعلم أن في الدنيا أجود منك ولتحقر بعد هذا
كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد في حجري
وأطلق خطام البعير وقال انصرف في حفظ الله فقلت يا هذا قد
والله فضحتني ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته لك فإني عنه في غنى
فضحك وقال أردت أن تكذبني في مقالتي هذه والله لا أخذت في معروف
ثمنا أبدا ومضى لسبيله قال معن فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت
وبذلت لمن يأتيني به ما شاء فما عرفت له خبرا ولم يزل معن مختفيا
إلى أن كان يوم الهاشمية وكانت في ذلك اليوم مقتلة عظيمة
وكان معن متواريا بالقرب وهو يوم ثار فيه جماعة من أهل خراسان

في قيمته صح

ولا تعجبك نفسك صح

249

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

على ابي جعفر في المدينة التي بناها السفاح بالانبار وتسمى
الهاشمية فخرج معن متلثما فتقدم وقاتل بين يدي المنصور
قتالا عظيما ابان فيه عن نجدة وشهامة وفرق القوم شذر مذر
فلما افرج عن المنصور قال له من انت ويحك فكشف لثامه فقال انا
طلبتك يا امير المومنين انا معن بن زائدة فامنه وكساه وحباه
وصار من خواصه وقال فيه شاعره المنقطع اليه مروان بن ابي حفصة
قصيدة بديعة يمدحه بها فاعطاه عليها مائة الف درهم ويروى
ان معنا دخل يوما على المنصور فقال له هيه يا معن اتعطي
ابن ابي حفصة مائة الف على ان قال فيك

معن بن زائدة الذي زادت به • شرفا الى شرف بنو شيبان •

فقال كلا يا امير المومنين انما اعطيته ذلك على قوله في هذه القطيعة

ما زلت يوم الهاشمية معلنا • بالسيف دون خليفة الرحمن •

فمنعت حوزته وكنت وقاءه • من وقع كل مهند وسنان •

فقال احسنت ه وقد جمح بنا القلم عما نحن بصدده من الاختصار
لان النفوس تستلذ مكارم الكرم واركانه اليوم قد انقطع وانصرم
والمراد انما هو الاشارة بفضيلة الجود الذي اتفق اهل العقول المتقدمون
والمتاخرون على انه محبوب عند كل امة محمود قال بعض الحكماء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ان الجود اساس الملك وكماله، وحسنه وجماله، تعنو له الوجوه
وتذل له الرقاب، وتشتهر به الاخيار، وتستمال به الاعداء، وتحقن
به الدماء، فكم من شخص جاد بنفسه وماله واهله واصحابه، وكم
من تارك لاجله دينه وملته، واحق الناس به احوجهم الى عطف
الخلق عليهم وصرف الوجوه اليهم وهم الملوك وولاة الامور

ج
ابا

وقد حكي ان الوليد بن رشد لما سمع اخبار الشيخ
ابا العباس سيدي احمد بن جعفر المعروف بالسبتي ووجه صاحبه
وقال له انظر هذا الرجل حتى تستقصي احواله على التمام واخبرني بذلك
فلازمه الرجل سنة كاملة فلما رجع الى ابن رشد قال له حاصل الخبر
عنه انه رجل يدور امره كلها على الصدقة فقال ابو الوليد لعله من
قوم يرون ان الوجود ينفعل بالجود هـ هذا مبلغ علم ابي الوليد
فيه شأن من لم يدر ما وراء ما هو فيه والمراد من حكاية هذا الكلام
قول الوجود ينفعل بالجود فانه صحيح لا يحتاج الى برهان دليله
المشاهدة والعيان وما كان هذا القدر فيه الكفاية في هذه
السيرة والا لو اراد الانسان ان يعد ما اشتهر بالجود في الاسلام
والجاهلية لاعجزه ذلك من الملوك وغيرهم مثل حاتم الطائي ومعن
اوس بن حارثة وهرم بن سنان وعبد الله بن جدعان وابي دلف العجلي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وكعب بن مامة والبرامكة يحيى بن خالد الذي قيل فيه البيتان
اللذان طارت بهما رياح الاشتهار وبلغا مبلغ الليل والنهار وهما
سألت الندى هل أنت حر فقال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة تملكني عن والد بعد والد
وولديه جعفر والفضل فقد ملأ الناس أخبار جودهم ومآثرهم
بالتآليف ومثل الفضل بن سهل وأخيه الحسن بن سهل ومثل طاهر
ابن الحسين الخزاعي وولده عبد الله بن طاهر وغيرهم ممن ذكرهما يفوت
العد ولا ينتهي إلى حد والله واسع عليم

السيرة التاسعة في النجدة والشجاعة

هذه الخصلة بها تكمل سعادة أهل الرياسة وتتم
المفاخر لولاة الأمر وأرباب السياسة ومن خلا منها لم يتم أمره
ولم يلحق بمضمار الكمال بدره ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمحل الأعلى منه فقال ابن عمر رضي الله عنه ما رأيت أشجع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
مولانا علي رضي الله عنه كنا إذا اشتد الباس واحمرت الحدق اتقينا
برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه **وقال**

انس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اشجع الناس ولقد فزع
اهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت واستبرا الخبر على فرس
لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا
وقال عمران بن حصين رضي الله عنه ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب ۞ فصل واما من شجاع الا وقد حفظت
له فرة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق الموالف والمخالف
على انه ما نكص قط ولا احجم فقد حضر المواقف الصعبة وفر
عنه الابطال غير ما مرة وهو مقبل غير مدبر وقد قيل للبراء بن
عازب افررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال
لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر لقد رايته على بغلته البيضاء
يركضها نحو الكفار وهو يقول ۞ شعر ۞

انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب

وكان عمه حمزة وابن عمه علي بن ابي طالب رضي الله عنهما اشد الناس
اقداما بعده صلى الله عليه وسلم وقد تقدم بعض اخبار مولانا علي
رضي الله عنه واما سيدنا حمزة رضي الله عنه فيكفي فيه
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل فاخبرني

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ان حمزة مكتوب في اهل السماوات حمزة بن عبد الله بن عبد المطلب
اسد الله واسد رسوله وكان يوم بدر معلما يشير نعامة
احمر ولما اسر عبد الرحمان بن عوف امية بن خلف وابنه عليا
قال له امية يا عبد الرحمان من المعلم بريش نعامة احمر فقال
حمزة قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل وكان ذاك كالفحل
الهائج لم يلبث امر الله عز وجل ان قتل من صناديد قريش
الذين يعدون بالف احد عشر رجلا منهم شيبة بن ربيعة
وطعيمة بن عدي وكانت له يوم احد في المشركين نكاية عظيمة
قتل منهم في اول الحملة ثلاثة منهم ارطاة صاحب لواء
المشركين ومن مشاهير ابطال الصحابة خالد بن الوليد
رضي الله عنه ويكفي في فضله ان النبي صلى الله عليه وسلم
سماه سيف الله على الكفار وكان من عظماء قريش
في الجاهلية له كانت القبة والاعنة اما القبة
فكانوا يجمعون فيها ما يجهزون به جيوشهم واما الاعنة
فهي قيادة الجيش في الحروب رضي الله عنه ولما توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف الصديق رضي الله
عنه ولى خالدا قتال اهل الردة فكان له في ذلك الغناء

العظيم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

1248.

العظيم كما هو مشهور لاسيما اهل اليمامة اتباع مسيلمة
الكذاب الذين لم يلق الصحابة اشد باسا منهم وهم المراد
بقوله تعالى قوم اولي باس شديد فلما فرغ من اهل الردة
وجه ابو بكر رضي الله عنه الى العراق ووجه ابا عبيدة الى
الشام فلما بلغ ابو عبيدة الى الشام جمع له الروم الجنود
ما لا يحصى لقتال المسلمين فكتب بذلك ابو عبيدة الى
ابي بكر فقال والله لا ينسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن
الوليد فكتب اليه ان الحق اخوانك المسلمين بالشام فان
الروم قد جمعوا لهم فاذا بلغتهم فانت امير الجماعة
فكان فتح الشام كله على يديه امير في خلافة الصديق وتحت
لواء ابي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم اجمعين قال
بعض من حضر وقعة مجل وكانت من الوقائع العظام بالشام
لما لقينا العدو حمل خالد على الميمنة بهم بعضها ببعض ثم
عاد الى الميسرة فدق بعضها ببعض وعلى القلب كذلك فقتل
من بطارقتهم احد عشر وما من سواهم وهو ينشد

ابهم بصارم مهند ... ضرب حبيب الدين هاد مهتد
... واهدى الحواري كما هي ...

سند عون

وقال ابو بكر

255

واعظم الوقايع في تلك الحروب وقعة اليرموك كان
عدد المشركين فيها مائتي الف واربعين الفا وكان المسلمون في
ستة وثلاثين الفا فنصر الله على عدوهم حتى لم يفلت
منهم الا قليل ومات منهم غرقا في نهر الواقوصة مائة
وعشرون الفا وقتل الف فيهم بالمعركة واستشهد من
المسلمين في نحو من ثلاثة الاف وكان خالد متولي الحرب ذلك اليوم
وسواء اول من تولى قتال الروم فقتل بعد ذلك انهزامهم
وفي ذلك يقول بعضهم

لما لقينا اولياء الشيطان • دعواهم فادعوا عونا للرحمان •
والله قد اخزى حزب اهل • بخالد النجد ابي سليمان •

ومن طالع كتب الفتوحات لم يخف عليه قدر خالد وشهامته
ومكانته من الاقدام ولما حضرته الوفاة قال شهدت ازيد
من مائة زحف وما في جسدي موضع الا وفيه ضربة او طعنة
او رمية وها انا اموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت
اعين الجبناء ومن مشاهير شجعان الصحابة رضي الله عنهم
الزبير بن العوام وولداه عبد الله ومصعب وبيت بني العوام
بيت شجاعة واقدام في الجاهلية والاسلام اما الزبير فمواقفه

شجعان

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

شهيرة وكان يعد بالف خرج في اول يوم التعوير من اتباع
اليهودي يحي يطلب البراز فخرج اليه الزبير فقتله واخذ
سلبه ثم ثانيا كذلك فخرج اليه الزبير فقتله واخذ سلبه ثم ثالث
كذلك ثم رابع كذلك فخرج خامس فاراد الخروج اليه فاقسم ابو
عبيدة عليه فرده ولما بعث عمرو بن العاص الى امير المومنين
عمر يستمده لما ان جيوش اهل مصر كثيرة وطلب منه ان يرسل له
فبعث اليه اربعة الاف على كل الف منها رجل يعد بالف فارس
وهم الزبير والمقداد وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة
وكتب اليه اعلم ان معك اثني عشر الفا وكان في عصر الصحابة
جماعة غير هؤلاء يقوم الواحد منهم مقام الف واما عبد الله
ابن الزبير فهو الذي قتل جرجير امير الروم في اول فتوح افريقية
ونفله عبد الله بن ابي سرح ابنته كما هو مشهور ومعها اربعون
جارية وحصل من اعظم الغنائم واما مصعب بن الزبير فتكفيه
شهادة عدوه روى ان عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه
من اشجع العرب فقال بعضهم امير المومنين وقال بعضهم شبيب
الخارجي وقال آخرون قطري بن الفجاءة وذكروا اناسا فقال
عبد الملك بل اشجع الناس رجل جمع بين سكينة ابنة الحسين

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ابن علي ابن طالب التي لا اجمل منهما في عصرها وعائشة بنت طلحة
التي تسامين في الحسن والجمال وامة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز
وابنة زبان سيد العرب وولي العراقين خمس سنين واصاب الف الف واعطى
الف الف والف الف والف الف فابى وسل سيفه وتقدم يوم الابطال
حتى قتل حميدا عزيزا مقبلا غير مدبر ذاك مصعب بن الزبير فقال القوم
صدق امير المومنين ومن شجعاء الصحابة وهو اولى بالتقديم طلحة بن
عبيد الله رضي الله عنه كانت له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد
مشهورة سيما يوم احد فقد روي انه جرح يومئذ خمسا وسبعين جرحا
ما بين طعنة وركزة وضربة ورمية ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنفسه حتى شلت يده وقطع منها اصبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي سبقته الى الجنة ومع ذلك لم يوهنه ما اصابه فانه حين
اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصعد فوق الصخرة ولم يقدر برك له
ابو طلحة فرقى فوق ظهره حتى استوى عليها وكان الصديق رضي الله
عنه اذا ذكر يوم احد قال ذاك يوم كله لطلحة وهو احد الاجواد
المشاهير كما هو معلوم ومن المشاهير الشجعان من الصحابة
رضي الله عنهم ابو دجانة الانصاري رضي الله عنه وهو ممن يقوم مقام الف
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج يوم احد سيفا وقال

ص

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

من ياخذه بحقه فقام اليه رجال فامسكه عنهم حتى قام ابو دجانة
فقال وما حقه يا رسول الله فقال ان تضرب به في العدو حتى ينحني فقال
انا اخذه بحقه فاعطاه اياه وكانت له عصابة حمراء اذا اعتصب بها
علم الناس انه يقاتل وكان الزبير ممن سال السيف فلما اخذه ابو
دجانة قال الزبير منعنيه وانا ابن صفية عمته فاعطاه اياه والله
لاتبعنه حتى انظر ما يصنع به قال فاخرج عصابته الحمراء وعصب بها
راسه فقالت الانصار اخرج ابو دجانة عصابة الموت فخرج يتبختر
بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله
تعالى الا في مثل هذا الموطن فتقدم وهو يقول ،

انا الذي عاهدني خليلي ، ونحن بالسفح لدى النخيل ،
الا اقوم الدهر في الكيول ، اضرب بسيف الله والرسول ،

فجعل لا يلقى احدا الا قتله وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا
الا دفف عليه فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله
ان يجمع بينهما فلما التقيا اختلفا ضربتين فعضت سيف المشرك في
درقة ابي دجانة وضربه ابو دجانة فقتله قال الزبير فقلت حينئذ
الله ورسوله اعلم قال ابو دجانة رايت رجلا يحمش الناس حمشا شديدا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فجهرت الميه فلما حملت السيف عليه ولولت فاذا امراة فاكرمت
سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اضرب به امراة : وقال ابو خيثمة
لما انكشف المسلمون يوم اليمامة رايت ابا دجانة يرمي بنفسه
في نحور القوم امامه وعن يمينه وعن يساره وصاح رجالا منهم فتعرفوا
عنه ونكصوا حتى تراجع المهاجرون والانصار فحملنا على المشركين كبة
حتى اقحمناهم الحديقة فقال ابو دجانة ارموني على الترسة والقوني
في الحديقة فطار بهم حتى فتح الحديقة فوجدناه ميتا رحمة الله عليه
وقتل مسيلمة لعنه الله في الحديقة قتله وحشي بعد ما ضربه
عبد الله بن زيد الانصاري بسيفه فاوهنه ثم زرقه وحشي
بحربته والله اعلم ايهما قتله ۞ ومشاهير
الابطال من الصحابة يفوت عدهم من طلب فاحرى غيرهم من سائر العرب
في الجاهلية والاسلام فما حوى غيرهم من سائر العرب في الجاهلية
والاسلام وليس مرادنا في هذه العجالة المذكورة في هذه الشارقة
الاستقصاء وبلوغ الغاية في الاحصاء والشجاعة باقية في هذا
الجنس الانساني ما بقي الدهر ولكن شجاعة كل زمان بحسبه والله
سبحانه وتعالى اعلم واحكم ۞

العربي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الشعبة الثالثة من القسم الثاني في الحلم

فإن الحلم من خصال الشرف العلي ومن احق ما يتصف به ذو
الالباب وفيه راحة للاسرار وسلامة للاعراض واستجلاب للمحامد
والثناء الجميل لاسيما الولاة للامر وملوك الامم فما احوج من ولاه الله
شيئا من امور خلقه الى ما يملك به قلوبهم ويستدعي به زمام
ودهم والحلم عليهم التي هو غاية الا احتمال اليسير والنفوس مجبولة على
حب المحسنين قال بعض العلماء حد الحلم ضبط النفس عن هيجان
الغضب وقال جعفر الصادق لان اندم على العفو خير من ان اندم
على العقوبة وسئل ابو محمد الباقر ما حقيقة الحلم فقال كيف
يعرف فضل شيء ما اظهر جلاله به احوج الناس الكرام يغضون اشواء
الملوك عند تنازعهم وضيق اخلاقهم فاذا لم يكن الملك ذا حلم بين
بوادرهم تحامل امورهم حملا ثقيلا ولذلك كان للانبياء عليهم الصلاة
والسلام في اعلا درجات منه فقد اثنى الله على الخليل عليه السلام
فقال ان ابراهيم لحليم وقال في ولده الذبيح اسماعيل عليه السلام فبشرناه
بغلام حليم وقال في نبيه شعيب عليه السلام على لسان قومه انك

ح ب
المحسنين

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لانت الحليم الرشيد وروي ان عيسى عليه السلام مر على قوم
من اليهود الملاعين فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له في ذلك فقال
كل ينفق مما عنده وكان نبينا صلى الله عليه وسلم في الدرجة العليا من
الحلم فكان لا يزيد على كثرة الجهل عليه الا صبرا ولا على اساءة المسيء
عليه الا حلما قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها الا ان تنتهك حرمة من حرم الله
سبحانه وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله تعالى وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقال بابي انت وامي يا رسول الله
ما احلمك والله لقد دعا نوح على قومه فهلكوا ولو دعوت علينا
لهلكنا عن اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك
وقيل الاذى عليهم فابيت ان تقول الا خيرا وقلت اللهم اهد قومي
فانهم لا يعلمون وروي انه لما كذبه اهل مكة وبارزوه بالعداوة
جاءه جبريل ومعه ملك الجبال فقال له يا محمد ان الله امر ملك الجبال ان
يطيعك فيما تامره به فقال له ملك الجبال ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين فعلت فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج من اصلابهم
من يعبد الله ولا يشرك به شيئا وقد هبط عليهم من النعيم ثمانون رجلا

ح ح
ومن اجل ذلك قال بعض العلماء
كاد الحليم ان يكون نبيا وكان

262

عن

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

عند صلاة الصبح ليقتلوه فأخذوا فعفا عنهم وأطلقهم وفي ذلك نزلت
وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية وعفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره
وقد أوحي إليه بشرح ذلك فلم يعاتبه فضلا عن معاقبته وعفا
عن اليهودية التي سمته في الشاة التي سمتها وسمته وأهدتها إليه
وأخبره بذلك ذراع الشاة عندما ولته فدعا بها فاعترفت وقال
لها ما حملك على ذلك فقالت قلت إن كان نبيا لم يضره وإن كان كاذبا أرحنا
الله منه فعفا عنها على الصحيح ولما أظفره الله بأهل مكة بعد ما
فعلوا به من قتل أصحابه وعمه وتمثيلهم بهم وتحزبهم عليه مما زاد
على أن عفا عنهم وقال ما ترون أني فاعل بكم فقالوا خيرا أخ كريم
فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
اذهبوا فأنتم الطلقاء **ومن ذلك** حلمه عن عبد الله بن أبي وغيره من
المنافقين بعد اطلاع الله له على خبث رأيهم وقبيح أسرارهم وقال لمن
سأله قتلهم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه إلى غير ذلك مما
ينال له من جفاة العرب وكان يقول إذا ناله منهم جفاء وغلظة يرحم الله
أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر وقال عليه الصلاة والسلام وجبت
محبة الله تعالى لمن غضب فحلم وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب الحليم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

الحيي ويبغض الفحش البذي وقال الاشج عبد القيس ان فيك
لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة وقال اذا كان يوم القيامة ينادي
من له اجر على الله تعالى فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلى فمن عفا واصلح
فاجره على الله وقال ما ازداد احد بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله
وقال اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه
ولما نزل قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل سال جبريل عن معناه فقال
يا محمد ان الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك
وروي مثل هذا في قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه والله لاسبنك سبا يدخل
معك قبرك فما زاد على ان تبسم وقال بل معك يدخل لا معي والله لا معي
واغتاظت عائشة رضي الله عنها على خادم لها ثم رجعت الى نفسها
فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء وروي عن ابن عباس رضي
الله عنه ان عيينة بن حصن استاذن له الحر بن اخيه على امير المومنين رضي
الله عنه سيدنا عمر فلما دخل عليه قال والله يا ابن الخطاب لا تعطينا
الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب وهم ان يوقع به فلما راى ذلك
ابن اخيه قال يا امير المومنين ان الله يقول خذ العفو وامر بالعرف

واعرض

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

واعرض عن الجاهلين قال مجاهد والله ما جاوزها عمر حين تلاها
وكان وقافا عند كتاب الله تعالى واقوى ما ورد في حلم عثمان
رضي الله عنه قضيته يوم الدار اذ قام عبيده وخواصه وجماعة من
المهاجرين ليقاتلوا الذين حاصروه فقال العبيد من اغمد سيفه فهو حر
وقال لغيرهم من كانت لي في عنقه بيعة فليغمد سيفه فقالوا انهم
يقتلونك فقال وان قتلوني فلا اراق دماء المسلمين بسببي وكان
مولانا علي رضي الله عنه يحض على الحلم ويوصي به ويقول من حلم ساد
ومن تفهم ازداد وقال له سلطان يوما ما الذي يباعدني من غضب الله
قال الا تغضب وقال يوما للعلاء بن شتيح من احمق الناس قال
الذي يظن انه اعقل الناس قال فمن اعقل الناس قال من لم يتجاوز الصمت في
عقوبة الجهال قال صدقت وقال اول عوض الحليم عن حلمه
ان الناس انصاره ولذلك كان الاحنف بن قيس يقول وجدت الحلم
من الرجال انصر لي من الرجال وما ذاك الا ان من حلم كان الناس انصاره
وقال اكثم بن صيفي العز والغلبة للحليم وقال معاوية رضي الله
عنه لخالد السدوسي انك تحب انك تحب عليا حبا مفرطا فقال
احبه والله لحلمه اذا غضب ولعدله اذا حكم ووفائه اذا وعد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وصفه اذا احترف وسأل علي رضي الله عنه احد كبراء العجم
عن احمد ملوكهم عندهم فقال لازدشير فضل السبق غير ان احمدهم
سيرة انوشروان قال فاي اخلاقه كان اغلب قال الحلم والاناة فقال
علي رضي الله عنه هما توأمان ينتجهما علو الهمة ولما ضرب الملعون
ابن ملجم بعد كعبه لعلي رضي الله عنه قيل له ما تامرنا ان نصنع به فقال
ان اعش فالامر اليكم وان تعفوا فهو اقرب للتقوى وروي انه دعا غلاما له
يوما فلم يجبه فدعاه ثانية وثالثة فقام اليه فرآه مضطجعا فقال
اما سمعت ندائي قال بلى قال فما منعك من جوابي قال امنت عقوبتك
فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله العظيم وقال انا نحلم
اكفا انوفنا قطعها واشتهر ذلك في اهل بيته رضي الله عنهم فروي
ان رجلا من اهل الشام قال دخلت المدينة فرايت رجلا راكبا على بغلة
فلم ار احسن منه وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة فمال قلبي اليه فسالت عنه
فقيل لي هو الحسن بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فجئته وقلت له
انت ابن ابي طالب كرم الله وجهه فجئته فقال لي انا ابنه فقلت
فعل الله بك وبابيك وجعلت اشتمه واسب اباه وهو يتبسم
فلما انقضى كلامي قال احسبك غريبا فقلت اجل فقال ان احتجت

ح التي وان امنت فلا الام البتة

266

الى

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

134

الى منزل الذي لقاه وان احتجت الى مال واسناه وان احتجت الى معونة اعانه قال وانصرف وما علم به الارض اعز الوضع وكان لسيدنا الحسين رضي الله عنه غلام جنى جناية توجب عقوبة شديدة فلما افعل للطرح قال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال فعم فقال يا مولاي والعافين عن الناس فقال قد عفوت عنك قال يا مولاي والله يحب المحسنين قال انت حر لوجه الله العظيم ولك ضعف ما كنت اعطيك وروى عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين المعروف بالباقر انه كان يقول من كظم غيظا يقدر على امضائه حشى الله قلبه ايمانا وكان ابنه جعفر الصادق يقول لان اندم على العفو احب الي ان اندم على العقوبة وروى ان الحسن بن زيد بن الحسن بن علي هجاه ابو عاصم الاسلمي فلما ولي الحسن المدينة اتاه مستنكرا في زي الاعراب وانشده

سنان من حسن الحسن بن زيد ، وتشهد لي بصفين القبور ،
قبور لم تزل مذ غاب عنها ، ابو حسن تعاديه الدهور ،
قبور لو باحمد او علي ، يلوذ مجيرها حفظ المجير ،
هما ابواك من وضعا فضعه ، وانت برفع من رفعا جدير ،

فقال الحسن من انت قال ابو عاصم الاسلمي قال اذن حياك الله وبسط له رداءه واجلسه عليه وامر له بعشرة الاف درهم وكان

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وكان الراعي العلوي صاحب كبرهستان من ولد الحسن هذا فكان اذا افتتح
الخراج نظر ما في بيت المال من اخراج السنة التي قبلها فيفرقه في قبائل
قريش على درجاتهم وفي الانصار والفقهاء واهل القرآن وسائر الطبقات
حتى لا يبقى منه شيء فجلس في سنة من السنين ليفرق على عادته فبدا
ببني عبد مناف فتقدم اليه رجل فقال من اي بني عبد مناف انت فقال
له من بني امية فقال اي الطلقاء من بني معاوية ومن ولد يزيد قال نعم قال
بئس ما اخترت لنفسك اذ جئت الى ابن طالب وعندك ثارهم
وجل العلويين ينظرون نظرا منكرا فقال لهم الراعي كفوا عافاكم الله
تحلم فليس في مثل هذا درك لثار الحسين وقد حرم الله تعالى ان
تطالب نفس بغير ما اكتسبت ووالله لا يعرض له احد الا اقدته به
واسمعوا حديثا يكون لكم قدوة حدثني ابي عن ابيه قال عرض
على المنصور سنة حج جوهر فاخر فعرفه وقال هذا كان لهشام بن عبد
الملك وصار لابنه محمد وما بقي غيره ثم قال للربيع اذا كان غدا وصليت
بالناس في المسجد الحرام فاغلق ابوابه كلها وافتح بابا واحدا وقف
عليه فلا يخرج الا من عرفته فلما كان الغد فعل الربيع ذلك فعرف
محمد اذ ذاك انه المطلوب فتحير واذا محمد بن زيد بن علي بن الحسين
فلما راه متحيرا وهو لا يعرفه انكر امره فقال يا هذا اراك

متحيرا

268

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

منجيك فمن انت ولك الامان وعليّ تخليصك ان شاء الله قال انا محمد
ابن هشام بن عبد الملك بن مروان فمن انت قال انا محمد بن زيد بن الحسن قال
معشر الناس احتسبت نفسي اذا قال الربيع باس عليك يا ابن عمي فانك لست
قاتل زيد وانا اولى بخلاصك منه باسلامك ولكن تعذرني فيما
اتناوله به من مكروه يكون سبب خلاصك ان شاء الله تعالى فقال
انت وذاك فطرح رداءه في عنقه ولببه واقبل يسحبه فلما
قرب من الربيع بخيله قال يا ابا الفضل هذا الخبيث جمال
من الكوفة اكريته جماله ذاهبا وغائبا وفر هاربا مني في هذا الوقت
واكرى لبعض قواد خراسان ولي عليه شهود فضم اليه حرسيين يسيران
معي الى القاضي ويمنعان الخراسانية من التعرض لنا فضم اليه الربيع حرسيين
فمضيا به معه فلما بعدا من المسجد قال يا خبيث اتؤدي الي حقي
قال نعم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للحرسيين انصرفا وحل
القرشي اطلقه وقبل محمد بن هشام رأسه وقال الله اعلم
حيث يجعل رسالاته ثم اخرج جوهرا له قدر عظيم ودفعه اليه
وقال يا سيدي تشرفني بقبوله فابى وقال انا نحن اهل بيت لا ناخذ
على معروف اجرا وقد تركت دم زيد وهو اعظم قدرا منك فانصرف
رحمك الله راشدا واختف من هذا الرجل فانه مجد في طلبك فانصرف

علي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وفي نجرته ام الراشد للامر بمثل ما امر به لسائر بني عبد مناف
وضم اليه جماعة من مواليه وامرهم ان يبلغوه ما منه ويأتوه بخطه بعلامته
وكان معاوية رضي الله عنه يقول انى لا رفع نفسي ان يكون ذنب اوجهل
اكبر من حلمي وعورة لا يواريها ستري ويقول ان الغى الرجل اعلم بقلبه علي
ضغنا فاشتفيتم فيشور الى منه بغير ما في نفسه فيدفعه شتما
واوسعه حلما حتى يعود صديقا استنجدته فينجدني وقسم يوما
قطعا على الناس فاعطى شيخا من اهل دمشق قطيفة لم تعجبه فحلف ان
يضرب بها راس معاوية وجاء واخبره وقال له اوف بنذرك وليرفق
الشيخ بالشيخ وكان قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه من اشهر
العرب بالحلم وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه
مسلما انه لسيد اهل الوبر وفيه يقول بعض الشعراء وفرها

عليك سلام الله قيس بن عاصم ... ورحمته ما شاء ان يترحما

سلام امرئ غادرته غرض الردى ... اذا زار عن شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

وكان خال الاحنف بن قيس ومنه تعلم الاحنف بن قيس قال بينما نحن
عنده يوما جلوسا اذ جاءت خادم بسفود عليه شواء فسقط من يدها
على ابن له صغير كان بين يديه فمات فدهشت الامة فقال لها روعي عليك

اعلم من عجوة

الحلم

انت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

انت حرّ في سبيل الله وقال الابن ذهب فما اطايب من الربع الاشهر فهل
بتعجيل العفو وسئل الاحنف بن قيس ممن تعلم الحلم فقال من خالي
قيس بن عاصم ولقد كنا نتردد اليه لنتعلم الحلم كما كنا نتردد الى العلماء
لنتعلم العلم وكنا يوما عنده وهو جالس يحدثنا فاذا بجماعة قد
اتوا بقتيل ومكتوف فقالوا له هذا ابنك قد قتله اخوك هذا فوالله
ما قطع حديثه ولا حلّ حبوته حتى فرغ ثم انشد بيتين
اقول للنفس تاساءً وتعزيةً . احدى يدي اصابتني ولم ارد .
كلاهما خلف من فقد صاحبه . هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي .
ثم التفت الى ابن له اخر وقال يا بني اطلق عمك ووار اخاك
وسق الى امك مائة من الابل ديته ولدها فانها غريبة فيكم
والبيتان المذكوران تمثل بهما بعض الامراء من العرب قتل اخوها
ابنها فانشد بهما في ذلك وقد ذكروا قضية الحي السبيعي الذي قتل
جروٌ كلبه فسجلاه بعضهم والقصة مشهورة لا نطيل بها وكان
الاحنف بن قيس المذكور يضرب به المثل في الحلم روي ان رجلا ادركه
في طريق فجعل يتبعه بافحش سب وهو ساكت فلما قرب من الحي
وقف الاحنف وقال يا اخي ان كان بقي لك شيء من السب فقله ها هنا
فاني اخشى عليك ان يسمعك فتيان الحي فيؤذوك وجعل عمرو

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

عمرو بن الاهتم العشرة درهم لم يمنعه الاحنف فاقبل عليه رجل يشتمه
سبا عنيفا ليغضبه والاحنف مطرق صامت فلما راه الرجل لا يكلمه
جعل يعض اصابعه ويقول واسوءتاه والله ما منعه من جوابي
الا هواني عليه :: وفعل به ذلك واطال الى ان اراد الاحنف
القيام الى الغداء فاقبل على الرجل وقال يا هذا ان غداءنا قد
حضر فانهض بنا اليه فانك منذ اليوم تحدو على جمل ثفال
وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول ما قرن شيء الى شيء افضل
من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة ويقول من اجتمعن فيه فقد سعد
من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل
واذا قدر عفا وكف . وجنى رجل في ايامه جناية اوجبت
عقوبته فنذر لئن اظفره الله به ليفعلن به ما يحفظه فلما ظفر
به ام بعقوبته فقال له رجاء بن حيوة قد فعل الله لك يا امير
المومنين ما تحب فافعل انت ما يحب الله من العفو فقال صدقت
وامر باطلاقه واسمعه رجل يوما كلاما يكرهه فقال له
عمر اعليك انما اردت ان يستفزني الشيطان لعزة السلطان فانال
منك اليوم ما تناله مني غدا انصرف غفر الله لك ورحمك فانصرف
وهو يقول

272

• لم يدرك المجد أقوام وإن كرموا • حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام •
• ويشتموا فترى الألوان كاسفة • لا صفح ذل ولكن صفح أحلام •

وروي أن المهدي العباسي نذر دم رجل كان سعى في فساد دولته
وجعل لمن دل عليه ألف درهم فتوارى الرجل حينا ثم ظهر وصار خائفا
يترقب فمر في الأسواق فأخذ بمجامع ثوبه فقال هذا بغية أمير
المؤمنين فأيقن الرجل بالهلاك وإذا بوقع الحوافر فنظر فإذا معن بن
زائدة في موكبه فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف معن وقال
للذي تعلق به أرسله فقال له إنه بغية أمير المؤمنين التي نذر فيه لمن دل
عليه فقال انطلق إليه وأخبره أنه عندي وحمل معن الرجل وانطلق الآخر
إلى المهدي بالخبر فأمر بإحضار معن فلما أتاه الرسول دعا ببنيه ومواليه
وقال لهم لا يخلص أحد إلى هذا الرجل وفيكم عين تطرف وركب وأتى
المهدي فسلم عليه فلم يجبه وقال أتجير علي يا معن قال نعم يا أمير
المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال معن يا أمير المؤمنين
قتلت على طاعتك في يوم واحد خمسة عشر ألفا ولي أيام كثيرة كان
لي فيها حسن بلاء وعناء أفما أهل أن يوهب لي رجل واحد
استجار بي فأطرق المهدي كثيرا ثم قال أجرنا من أجرت وقال معن
فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله بصلة فيكون قد أحياه وأغناه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء Fondation du Roi Abdul-Aziz Casablanca

فقال قد امرت له بخمسة آلاف فقال يا امير المومنين ان الملوك
صلاتهم تكون بقدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل كبير وعفو
امير المومنين اكبر فاجزل له الصلة فقال قد امرت له بمائة الف
قال عجلها يا امير المومنين فان افضل الخير اعجله فامر بتعجيلها
له فدعا معن وانصرف وتحمل المال فاعطاه للرجل وقال
الحق باهلك واياك ومخالفة الخلفاء فيهم يويد الله الدين
ويحوط الاسلام وقيل ان هارون الرشيد خرج عليه
خرج عليه رجل فحمل اليه حنيفا مطبوعا به فلما ادخل عليه
قال له ما تظن اني صانع بك قال الذي تظن ان يصنع الله بك اذا
وقفت بين يديه فاطرق الرشيد ثم رفع راسه وامر باطلاقه
فلما خرج قال بعض الحاضرين يا امير المومنين يقتل رجالك ويفني
اموالك وتطلقه بكلمة واحدة مستجرئ عليك اهل الشر فامر برده
فعلم الرجل انه سعي به عنده فلما وقف بين يديه قال يا امير
المومنين لا تطعهم فيّ فلو اطاعهم الله فيك ما استخلفك عليهم
لحظة واحدة فامر باطلاقه وقال لا تعاودوني فيه وكان
للمامون مع الحلم ما يزيد به على سائر اهل بيته حتى صار الحلم جبلة
فكان يقول النفس عندي بالحلم مفتونة ولوددت ان اهل الجرائم

خ حلمه

علموا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

علموا ان في العفو من ذهب عنهم الخوف مني فخلصت لي قلوبهم
وقال ايضا الفرح بالعفو حتى خفت ان لا اوجر عليه
ولو علم الناس بما اجد في العفو من اللذة لتقربوا الي بالجرائم قال
القاضي عمر بن حبيب العدوي وفد اهل البصرة على المامون وانا
معهم وكنت اصغرهم سنا البيت لهم قاضيا ونحن معه اذ جيء برجل
مقيدا مغللا ثم بسط النطع وجيء بالسيف وامر بضرب عنقه
فقلت في نفسي لاقومن فاكلمه لعل الله تعالى ينجيه فقلت يا امير
المومنين حدثني ابي عن جدي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان
العرش ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن اخيه فاعف عنه
عفا الله عنك فقال المامون آلله ان اباك حدثك بهذا الحديث فقلت
والله ان اباك حدثني به فقال قد عرفت ان ابي حدثني به على الوجه
الذي ذكرت فاطلقوه وامر لي بالقضاء ه ولما خالف عمه ابراهيم
ابن المهدي عليه وظفر به في خبر طويل عجيب مشهور ووقف بين يديه
وانشده

اتيت ذنبا عظيما ۞ وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن ۞ وان اخذت فعدل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

دولة المامون وقال له لو لم يكن يا عم بحق نسبك ما يوجب الصفح عنك
لبلغك ما املت حسن توسلك ولطف تنصلك ثم اقبل على اخيه ابي
اسحاق المعتصم وابنه العباس ومن حضر وقال ما ترون في امره فاشاروا عليه
بقتله وسكت احمد بن ابي خالد وكان وزيره فقال له تكلم فقال يا امير
المومنين ان قتلته فلك نظراء تقدموا واقتديت بهم وان عفوت لم يكن
لك نظير فنكس المامون راسه ساعة ينظر فتفكر ثم انشد متمثلا

قومي هم قتلوا اميم اخي ... فاذا رميت اصابني سهمي
ولئن عفوت لاعفون جللا ... ولئن سطوت لاوهنن عظمي

ثم قال المامون يا عم لا تثريب عليك قد عفوت عنك ورددت عليك
جميع اموالك وضياعك وقد شاورت العباس وابا اسحاق فاشاروا
بقتلك ورايت ان قدرك اعظم من جرمك فعفوت عنك فان غيرت فالله
مغيرك فقال ابراهيم بن المهدي اما انهما قد بلغا في نصحك الغاية رعيا
لعظيم قدر الخلافة وما جرت به عادة السياسة ولكن ابيت ان تستجلب
النصر الا من حيث عودك الله ثم انشد

امرتك يا خير من يعني بموتلف ... من الثناء اثناء البر والكرم
اثني عليك بما اوليت من نعم ... وما شكرتك الا اثني بالنعم
رددت مالي ولم تبخل علي به ... وقبل رد مالي قد حقنت دمي

فانت

276

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

• فلابت منك وقد خولتني نعما • منها الحياتان من موت ومن عدم •
• وقام علمك بي فاحتج عندك لي • مقام شاهد عدل غير متهم •
• لئن جحدتك معروفا مننت به • إني لفي اللؤم أحظى منك في الكرم •
• فلو بذلت دمي أبغي رضاك به • والمال حتى أسل النعل من قدمي •
• ما كان ذاك سوى عارية رجعت • إليك لو لم تهبها لم تكن تلم •
• رأيت ذلك إجراما خشيت به • فهبي إلى الشرع في الإسلام والرحم •
• تعفو بعدل وتسطو إن سطوت • فلا عدمناك من عاف ومنتقم •

فقال المأمون قد وهبت حقي عليك لجلالة عذرك وأعظم من عفوي عنك أن لم يجرع عندكم مرارة شفاعة الشافعين **ولما** قال عبد الله بن طاهر الخزاعي قصيدته التي يذكر فيها مناقب أبيه ويفخر عليهم بقتله المخلوع محمد بن زبيدة الأمير على رضى محمد بن يزيد الحصني وكان من ولد مسلمة ابن عبد الملك بن مروان فأجاد في السب وجاوز الحد فيه فبلغ أراد

ففي ذلك قوله •

• يا ابن بيت النار موقدها • ما لحاذيه سراويل •
• من حسين ومن أبوه ومن • مصعب غالتهم غول •
• نسب في الخزي مؤتشب • وأبوات أراذيل •
• فـاتل المخلوع مقتول • ودم المقتول مطلول •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وهو كويلة فلما ولي عبد الله بن طاهر مصر ورد إليه تدبير أمر أهل
الشام فأقام على الحصين فيأسه وعلم أنه لا يفلت منه إن هرب فأقام
بموضعه مستسلما وفتح باب حصنه **قال** محمد بن الفضل
وكان خواص ابن طاهر لما أشار منا بالكف ونحن نتوقع من الأمير أن يوقع
به دعانا عبد الله ليلا فقال تنحوا عني وليكن من سبك معه أجلهما كان النحر
وأنا وخمسة من غلمانه الخاصة معنا فصحبنا الحصين وإذا
بباب حصنه مفتوحا أو محفوظ السر مسنه سهل فقصده عبد الله ودخل
عليه ونزل وجلس عنده وقال له ما حبسك ها هنا وحملك على فتح
باب حصنك ولم تتحصن من هذا الجيش المقبل مع ما في نفسه
أمره عليك فقال إن هذا الشيء يغب عني ولكني فكرت في أمري
فعلمت إن أخطأت في أمري خطيئة حملني عليها ترك الشباب
وإني وإن هربت لم أفته فاستسلمت بنفسي وكل ما أملك فإنا
أهل بيت أسرع فينا القتل ولي فيمن مضى أسوة وثقت بأن
الرجل إذا قتلني وأخذ مالي شفى غيظه ولم يتجاوز ذلك إلى
الحرم فوالله ما تلقاه عبد الله إلا بدموع على خديه وقال له
أتعرفني قال لا والله قال أنا عبد الله بن طاهر وقد أمنك الله فلا خوف
وحفظ دمك وحرس نعمتك وكان حرمتك وما تعجلت الا فيه

اقر ابعد بدا الا حلوا حتى تطلع الشمس
وركبت في البحر والاخ

278

اهل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الا انا من قبل هجوم الجيش ليلا تخالجه عني روعة تلحقني
فقبّل الحسين يديه وفاه وقبّل رأسه فضمه عبد الله وادناه
ثم قال له اما والله لا بد من عتابك انك قتلت شيخا من قومي الجرميين
وكانوا اهل الزلة ولم اشفع فيهم على حسبك ولا ادعيت عليك
فضلا وتجرّأت بقتل رجل هو وان كان من قومه جمهور القوم الذين
ثاروا عليهم وكان يسعى بالشكوى وان لم تسكن لا تنتهي فقال
ايها الامير الكريم قد عفوت تفضلا قد جعلت عفوا لك في الطاعة
ترحيب ونكر صغيرة بثانية فقال قد فعلت فقربنا نرحل
من الحشر توجب علينا عهدا بالضيافة فقام مسرورا وادخلنا
منزله واتى بالطعام كانه كان اعده فاكلنا وخلعنا ثم رجعنا
مستبشرين له واقبل الجيش فامرني عبد الله ان اشير عليهم بالجواز
وان لا ينزلوا الا بعد ثلاثة مراحل واقام عنده الى العصر ثم دعا
بدوابّه وكتب له بتسويغ خراجه ثلاث سنين وقال له ان نشطت
فالحق بنا والا فاقم بمكانك فقال بل اجيء والحق بالامير
فيفعل ولم يزل عند ابي المنذر حتى ولايته قال مقيده
عفا الله عنه ولطف به ان اخبار الحلماء المنقولة في ذا واوسع
اهل الله في لا تنحصر ولهم ومن بين المطنب فيه والمختصر وفد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اشرنا الى المتخصص الكامل في هذه الشريعة العظمى وتعيينا
منه لا يخالف اللب دون القشر وبقي الكلام على الامور التي لها
بالرياسة الكبرى غاية الاشتباك ولا يمكن عنها الانفكاك
وهي الوزارة والحجابة والقهرمانة وهي من جملة الشرايط
المشروطة في هذه الشاكلة **الوزارة** فهي
التي يشرك في الملك رداؤه ويعظم بها ازره **اعلم**
انه لما كانت الرياسة الكبرى التي هي سياسة النوع الانساني
من اعظم المشاق اللاحقة بالقائم الجسماني والباطن النفساني
كما قال بعض رؤساء الحكماء لمعاناة نقل الجبال من اماكنها
بالقعب الجبال اهون من معاناة قلوب الرجال كان الملك
القائم بها احوج الناس الى الموازرة ومن المعاونة على جمع اليومي
استيفاء احوال الخلق فانه لا يقدر على الاستغناء عن غيره حتى في امور
نفسه الخاصة في ترتيب معاشه واهم امور العيشة ولذلك جاء في الشريعة
ممن يشد به ازره ويشاركه في امره كما قال نبي الله موسى عليه السلام
واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي الاية وقال تعالى وجعلنا معه
اخاه هارون وزيرا وما زال الامم على هذا من قبل الاسلام في دول
فارس والروم حتى جاء الاسلام الخاص الظاهر على الاديان وجاء

الملك

280

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الملك خلافة وذهب رسم الملك وذهبت تلك الخطط اللازمة له
بذهابه وبقيت المعاونة بالرأي والمفاوضة في المصالح المستعجلة
والمجالس المشتركة وغيرها فلم يمكن زوال هذه الخطة بوجه من الوجوه لابد منه
فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه ويفاوضهم في المهمات العامة
والخاصة فيما لم يوح إليه بشيء ويخص أبا بكر بخصوصيات
أخرى حتى كان بعض العرب الذين عرفوا دول العجم قبل الإسلام
كسرى وقيصر والنجاشي يدعون أبا بكر وزير النبي صلى الله عليه
وسلم وكذا كان عمر مع أبي بكر وعثمان وعلي مع عمر ولم تكن العرب
تعرف لفظ الوزير في تلك المرتبة وإنما علمها منهم من
خالط العجم كما ذكرنا هذا حاصل ما ذكره ابن خلدون
وقد اختصرناه وحللناه وشرحناه بزيادة عليه وقد ذكرنا أن
السلطان لا يستغني عن غيره بالضرورة وأنه لابد له من أعوان
وهم أصحاب الخطط الأربعة التي قلنا إنها تلازمه ولا تنفك
عنه بعضها ولا ينفك عنها وأشرفها الوزارة التي هي المعاونة
وذلك أظهر من غيره واسم الوزير إنه من الحمل وذلك لأن الوزير
يشارك الملك في حمل المحمولات ونقل النوائب والشوائب فعلى هذا
كل أمر تكون فيه معاونة السلطان يقال لمتولي ذلك الأمر وزيرها

خ ح
يسمونا

ع ع
معنا ملاءمة لفظها معنى أصلا
والموازرة التي هي من خ

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

سواء كان الامر من ناحية رياسة السيف او من ناحية رياسة العلم

عندنا على الوجه العام الذي يقتضيه الاشتغال المذكور واما ما جرت به

الاعراف في الدول السابقة فهو مختلف في كل دولة تطلق لفظ

الوزير على ما تريد به عن غيرها ويعلم ذلك باستقراء اخبار الدول الماضية

من الدول من لا يسمي الوزير الا من له اعنة الخيل واستتباع حملة

السلاح ومنهم من يشترط في هذا ان يكون من قبيل السلطان

وذوي رحمه ومنهم من لا يشترط ذلك ومن الدول من يطلق الوزير على

رئيس الكتاب الذي له التصرف التام في جميع امور البلاد ومن اصطلاح

الواقع في زماننا وما قرب منه بل الوزير يكون له حظ في الكتابة واعمال

النظر العام في الكتاب وغيرهم من رؤساء الاجناد ومباشرة

العمال والوساطة بين السلطان وبين الناس مثل الفقيه فادوس

عند السلطان سيدي محمد والقايد احمد مولاتاي عند السلطان

العادل مولانا سليمان واذا كان مع ذلك يحسن الكتابة والترسيل

فهو غاية الكمال مثل السيد عبد العزيز الفشتالي عند المنصور

السعدي ومثل العلامة الرئيس ابي العباس اليحمدي عند مولانا

اسماعيل ومثل اخينا في الله جمال الدولة ابي عبد الله سيدي

محمد بن ادريس عند السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمن ومثل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

سعد الدولة الوزير الاعظم ابو الثناء سيدي الحاج بن اليمانى عند مولانا
المظفر امير المومنين سيدي محمد بن عبد الرحمن ولا باس بالاشارة الخفيفة
الى بعض احوال مولاء الوزراء المذكورين بهذا اللواء الشريف بعلى الحسنى
اعزه الله بمنه اما الوزير ابو العباس اليحمدى
فقد كفانا مؤنة التعريف به الفقيه العلامة الراوية ابو الحسن
السيد على المصباحى فى تاليفه المسمى سنا المهتدي الى مفاخر
اليحمدى وهو تاليف عجيب ملاه مؤلفه ادابا غضة انفع من
جوهرى الذهب والفضة وهو موجود تعرب به عن من وجد له
وملك لؤلؤه وعسجده وهو من انفس الذخائر التي يفاخر بها من
يفاخر ورايت نسخة منه بخط مؤلفه بفاس عند بعض حفدة المؤلف
ذكر فيه المؤلف ان اليحمدى منسوب الى بنى يحمد مضارع حمد يحمد
محمودا بفتح الميم لا بكسرها كما يجري على الالسنة وهي قبيلة من قبائل
الازد وكفى هذا الوزير ثناء عليه ما تقدم لنا به رواية مخدومه
السلطان الاعظم مولانا اسماعيل الشريف انه لما ولى ولده مولاى
المامون من اكثر امره ان يذهب الى رئيس الحضرة وامام الكتاب الفقيه
الكبير ابو العباس اليحمدى ياخذ منه رسم التقليد ويسمع وصيته

حمدان اليحمدي البلالي

ج٢ حماد

283

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وبعد هذا وكان مولاي المامون يكره اليحمدي اشد الكراهة فتوجه
اليه كرها واخذ المكاتب منه وسمع وحبسه حين أغليه وعاد الى
الدار وقال يا مولاي ان اليحمدي ينقصك ويزعم انه هو الذي علمك
الدين وانك جاهل لا تعرف العرف ولا السنة فقال السلطان والله
انه لصادق ان قال ذلك فهو الذي علمني ديني وعرفني ربي فهذا
يدل على فضل السلطان والوزير والشيخ والفضل العظيم ✻
وأما الوزير اقانوي العربي فادوس وهذا اللقب عجمي
وهو اجانبي في سلطانه سيدي محمد بن عبد الله كان يدعوه بذلك اشتغالا
واستعظاما للفعلة وكان من مواليه الذين نشؤوا في حجورهم ورضعوا
اخلاق حضرة الملك وارتضعوا البانها وتدرجوا في مغارس الرياسة
اثنويا فاثنويا حتى صار واحد وقته وصار غاية العز امينا فيها واطلع على
اعلاج الاصبنيول كما اخبرني ولد السيد محمد وكان الوزير المذكور
شعلة من الذكاء والفطنة وركنا شديدا من اركان الدولة المحمدية
في حسن التدبير والحزم الذي لا يعزب عنه من امور الحضرة قليل ولا كثير وكان شأنه
في امور الكتابة اذا يامر السلطان ارباب من الكتاب بالكتابة لعلل بكذا
ولذو علاه بكذا فيكتبون ما امرهم به فياخذه منهم ويطبعه ويدخل به

وقفا نعا
بذلك

284

الى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

إلى حضرة السلطان فيبصم عليه تلك الأوامر ثم يخرج بها
ويدفعها إلى أربابها ومن أغرب ما نقل عنه في هذا السلطان
أنه ذات ليلة أراد أن يكتب نحو ثمانين كتابا في أمور مختلفة متعددة
فيبصم عليها على الكيفية فلما جاء في الصباح دعاه السلطان
وقال له كتبت تلك المكاتب على حسب ما أمرتك فقال نعم وكانت
الرقاع عنده مطوية مهيأة للكتابة فجعل يخرج منها صحيفة
بيضاء وينظر فيها ويسرد على السلطان مضمن المراد بطلاقة ويطويها
ثم يأخذ أخرى كذلك حتى سرد عليه جميع تلك الأوامر التي أمره
بها والسلطان يظن أنها مكتوبة ومطبوعة على العادة فخرج إلى
الديوان فأملى على الكتاب ودفعها لأربابها كذا أخبرني بعض أصحاب
السلطان المذكور وهذا من العجائب إن صح وفيه دليل على فخامة الحالة
وفخامة الرياسة أقوى الغايات قالوا كانت الملوك الأعاظم
تقيم ببابه فلا يتيسر لهم لقاؤه إلا بعد ثلاثة أيام ونحو ذلك
ولما مات السلطان امتحن مولاي الزهير ذلك الوزير
غاية الامتحان وقتل في عذاب ما يغضب الله ويحب الشيطان
وعند الله تجتمع الخصوم وينتصف من الظالم المظلوم

فكتبوها

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وأما الوزير الأكبر، الحاجب الأشهر، الرجل العالي القدر أبو العباس أحمد، فإنه أحوال نحوه وبعده.

كان هذا الرجل مع طول رياسته ونفوذ كلمته في جميع مملكة المغرب
واتصال عزه وعدم منازعته ومشاركته في تدبيرها ما غفلت عنه قط
مظلمة ارتكبها ولا موبقة اقترفها ولا معضلة خاض فيها بحزمه
أو لبس على الناس فيها أو مضرة كقضاء عن أتباع العمال أو موافقة
لغيره كان سلطانه العادل يذكر عنه ذلك ويمدحه به في كثير من
المقامات رحمهما الله تعالى كانت وزارته ممتدة بطول
ولايته سيدي نحو من ثلاثين سنة ولا فتنة فاتته صلاة في جماعة
حضرا وسفرا ولا يعارضه ذلك الحيران في قبة كلما وجد فسحة
من الأشغال أخرجه وقرأ ما تيسر منه مع ملازمة أوراده ::
وإقامة الرواتب المشروعة هكذا رأيناه وأما
مباشرته الناس وملاقاة الفقراء وذوي الحاجات والضرورات
فكان أرحم وأرفق بهم من الوالدة بولدها ولا يخاطبهم
إلا بالسيادة والتنويل وأما أن يغم أحدا أو يسبه فإنه
في الثغر الأبعد عن ذلك وكان هو ووالده وإخوته

مماليك

286

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

مماليك لمولانا السلطان الامام العادل رحمه الله اعطاهم له
والده السلطان سيدي محمد فنشأ الوزير في كفالته وتخلق
باخلاقه من زمان الصبا الى مماته وكانت حياته مقرونة
بسعادة السلطان العادل فانه من يوم قتل رحمه الله سنة
خمس وثلاثين وسبعمائة والى انقضاء ايام مملكته واختلت
اسبابه فلم يزل في اضمحلال حتى انقطع جملة وكان قتله
عند البخاري ظلما وعدوانا بعد رجوع السلطان من وقعة
زيان **وكان** السلطان بعد قتله يقول في كثير من الامور لو
كان احمد حيا ما وقع هذا او لكان كذا **و**من مناقبه الدالة على فضله
انه لا يطمع في مثله من الامراء الرجال انه خرج من الدنيا ولم يخلف
قليلا ولا كثيرا الا الكسوة التي على ظهره مع ما ذكرناه من عظم
الشان وعلو المرتبة ونفوذ الكلمة في اقطار الارض فانه كان هو
السلطان في حقيقة الحال مدة السلطان العادل رحمه الله
تعالى وقد ذكرته يوما واكثر من الثناء عليه حتى قال والله لولا انني
كفنته وجهزته ما وجد ما يكفن به فاننا وجدنا في صندوقه
الذي وجدنا مفتاحه معلقا معه ستمائة مثقال ووجدنا زماما
يخط عليه من الدين ستمائة مثقال فقضينا ذلك الدين بتلك

تلك الورائم فخرج من الدنيا كيوم ولدته امه مع ماطبع به من
الشهادة فهنيئا لمن سمع هذا وتحققه وليعلم ان من سبقت له
السعادة لا يضره شيء فهذا رجل قد خاض في غمرات الدنيا
واقام في مقام مجموع العقد ومنزعة المظالم والسيئات التي
تستفز الرجال وتهز الجبال ووقف مع الذين قيل انهم دعاة
على ابواب جهنم فلم يتعلق به من تلك الادناس شيء وادرك العفو
الذي وفقه الله له ونال ما لا يناله الا من سبقت له العناية من الله الكريم
الواسع العليم ومن تشوف الى البرهان على ما في كتاب يقال له طلب
البرهان على مثل هذا فانما انفذ الدعوى قبل اثبات هذا
الرجل بتيسير القصور او غير البسائين او تباطؤ الاصول والاختيار
الدخائر او استعداد للعواقب كما يفعله من عمره دنياه ولم يبال بما
تخرب من اخراه فانا لله يفعل ما يشاء
واما الوزير العلامة المعمر الذي اخونا في الله سيدي محمد بن ادريس
رحمه الله فانه كان عظام الدولة وحليتها جمالها وحل محاسنها ومظهر
كمالها بانه ام تردد ولته في مولانا هشام بدولة بني مروان
بالشام ساعده احكام السعود وعاملته بانجاز الموعود فادرك
في ظلال دولة السلطان المولى مولانا عبد الرحمن من الجاه والعز والصولة

والاذعان

288

مالم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

مالهم بين ركن الوزير المصطفى مع ملوك الديلم ومعز الدولة فحكمت
له الايام بعد عبوسه وارتقت اعز المراتب والبسته المجد ملبوسه
وبيته في فاس ومنبته منبت طيب واهله اهل فيما نشئ عن
السلف من الاصالة حسب وجرت بحضرته يوما مذاكرة بعض ابنائه
محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس بن محمد بن ادريس ثلاث مرات فقلت
له ما هذا التكرار فقال لي هكذا خطه والدي وهو عالي السيد محمد بن ادريس
ابن عبد الله الكامل تكرر محمد بن ادريس عمودا ابا فابنا بترتيبها بالجد المذكور
فقال فقلت له والدي هذا النسب صحيح فقال هل لذا كان اباونا
يتسمون وكانت عندهم ظهائر الملوك المتضمنة للتوقير
والاحترام وضاعت لهم في بعض الفتن الواقعة في باديتهم قبل
انتقالهم لفاس وكان بعض من ذكر في ذلك العمود وهو السيد
عبد القادر بن محمد بن ادريس رجلا صالحا زاهدا في الدنيا معرضا عن
كل شيء من اسبابها وكان اولاده ارادوا تجديد تلك الرسوم
التي ذهبت منهم فمنعهم من ذلك وقال لهم ان النسب فانه ثابت
لنا والجهل بالحياة المكتسبة والمزية النافعة النفع الحقيقي
انما تظهر في الآخرة واما في الدنيا فان كان مرادكم التوقير من الناس
والخروج من وظائف المغارم فانا ضامن لكم ذلك الى آخر الدنيا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

قال المحشي عفا الله عنه ينبغي هنا التنبيه لنكتة جليلة
وذلك ان اكثر الناس لا سيما من يدعي الورع من منتحلي الانتساب الى
من لم يتحقق عنده الاتصال به مثل هذا السيد الذي نحن والاه عما
ذكره وذلك جهالة محضة ومخاطرة في الدين قال العلامة
القادري في ازهاره في ترجمة الشريف سيدي عبد القادر الشبيهي
لما ذكر الحديث المعروف وهو من انتسب لغير ابيه الخ ما نصه قال الشيخ
الكامل المكمل برزخ الشريعة والحقيقة سيدي احمد زروق رضي الله عنه
من وجد بين آبائه نسبا فليتمسك به التمسك واياك ان يغفل عن حكمة
الحديث تبرؤ من نسب وان دق كفر والناس مصدقون في انسابهم
ما لم يعلم خلاف ما قيل انتهى كلام الشيخ زروق وعبارته في شرح
الوغليسية لما تكلم على فضائل اهل البيت الشريف والناس
مصدقون في انسابهم حتى يصح ما ذكر بغيره انتهى كلام الازهار
ومقتضاه ان ذلك مخاطرة في الدين اعني لما يظهر من قوله عليه الصلاة
والسلام تبرؤ من نسب وان دق كفر فهذا وان كان محمولا
على التغليظ فخاطرة لا محالة وكنت انا وقع لي مثل هذا
وجدت آبائي ينتسبون الى سيدنا جعفر بن ابي طالب رضي
الله عنه فجعلت لي ريبة في ذلك لما وقفت على قول الشيخ

أب

290

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ابن عبد السلام التونسي وتلميذه ابن عرفة يتعجب من اثبات نسب
له ستمائة سنة فبحثت عن تحقيق تلك النسبة لاستطلاعنا
كل البحث فلم اقف لذلك على ما يعتمد عليه الا ان الشيخ ابن
ناصر كان ينسب لهم ذلك لاطلاعه على انتسابهم او تحقق
اتفاق قول الشيخ ابن ناصر رضي الله عنه فتركت ذلك الانتساب
فلما وقفت على الحديث الذي نقله الشيخ رجعت الى تلك
النسبة رجاء بركته وخوفا من الوقوع في ذلك الخطر وكان
مقام سلفهم بقبيلة زمور في بني عمرو منهم من عمل في قيام مغراوة
على الادارسة في اغلب القبائل وكان والد المذكور سيدي احمد ويدعى رجلا
صالحا زاهدا له وزن زوارا وكان يلتمس منه الخير ويرغب الناس
في صالح دعواته فلا يلقاه احد الا قبل يده وطلب منه الدعاء
ولا يعرف احدا اذا لم يكلمه كأنه مصطلم ولاكن ليس كل الاصطلام
يذهب من حاله بل يدخل المسجد الجامع الاندلسي ولا يلقاه
احد الا هنالك وكان يقرأ الاحزاب الموقوفة بجامع الاندلس
ويقرأ الطلبة المعروفة كلها هنالك ويجلس في ناحية من المسجد
واذا لم يحضر الامام الراتب لا يصلي غيره حتى كأنه هو الراتب
لان الائمة يتكلون على وجوده هنالك في كل وقت فلا يحتاجون

واختفاء الادارسة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

الطلب من بني عثمان هـــكذا وكناه وكنت اقرأ هناك
حزبا من القرآن وحضور جملة اهل ذلك الحزب واغتنم زيارته
وتفصيل بركة ودعائه مع ما كان بيني وبين الوزير المذكور من شدة
الاتصال في زمن القراءة بسبب المناسبة الادبية الجامعة
بين المتجانسين وسببه انه لما قدمت لفاس عام تسعة وعشرين
ومائتين والف وكنا نخوض معا عند الفقيه الازمي وجرنا
في باب الشهادات من المختصر فلما ختم انتشر الناس في ذلك
فصار على العادة ومن جملة ذلك ما صنع لي اولها
• ختام الهوى فتح مضمنه بمرة • فلا تحتوي الحب من بعد نشره •
فكتب الى الوزير يطلب تتمة منها قطعة اولها
• ختام الهوى هام الحبيب بحسنه الخ •
فحكم من يوم بيننا وبين من حب روحاني • بغدادي سابق سبحاني •
فقضينا زمان الشبيبة في تحصيل ما كتب من علوم الرسوم في اشتراك
المشايخ والمجالس • واقتناء القضايا والنفائس • وافلاحة
الافراح والمنتزهات • والمخاطبات والمساجلات • والمباسطات
في الجد والتهزلات • محضت لنا في ذلك الليالي والايام ازدواجا
من الايام في سلم • بلا منغص الا من عزوا لها كاحلام من حلم •

أواخر [illegible] وذلك

وكان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وكان والدي المذكور في اول امره يعلم الصبيان في المكتب الذي بباب
دار درب اللمطي زمانا وانتفع الناس به فلما توفي ولده
الوزير افلاقه مغارمه وغلب عليه الهروب من الناس والانفراد كما
اشرنا اليه فكان الوزير كما اشرنا اليه في ذلك امتثال امر ابيه
وكان لا يخالفه لا فيما قل ولا فيما جل ولا يفعل امرا من الامور
المهمة الا باذنه ولا يسقط في يده درهم مما غلا الا الفال في يد
ابيه فاقام في ذلك المكتب جماعة من المعلمين وبارك له في صحته فكان
يكتب الصبيان ويكتبه بخالب الكتب التي يقرؤ ولا يعوقه ما هو
بصدده من حضور مجالس التعلم واذا ذهب الى القراءة ترك عمه سيدي
احمد ينوب عنه في المكتب حتى رجع وقد كنت في تلك الحالة كتبا
عن تاريخ زيادة على الانصبة التي نحفظها وهو شيء كثير كتبت ثلاث
نسخ من الشفا بعشرة مثاقيل لكل واحدة وهو ثمنها والاشياء
في ذلك الوقت رخيصة والدراهم قليلة وفيها فرغ السلطان
العادل مولانا سليمان من بناء الدارين اللتين بفاس الجديد والزواج
لولديه مولاي ابراهيم ومولاي علي جعل وليمة عظيمة للشرفاء
والعلماء وحضر لها الطلبة ومن يشار اليه بالخير فبات الناس تلك
الليلة بالصلاة وتلاوة القرآن والذكر والصلاة على رسول الله

واعطى زغوة اذا يعرة

ومسقر جلا يبح كولا عمكو وجمع ثمنها
لابيه ومن تخفيف الفاصور بلاعه
ثلاثين مثقالا والاعجمي وذلك اعلى قمن
في ذلك العهد والشغل بعشرة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

صلى الله عليه وسلم وكان الوزير المذكور ممن حضر وأنشد
قصيدة كنت فيه عجيبة المخترع أولها •

• حياك محياك رب العرش يا دار • ولا تغل حماك الدهر أكدار •

فعجب الناس في ذلك الجمع وانشرها النشادون في كل بيت من
بيوت الوزير وكان من جملة الحاضرين شيخنا ابو العباس سيدي احمد
ابن الحاج فأخذها وتلاها عنده وفي صبيحة الليلة طلع بها
للسلطان وقال له هذا نظم غريب في هذا الزمان نظمه ولد من
اهل فاس وانشدها هذه القصيدة في هذه الليلة فأمر له السلطان
بمائة مثقال ولكل واحد من الفقهاء بخمسين مثقالا ولكل واحد
من طلبة الحاضرين بعشرة مثاقيل فدفعها شيخنا الوزير ودفع له
مائة مثقال فذهب بها الوزير وصبها في حجر ابيه وبذل الدمع ما
باع من الكتب التي كان يكتب زوجه ابوه فجازت الايام ترحمه
وترضيه حتى كان ما تفوه من قيام اهل فاس على الامام العادل امير مولانا
سليمان ومبايعتهم لاولاد مولاي اليزيد حتى انطفأت نارهم
وانكشف دخانهم ورجع الناس لامامهم العادل وولى على
فاس مولانا امير الخليفة السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمن فما نقل الوزير
الى خزنته فلما بويع بعد موت عمه العادل استوزر الوزير على مرتبته

وكان ما ترتب من مثقال اذ ذاك
لها بال عظيم فمثقال الاعلاس
فلان اعطي مائة مثقال
...

٢٠

2-97

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

144

ع
نقصوا

به السعادة حتى استقل بالوزارة **وكان** يقول انه ما ادرك
ما ادرك الا بركة ولي الله تعالى مولاي عمرو وهو رجل صالح مشهور بالزهد
والعبادة والتجافي عن جميع اسباب الدنيا مقبل بكليته على ما خلق لاجله
وكان الناس يقصدونه للزيارة ويستمدون منه البركة والخير وهو
مقيم بمدرسة الصهريج التي بجوار جامع الاندلس وهو رجل استاذ
يقرا بالجماعة دايم العكوف على التلاوة فقيل ان السلطان العادل
كان طلب منه الوصول اليه فامتنع فاتاه السلطان في بعض الليالي
مختفيا وصار يعده من جزاه وغاله ولو عرفه ما فهم له وكان
الوزير ملازما له لاجل الخدمة والقيام بكل ما يخصه من الضروريات
زمنا طويلا وكنت طلبت منه ان يوصلني اليه لاجل الزيارة فاستاذنه
لي فاذن فدخلت اليه في بيت باعلا المدرسة فرايت رجلا تذكر الله
رويته جالسا على حصير اظنه بالبردي لابسا طاقا وقميصا لا غير
وكان الزمان باردا جدا وهو ضعيف الجسم نحيل مايل الى
الطول مشقوق اللحية فدعا لنا بالخير وقرا الفاتحة والحمد لله على لقاء
اهل السعادة فانه ما اقبل من اقبل الا بصحبة من اهله
وكان هذا السيد لا يقبل عطية لاحد ذكر الوزير انه كان
يعرف بعض الكهوف خارج باب الفتوح من حضرة فاس

295

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

معدن الفضة فكان اذا احتاج الى القوت ياتي بتراب منه ويدفعه للوزان
او رجل اخر فكان يخرج منه ذهبا يقال له السيد محمد المغمي في فيسبكه من
دفعه اليه فيصفه صنعه عليه حتى ينقضي وياتي بشاخص ولم اتحقق
تاريخ وفاة السيد عمر المذكور وان كنت حاضرا في الصلاة عليه وفي
دفنه الا انني ما كنت اقيد شيئا من امثال هذا واما وفاة الوزير
فانها كانت سنة اربع وستين ومائتين والف واوائل المحرم كما تقدم

وأما الوزير الأعظم الهمام الأعز الأكرم الذي له في ساحة المجد أرفع المباني العامرة الأغنى السيد الطيب اليماني

فان هذا السيد انتشا في حجور السعادة والصون، وطاف من العناية
كل تاييد وعون، فجمع له من الرياستين، ما ترقى به من المرتبتين النفيستين،
بعدما اقتنى من علوم الشرع ما اقتنى، وحاز منه ما توجه اليه الاعتنا،
لتخذه السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمان معلما لاولاده الكرام،
الذين خصهم الله بعناية الاعتزاز والاحترام، فلما فرغ مولانا المقدس
من افهامهم مجالسة في صدر خلافته والكاظم الحر بيته وشكره،
وخص بكفالته في ورده وصدره، فلما نشا مولانا المعظم في حفالته
انتشا الورد في صوان الكمام، وماخذ عن اخلاقه الحسان ولا اقرب،

296

حتى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

حتى جمع اليه الغزار العظيم حفظا ورسما، وادرك غاية الكمال
معنى واسما، وفاز بمفهومات العلوم وامهاتها، واحاط
بحوزة النجابة وجميع جهاتها، ولازمه بعد ذلك حتى تجلت شمس
الخلافة في مشهده، ولاح تاج الامامة الكبرى على مفرقه، جعله الله
قطب دائرة ملكه، وتتمة عقد سلكه، بيمنه حفظه الله تنتظم
الدولة من ان تنتثر، وبوجوده تنال السلامة من الكبو والعثار،
حفظ الله سيادته، وادام في سماء العلا سعادته، ومما كتبت له
في بعض قدماته مع مولانا نصره الله من فاس لمراكش وكان قد طال
مكثه بالغرب ما نصه

ايها السيد الرفيع المكانة ✱ والذي شيد الاله مكانه
انت يا ايها الوزير همام ✱ امر الوجود يكون فكانه
طيب الاصل والفروع زكي ✱ انت والله حافظ للامانه
ليس للملك اليوم غيرك كاف ✱ رافع بالنهى له بنيانه
كلما داجت الخطوب انارت ✱ منك ما فوق ذا شموس الفطانه
قد وسعت الورى بخلق كريم ✱ وابنت الامور كل الابانه
قدم اليمن اذ قدمت وجاءت ✱ كل من يستعين منك الاعانه
فهنيئا لهم بقدوم بحر ✱ لافظ درا لهم وجمانه

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في علم من القبيلة فهم . نصر الدين بأسيافهم وأبدانهم .
حفظ الله ذلك الجمع كما . دائما وأعزه وأعانه .
المراد بآل قبيلة الأوس والخزرج وهو أعزه الله ليس
بدع في هذه المرتبة . ولا أجنبي من خدمة عن هذه العتبة .
فإن والده المرحوم كان في دولة السلطان العادل مولانا سليمان
رئيس الكتبة . وكان للوزير الصالح الفقير أحمد به اعتناء زائد
خادم للعوائد . لا يفارق جنبه الأيمن في صدر الديوان لأنه لا يتلون
بغير الصدق والعفاف والمروءة بشيء من الألوان وكان لنا رحمه الله
مجالس الكتاب موردا صافيا لا نخشى تغييره ولا كدره . وكنا لدى
كاتبين أولاد ابن زكة وبيتهم في مكناس ثابت السيادة والأصالة .
ولا يبلى طول الزمان منارها وفضائله . حضرت يوما عند صاحبنا
الفقيه السيد الحاج المعطي الزداغي المراكشي وكان قدم لحضرة
السلطان العادل الحضرة مكناس بقصد سرد حديث البخاري على
العادة فنزل عند قهرمان الحضرة الأمير السيد الحاج الطاهر بادو
فنزل له بدار العريبية قرب داره فبينما نحن جلوس إذ قدم عليه الفقيه
الكاتب سيدي اليمانى جاءه بأمر سلطاني فسار بذلك ثم خرج
وكان معنا فتى من أهل مكناس بذيء اللسان مجبولا على الاعتراض

298

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لاسيما اهل المروءة والدين وكان اذ ذاك مشهورا بالانقطاع للملاحين
الذي يتعاطى اسمهاء العوام لاسيما اهل مكناس فلما خرج الفقيه
الكاتب قال ذلك العتيق الموصوف كلمة نافقة غاضة في
حق الكاتب فسمعه رجل كان مغنيا يقال له الحاج قدور السوانني
شيخ كبير تاجر من اهل مكناس جال البلاد شرقا وغربا وسوده انشا
ورأى من الاخبار بلا نفاية في كل ما يجري بين يدي من الغير في
الامور العظام لاسيما في الانتقاد فلما قال ذلك العتيق تلك
المقالة قال له الحاج قدور ماذا تقول فقال كذا وكذا فقال
عنه فقال للحاضرين ولمن هذا فقالوا هذا يقال له السيد فلان
كاتب نجيب حسن الخط اديب فقال لهم سالتكم عن ابيه فقالوا
لانعرف اباه وكان في ذلك المجلس ايضا رجال مشتون السير
المكي ساقوا وانفاه ءاخران لا شيء منهما فقال له انت مجهول
الاب وهؤلاء كبار اهل مكناس لا يعرفون اباك وتقول
في الفقيه المسلم السيادة والاصالة ما لا يليق بمنصبه ثم قال
لاولئك الاشياخ هل فيكم من يجهل والد الفقيه سيدي التهامي
فقالوا انه من ونعرف جده بالمعاصرة ونعرفه سلفه المشهور
بالخير والدين والنباهة والسيادة والوجاهة فقال لهم ما بالكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

يسمعون كلام هذا الشعبي المجهول ولا ينكرون عليه هذا
سبب خراب هذا العالم ابن الشيخ العباس الصالح ولا ينكر عليه
لا حول ولا قوة الا بالله وما زال يشنع على القوم ويقبح
سكوتهم عن ذلك وكان ألمه منهم كثيرا وكان ذا جلالة ووقار
فجعلوا يأخذون بخاطره ويسعون في رضاه حتى استنزلوه
من حالة الغضب التي اعترته فسكت قليلا ثم قال والله انني
لا اعرف حال هؤلاء القوم بني العسري فإنهم من بلاد الاندلس
وكانوا اولا بتونس بعد انتقالهم من الاندلس ثم انتقلوا لتلمسان
ثم لفاس ثم لسلا ثم كانوا مدة بجبال الزبيب ثم انتقلوا
لهذه البلدة ولم ينتسبوا الى الانصار ه كلام الحاج
قدور وكانت هذه القضية عام اثنين وثلاثين ومائتين والف
ولما كانت فتنة اولاد مولاي الشريف قدم الفقيه الكاتب
سيدي اليمني لحضرة السلطان لفاس الجديد وهو محاصر لفاس
البالي فنزل معنا سيدي اليمني بدار المؤقت التي هي متصلة بمنار
الجامع الكبير ونحن جماعة وكنت انا اباشره واتعهده لانه
اصغر القوم وكان به ضعف والم لانهم قد مشوا به ليلا
فتضرر بذلك وكانت الطريق التي بين فاس ومكناسة مخوفة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

151

لا تنقاد الا البلا على خطر وكانوا يمرون على طريق من جبل زرهون
على فنزوجة فتعب الفقيه بذلك غاية التعب وكان السلطان
ام خليفته بمكناس مولاي الحسن بتوجيه الفقيه سيدي اليمان ارادة
سو الزرع الا احوال الباطنة الخاصة ببيت المال لانه وقع عنده
امر اجو وتتري وعلم السلطان انه لا يشفي غليله بذلك الا الفقيه
سيدي اليماني فقال السلطان لمولاي الحسن يركب الغابر معه اميمون
الجرواني مع كل بعث من اخوانه مع سيدي اليمان حتى يصل الينا على ما
جاءوا به على الحالة المذكورة فلما جاء كان تفرع شمه حدثته ذات
يوم بما وقع من حديث الواقع فقال لي صحيح كلما ذكرت عن سلفنا الا
انه ما عيب الا الاشتغال من تونس لفاس الا الى تلمسان ثم فاس
وقال لي ان سبب الانتقال الى الجبل من سلا ان بعض الاسلاف اذ ذاك
كان متزوجا بنت بعض اهل الجبل ثم حصلت هيئة ببلاد
العلا فخرج بقومنا صحبتهم الى الجبل فاقاموا هنالك ومنه الى مكناس
والله يعلم شتم الراي فقال لي وكان قومنا يقال لهم بنو ابي العشريني
البيايشي بالشين المعجمة فتنوسي الوصف الاخير وبقي الوصف
الاول ولست ادري ما سببه الوصفين الاول او الثاني هذا
حاصل ما ذكر لي الفقيه سيدي اليماني رحمه الله تعالى ملتقط

ح ح
فزل معنا

301

رأيت السيد أحمد المقري في نفح الطيب ذكر أبا العشر في محلين
وذهب عني ذلك المحل وكنت عهدت من عادته في المطالعة
أن أوقف على المهمات في الهامش عند المطالعة ولم أر الطالعة
منه الا السفر الثاني والثالث فأعدت مطالعة السفرين
المذكورين لأني إنما أنظر في الهامش لعلي أرى توقيفه على
ذلك فعددتهما ورقة ورقة فلم أجد ذلك ووجدت في مطالعة
السفر من أطلعه أنه إذ رأيت في وفيات الأعيان لشمس الدين
ابن خلكان في ترجمة الشيخ أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم
البياسي الأنصاري قال أحد فضلاء الأندلس وحفاظها ثم قال
وطاف بأكثر البلاد الأندلس وتنقل فيها وسافر من جزيرة
الأندلس إلى مدينة تونس جمع للأمير أبي زكرياء يحيى بن أبي محمد عبد الواحد
ابن أبي حفص عمر صاحب إفريقية كتابا سماه الإعلام بالحروب
الواقعة في صدر الإسلام ابتدأ فيه بمقتل الإمام عمر بن الخطاب رضي
الله عنه وختمه بخروج الوليد بن طريف الشاري على هارون الرشيد
ببلاد الجزيرة العراقية ثم قال ابن خلكان في آخر ترجمته
وكان مولده يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة
ثلاث وسبعين وخمسمائة وتوفي يوم الأحد الرابع من ذي القعدة

سنة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

سنة ثلاث وخمسين وستمائة بمدينة تونس والبياسي بفتح
الباء الموحدة والياء المشددة المثناة من تحت بعدها النسبة الى
بياسة وهي بالسين المهملة المفتوحة مدينة كبيرة بالاندلس
معدودة في كورة جيان هكذا قاله ياقوت الحموي في كتاب المشترك
وضعا وكلام ابن خلكان وهذا يدل على ان ما ذكره الفقيه سيدي البيانة
وان البياشي بالشين المعجمة انما هو تصحيف على الالسنة العوام
كما هي عادتهم في كثير من الالفاظ هكذا وقد يجوز ان يكون هذا
النسب هو الذي ينتمي اليه قوم البياز بفاس فانهم يبدلون السين بالزاي
لقرب المخرج وكثيرا ما يتعاقب الحرفان المذكوران كالسراط والزراط
والسقر والزقر فيكون نسبهم الى البياسي المذكور ويصح لهم نسب
الانصارية بلا ايراد مما حدثني الفقيه ابو مالك عبد الواحد
الشريف السجلماسي البوعصامي رحمه الله تعالى قال كنت عند القاضي
الشريف مولاي عبد الهادي وكان عنده عامل واسمه السيد الحبيب
البياز فقال له القاضي هذا النسب الذي تنتسبون فيه الى الانصار
هل تنتسبون الى بعض المشاهير من صحابة الانصار فقال نعم
قال الى من منهم قال لعبد الله بن رواحة فقال له القاضي عبد الله بن
رواحة ما عقب فقال العامل السيد الحبيب ومن ذكر انه ما عقب

ح
جرى

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

قال فسكت القاضي ولا ادري هل سكوته كونه ليس على يقين من
ذلك او انما ترك ذلك خشية اللجاج هـ وربما يكون انما غرّ
القوم اهل فاس المذكورون لما سمعوا الابار والبيازين على رسوم
غرناطة من الاندلس فتمسكوا بهذا اللفظ والابار الاول البياسي كما قلنا
والله اعلم . وقد ظهر بمجموع ما ذكرناه ان نسب القوم آل
ابن عشرين الى الانصار واضح الصحة جدا بل هو اصح من نسب البيازين
ومن كثير من الانساب الطويلة العريضة بل صرح بذلك الايمة الثقات
الاماجد الموات كالامام ابي زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر
الفاسي فقال مؤلفه دوحة المجد والتكبير بجوزات العالمين
ابني العشرين قال العلامة ابو زيد الفاسي في الورقة الثانية
من التعبير بمشاهير علماء فاس في القديم ما نصه ومنهم
بيت بني عشرين الخزرجيين بيت علم واصالة منهم فقهاء
ايمة كالفقيه ابي الحسن علي بن عشرين كان فقيها حافظا
محصلا مشتهرا في الفقه تفقه على فقهاء المغرب وكان يحفظ المدونة
من صدره نقلت بعد ان اخرجها ملوك الموحدين من بني
عبد المومن بن علي يروى انه لما جردت من صدره في اول الدولة
المرينية قوبلت بعد ذلك مع نسخة موجودة فكانت كما هي

وهو مسلم النسبة الانصارية

العباسي

لأخلاق

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لا خلاف بينهما إلا في مثل فاء أو قاف أو هـ بل المعظم يعني كلام
العامية وإن أردت بيان ما أخذوا فيه فانظر له في رسائل الترسل
المعمات فحاويل النثر في الوزراء بني العصر ومثاله هذا الوزير
وما سنه وآثاره في تغيير أسماء الخير في الدولتين الهاشميين
لا تعرو ولو ذهبنا إلى تفسير ما شاهدنا من ذلك بالعيان لا تنقضي
الزمان قبل انقضائه وامضى بذا البراح التجر ومضاربه ولو
أجد بالتآليف لكان بذلك حقيقا وكان جعل ذلك لفاعله
إلى نيل السعادة سببا وشفيعا

وأما الحجابة

فإن هذا اللقب كان معناه أن الحاجب هو الذي يحجب السلطان عن
العامة ويغلق الباب دونهم أو يفتحه لهم على قدر المصالح الضروريات
السلطانية وهكذا كان في دولة بني مروان وبني العباس وأما
الدولة الأموية بالأندلس فإن الحاجب يحجب الخاصة والعامة
ويكون واسطة بين الناس وبين السلطان والوزراء فمن دونهم فكان
تنزع الأمور الجليلة ولا الحضرة الا علم بك فيكون لها دار لم تفسر
لها الرياسة على غيرها من المراتب ثم تعاظم قدرها حتى
وقع استبداد بها في الحجابة واستقلالها كما وقع للمنصور

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

اسم عام في جملتهم لمشايخ الموحدين **وأما** دولة اللمتونة
فليس فيها شيء من ألقاب المملكة لبداوتها الصرفة وكذلك أول
الدولة الموحدية فإنها لم تستحكم في مذاهب الحضارة الداعية
إلى انتحال الألقاب وتمييز المراتب والخطط الملوكية إلا في أواسطها
لما استفحل أمر سلطانهم ولم يكن عندهم من المراتب إلا الوزير وكانوا يخصون
بهذا الاسم الكاتب المتصرف التصرف العام المشارك للسلطان
في الرأي الخاص كابن عطية وابن عبد السلام الكومي ثم خصوا
بعد ذلك بهذا اللقب الذي هو الوزير أهل نسب الدولة كابن جامع
وغيره وكذلك دولة الحفصيين بإفريقية وأما دولة زناتة
وأعظمهم بنو مرين فلم يكن عندهم أثر لهذه المرتبة التي هي الحجابة

وأما القهرمانة

فإن السلطان إذا اتسع ملكه وكثر في داره رواتب المهن فهي
فإنه يحتاج بالضرورة إلى قهرمان خاص أو أمير متصرف في
أحوال أهل الدار من كل ما تدعو الحاجة إليه يجريها على قدرها
ويرتبها على مراتبها المخصوصة وقوانينها الطبيعية
فلا يتعدى شيء من ذلك من قوت وكسوة ونفقة في المطابخ
والإصطبلات وغير ذلك ومن ذلك حصر الذخائر وتعيين

ما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ما يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية وربما اضافوا اليه كتابة العلامة
على السجلات ومثل هذه المرتبة في الدولة الشريفة الحسنية الاسماعيلية
اعزها الله ذكرها لهما بجميع تفاصيلها مندرجة في اسم الامين في الاصطلاح
كالحاج حم بن جيلون عند السلطان العادل مولانا سليمان وابن العادل
في دولة السلطان المؤيد مولانا عبد الرحمن وابن شقرون في دولة
مولانا امير المومنين نصره الله تعالى آمين

واما الكتابة

فهذه المرتبة اشرف من جميع المراتب المتقدمة لتوقف الجميع عليها
وعدم قيامها بشيء منها بدونها فانها اخت السيف وفي هذا المعنى
بل قالوا القلم اخو وامضى من السيف وشانه اجل
من ان يحتاج بالكشف • قال ابن الرومي

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت • له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لا شيء يعادله • ما زال يتبع ما يجري به القلم
كذا قضى الله للاقلام مذ بريت • ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

وانما الغرض الكلام في هذه المرتبة لا نعرج لها الا ببعض
وبينها رحما وشيجة العروق • ومنتسبا وانهم الفروع • اذ كانا لها
بلغتهم الزمان فتجلى • وان لم تكن في عصبته مستعجلين • فاردنا يحول

قوالموت ع

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فحاولت ان ناتي في هذا التعبير عن بسط الكلام • بما يكون تحفة
لحملة الاقلام • صلة لتلك الرحم المهجورة • ونشرا لحلل المثابة الحسن
والاحسان المجورة • فان هذا الزمان قد محى هذه المهنة حقها •
حتى بينا وقضا محوطا ومحفوفا • ولم يبق لها حرمة • ولا راعى حقوق
الزمة • فلبس لها اهلها بالية • ورسوما خالية • وعسى الله ان
يجري على يدي الكمال مجرى السعادة ويبين • فانه على كل شيء قدير • فنقول
ان الكلام فيها ينحصر في سبعة فصول الاول في مدلول الكتابة في لغة العرب
الثاني في اوليات تتعلق بها كاول من خط الخط العربي واول من كتب
اما بعد واول من قال من فلان الى فلان الثالث في آلة الكتابة
الرابع في المكتوب فيه الخامس في المكتوب به السادس في الكاتب
السابع في المكتوب اليه •

الفصل الاول في معنى الكتابة في اللغة

يقال كتبه كتبا وكتابا بالخط ككتبه او كتبه خطه واكتتبه استملاه ح واكتتبه
كاستكتبه في بعض القاموس ولم يذكر الكتابة من المصادر وكانه جعلها
من باب كالتجارة وقد قيل كتب بخط وليس مرادا بالخط الامتداد
الوهمي الذي هو قسيم النقطة والجسم ولاكن المراد الرقم الكاين على وجه
الصحيفة ونحوها ولم يمنعها صاحب الاقتضاب وانما قاله بعض

كلامه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

كلامه الى بيانه والتعبير الكتابة قال رجل من اهل اليمن

انا اعرف تخبير اى كتابتى فقال ابو خؤيب

عرفت الديار كرقم الدوات • يزبرها الكاتب الحميرى •

وقال امرؤ القيس • كخط زبور في مصاحف رهبان •

قال ابن قتيبة الزبور في هذا البيت الكتاب يقال زابر

وزبور وذابر وذبور بالذال المعجمة • واما اهل اليونان

فان رئيسهم اقليدس عرف الخط الذى هو معنى الكتابة

فقال الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية وقال

ايضا الخط شىء اظهره العقل بواسطة من القلم فلما

قابل النفس عشقته بالعنصر *

الفصل الثانى فى اول من كتب بالعربى

قال فى القاموس مرامر بن مرة اول من خط العربى •

وقد ضبط مرامر بقوله كعلابط وقال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن

قتيبة فى كتاب المعارف ذكر ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب

الكلبى عن ابيه قال اول من وضع الخط بعض العرب من طى وهى

بولان وهم مرامر بن مرة واسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فعلموا اهل مكة

فتعلمه منهم سفيان بن ربيعة بن حرب بن عبد شمس وعتبة بن ربيعة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهشام بن ربيعة المخزومي

ثم اتوا الانبار فتعلمه نفر منهم ثم اتوا الحيرة فعلموه جماعة منهم

سفيان بن مجاشع بن عبد الله بن دارع وولده بالكوفة يسمون اولاد الكاتب

ثم اتوا الشام فعلموه جماعة فانتهت الكتابة الى رجلين من اهل الشام

يقال لهما الضحاك واسحاق بن محمد وكانا يخطان الجليل فاخذ ابراهيم بن

السجزي الخط الجليل من اسحاق بن حماد واخترع منه خطا اخف منه

وسماه الثلثين وكان اخط اهل دهره بخط الثلثين ثم اخترع قلما اخف

من الثلثين وسماه الثلث واقام ابن الخميس على الخط الجليل الذي اخذه عن

اسحاق بن حماد اذ اخذ عن اسحاق بن حماد الخط الجليل اخترع منه

قلما اخر موزون الجليل تاما سماه التمام معتدلا فاعجب ذا الرياستين

الفضل بن سهل فامر الكتاب ان لا يحرروا الكتب الا به وسماه الرياسي

ثم اخذ ابن الاحول عن ابراهيم السجزي الثلثين والثلث فاخترع

منهما قلما سماه النصف وقلما اخر سماه خفيف النصف وقلما

اخر من الثلث سماه خفيف الثلث وقلما اخر سماه المسلسل

متصل الحروف لا ينفصل بعضها من بعض وقلما سماه غبار الحلبة

وقلما سماه خط المؤامرات وقلما سماه خط القصص وقلما

فصيحا سماه الحوائجي وقلما سماه المحدث وقلما سماه المرصع

وقلما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

156

وقلما يستعمله الطومار به. **وحاصل** ما نقل عن ابن مقلة من
الأقلام ما يبلغ عدد أصنافه اثنا وعشرين وهي هذه، الجليل،
وقلم الثلثين ويسمى السجلي، والرياسي، والنصف، وخفيف النصف،
والثلث، وخفيف الثلث ويسمى قلم الرقاع، والمسلسل، وغبار
الحلبة، وصغير الغبار وهو قلم المؤامرات، وقلم القصص، والحوائجي،
والمحوك، والمدمج، وثقيل الطومار، وخفيف الطومار، والشامي،
ومفتاح الشامي، والمنثور، وصغير المنثور، وقلم الجزم. **قال**
ابن مقلة للخط أجناس فيها كان الناس يخرجون ويعلمونها أولادهم
ثم تركوا ذلك وزهدوا فيه لكثرة زهدهم في شأن العلوم والصناعات
وكان أكبر تلك الأجناس وأجلها قلم الثلثين وهو الذي كانت السجلات
تكتب به قديما بقطعه الأئمة وكان يسمى قلم السجلات ثم ثقيل
الطومار والشامي وكان يكتب بهما في القديم عن ملوك بني أمية ويكتب
اليوم في المؤامرات بمفتح الشامي ثم استخلص أولاد العباس قلم
النصف فكتب به عنهم وترك ثقيل الطومار والشامي ثم إن المأمون
تقدم إلى ذي الرياستين بأن يجمع حروف قلم النصف ويباعد بين سطوره
ففعل ذلك وسمي القلم الرياسي فصارت المكاتبة عن السلطان بقلم
النصف والرياسي والمكاتبة إليه بجميعهما والمكاتبة عن العمال

ح المحكمي

311

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

من الوزراء الى العمال بقلم الثلث ومن العمال الى الوزراء بخفيفه ومن
الوزراء الى السلطان بقلم المنثور عوضا عن مختصر الشامي وخفيف
المنثور وبينهما بقلم المؤامرات وقلم الرقاع وهو خفيف الثلث
للحوائج والظلامات فقال والكتاب هل هؤلاء في زمان لا يعرفون
هذه الخطوط ولا يدرون ترتيبها وقد افتتح كل كاتب على ما
وقع عليه خطه كافتقارهم في سائر الامور واما اول من افتتح
كتابه بالبسملة فسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
واول من قال اما بعد فداود عليه السلام واول من كتبها من العرب
قس بن ساعدة الايادي وكانت العرب تقول في افتتاح كتبها
وكلامها باسمك اللهم فجرى الامر على ذلك صدر الاسلام حتى نزل
بسم الله مجراها ومرساها فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله
حتى نزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن
حتى نزلت وانه بسم الله الرحمن الرحيم فصارت سنة الى يومنا
هذا واما اول من طبع الكتاب اي الطبع عليه من خارج بعد طيه
فعمرو بن هند وسبب ذلك انه كتب كتابا للمتلمس الشاعر الى عامله
بالبحرين يوهمه انه امر له بجائزة وقرأه العامل فيه بقتله فلما
المتلمس فر ومضى الى من قرأه عليه ما فيه فالقى السفارة ومضى بالكتاب

صح اصل صح

في النعي ومن علي وجعفر ... الذي يقول
والقيتها بالثني من جنب كافر
كذلك اقنو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها
يجول بها التيار في كل جدول

وفي الفتح وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى ملك الروم كتابا ولم يختمه
91 بلغ الثاني عمرو بن هند في الكتب والختم ... صلى الله عليه وسلم خاتما يختم به ورووا ان اول من ختم الكتاب
فقيل له انهم لا يقبلون كتابا الا مختوما وفي الرواية تاويل قوله تعالى اني القي الي كتاب كريم اي مختوم
بسم الله سليمان بن داود عليهما السلام ... يكتب الكاتب ويشرع باسمه قبل
... رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار ذلك سنة ... ابتدع
... الكتبة ... رضي الله عنه وتسمى باامير المومنين كما تعلم ...

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في رايته اول من زاد التفخيم فجرت العادة بذلك الى ان ولي
الوليد بن عبد الملك فكان الوليد اول من اكتسى في كتبه واول من
عظم الخط والكتب وجوّد القراطيس ولذلك قال ابو نواس:

سبط مشافرها دقيق خطمها • وكأنّ سائر خلقها بنيان •
واحتاز ها الوشي في جلودها • فكأنها كتب الوليد بجلان •

وكان الوليد يقول لكتابه اكاتب الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم
بعضا فجرت العادة بذلك الى ايام عمر بن عبد العزيز فرد الكامل
فانه قطعها وليا رد ذلك الى ما كان عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وزمان الصحابة رضوان الله عليهم فلما ولي مروان بن محمد رد
ما كان في زمان الوليد *

الفصل الثالث في آلة الكتابة

كالدواة ومدادها وصوفتها والخرقة التي يمسح بها والسكين وقرابها والمقط وما يجعل فيه
الاقلام هذه هي الالة المشهورة التي
التي يتوقف الكاتب عليها وربما توقف على امور اخر في النادر

فاما الدواة فيقال هي الدواة والنون قال بعض المفسرين
في قوله تعالى ن والقلم ان النون هي الدواة * وجمع الدواة دوايات
كقنات وقنوات ويقال دواة ودوى كما يقال فتاة وفتى قال الشاعر

• لمن الدار تخط بالدوى • انكرت المعروف منها واعتفى •

فنات

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ويقال دواة ودوى كما يقال قناة وقنى قال الشاعر •

• وكم لك في ديار الشرك تغشيها • تلقي الدوى على املاك قاليقلا •

وجمع القلة في العدد القليل أدوات وفي العدد الكثير دوي كما يقال

في جمع حوت أحوات وحيتان واشتقاق الدواة من الدواء لأن بها

صلاح أمر الكاتب وجعلها بعض الشعراء من دوي الرجل يدوى اذا اقام

في جوف الدار فقال •

• أما الدواة فأدوى حملها جسمي • وحرف الخط تحريف من القلم •

وليس للنون فعل يصرف منها وأما الدواة فقد صرف منها الفعل

واشتقت منه أسماء فقالوا أدويت دواة إذا اتخذتها وأنا مدو

فإذا أمرت غيرك أن يتخذها قلت ادو دواة وقلت للذي يبيع

الدوى دواء كما يقال للبايع الحنطة حناط وللبايع التمر تمار فإذا

كان يعملها فهو مدو كما يقال للذي يعمل القناة مقني قال الراجز

• عض الثقاف خرص المقني • ويقال للذي معه الدواة

يحملها داو كما يقال لحامل السيف سايف ولحامل الترس تارس

ويقال لما تدخل فيه الدواة لتكون وقاية لها صوان وغلاف

وغشاء فإن كان شيء يدخل فيه ليلا بسبل ما فيه شيء سواه

وصام وعصام وكذلك القارورة ونحوها وقال اللغويين

بالقاف

بهو

314

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من يجعل العقاب ما يدخل فيه راس الفارورة ويجعل الضلع والسراد
ما يدخل فيه ووزن دوائر فعلة وما ضلعاه وليس تحركت الواو وانفتح ما
قبلها فقلبت الفا وبين اعلال لا مطايا فقولهم في جمعها صويدات
فان قال قائل فان الواو في دوات قد تحركت ايضا وانفتح
ما قبلها فهلا قلبت الفا فتحرم اخرى الا العين لالتقاء الساكنين
فالجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان حكم التصريف
يوجب انه اذا اجتمع في موضعي العين واللام حرفان يجب اعلالهما
اعلت اللام وصحت العين لان اللام اضعف من العين واحق
بالاعلال اذا كانت طرفا وفي موضع تتعاقب عليه حركات الاعراب
وهي محل التغيير والثاني انهم لو فعلوا ما سامنا هذا السائل
لاجحفوا بالكلمة وذهبوا معناها ويقوي هذا الجواب ويدل
على صحته انك تجد الواو والياء يلزم اعلالهما اذا وقعتا بعد الالف
لم يعلوها في نحو النزوان والكروان لئلا يلزمهم حذف احدى
الالفين فيلتبس فعلان بفعال ولم يلتفت الى الكلام اعلال
العين وتصحيح اللام اذا كانا معتلين في هذه المواضع ليسلم
بناؤه على ما عليه الجمهور نحو غاية وراية وحكاية وثاية وراية
انتهى من كتاب الاقتضاب للشيخ الجليل ابي محمد عبد الله بن محمد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

البطليوسي رحمه الله تعالى وأما إصلاح الدواة بالمداد
فقال ان تبل بالمداد يقال لها البوهة فاذا خلطها المداد فهي
الليقة وجمعها الليق يقال ألقت الدواة وألقتها فهي ملاقة ويقال
لها الليقة قبل بلها تحميم لما بما تشول اليه كما يقال للكبش ذبح
وذبيحة قبل ان يذبح وللضحية ضحية قبل ان يضحى بها ويقول العرب
بعر الضبية لا ارنب وقال تعالى وفديناه بذبح عظيم فاذا
عظمت الشرمة فهي الهرشفة فان كانت قطنة فهي قطعة
والكرسفة والقطن كله يقال له القطف والكرسف ويقال كرسفت
الدواة كرسفة وكرسفا وأما المداد فانه يذكر ويؤنث فيقال
هو المداد وهي المداد ويقال له النقس بكسر النون وأما النقس بفتح
النون فهو مصدر نقست الدواة اذا جعلت فيها نقسا وقد حكى
الامام ابن قتيبة في كتاب أدب الكتاب انه يقال للمداد نقس
ونقس بالفتح والكسر قال والكسر أفصح وأعرب ويقال مددت الدواة
أمدها مدا اذا جعلت فيها مدادا فاذا كان فيها مداد فزدت
عليه قلت أمددتها امدادا فاذا أمرت انسانا ان يأخذ بالقلم من المداد
قلت استمدد واذا سألت انسانا ان يعطيك بالقلم مدادا قلت له أمددني
مدة وانت مستمد استمددته اذا سألته المداد وحكى

فان صوفة المداد قبل ان تبل بالمداد

316

الخليل

الخليل مرة وامز بمرة واتك وكل شيء زاد به شيء فهو مداد له

قال الأخطل

رأت بارقات بالأكف كأنها * مصابيح سرج أوقدت بمداد

يعني الزيت والحبر المداد مكسور لا غير فأما العالم فيقال له حبر وحبر وقال بعض اللغويين يسمى المداد حبرا باسم العالم كأنهم أرادوا مداد حبر فحذفوا المضاف ولولا ما قالوه لصح أن يقال سموا المداد حبرا بالفتح لأنه الأشبه أن يكون سمي بذلك لأنه يحسن الكتاب من قولهم حبرت الشيء إذا حسنته ويقال للجمال حبر وسبر وفي الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره فإذا قيل مداد حبر فكأنه قيل مداد زينة وحسن ويجوز أن يكون مشتقا من الحبر وهو الحبار وهو الأثر سمي بذلك لتأثيره في الكتاب قال الشاعر

أفي أن شمتت به أهل فيد وغادرت * بجسمي حبرا بنت مصان باديا

ويقال أصفقت الدواة إذا حركت فيها ماء فإذا أمرت بذلك قلت أصفق دواتك وصوفها وأما الخرقة التي يمسح بها الكاتب قلمه فهي الوقيعة بالقاف كذا في الاقتضاب قال كذا حكاها الثعالبي في فقه اللغة وقال أبو عمرو الشيباني وقيعة بالعين وكذا وجدتها مقيدة بخط علي بن طرخ وأما ابن خالويه

فصل المفيد السكين وكذلك التجار وللاف مجموع الفلم

رضي الله عنه ولطف بنا ان نذكر هنا شيئا من صناعة المداد

ثم رأينا ذلك لا يخرج من الرماد في الصوف والفرخ ولا غيره من المحمول

جاز للحياء واصبح ولا يكن البأس ان نذكر منه صنعة غريبة نسبها

بعضهم الى الامام الشافعي وذكر الابيات في العشرة معتمها

ونسبها له او لغيره

ان رمت صنعة حبر ● يبرا لفاطر شر كر ●

وتلخيص هذه الكيفية ان تاخذ من الماء رطلا وثلثا وتلقي فيه

اوقية ونصف من عفص مدقوق وينقع فيه خمسة عشر يوما حتى

يظهر الحمر اللون ثم يصفى وتاخذ اوقية زاج مدقوق وتجعل في خرقة صفيقة

ويغمس في ذلك الصفو ويحرك وتعصر الخرقة بعد المرة حتى لا يبقى في

الخرقة شيء ثم تاخذ اوقيتان من الصمغ العربي الانقى وتلقي في الماء

المذكور ويحرك حتى يذوب ثم يجعل في ذلك ثلاثة دراهم سكر ابيض وقعة

لانه لا يدخل والله اعلم **واما** السكين فمنهن المحرية والخنجر

والفلت والجراة والانيض والمذبح والحد والشلطة والعالية

والكتة اللحم والنخيتة والشلفاء محمولة على وزن الحرباء قال العلا

السكين يذكر ويؤنث وانشد

بعيت

318

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وعيب في الصنام غراة في سكين موثقة النصاب

قال ابن الاعرابي في المدية ثلاث لغات الفتح والضم والكسر
ويقال للصلت هي الكبيرة منها ويقال لجانب السكين الذي
يقطع به الحد والغرب والغر والغرار والظبة ولجانبها الذي لا يقطع
الكل والظهر وفيها الذباب والضبة والذي يسد الكف منها المقبض
والمقبض بفتح الباء وكسرها والنصاب والعتر والجزأة يقال جزأت
السكين واجزأتها اذا اجعلت لها جزأة وانصبتها اذا اجعلت لها
نصابا واقبضتها اذا اجعلت لها مقبضا وذكر ابن قتيبة في
ادب الكتاب ان النصاب للسكين والمدية والجزاة للاشفى
والمخصف وهو راي كثير من اللغويين ويقال للمسمار الذي تشد به
الحديدة في النصاب الغضيرة وكذلك السيف قال الراجز

كأن وقع غير الضريبة ۞ شعيرة في قائم مسمورة

ويقال لما تشد به النصاب الركك ويقال للحديدة التي تدخل في
النصاب من السكين السيلان وكذلك من السيف ويقال لوجهي السكين
الايلان والصرهما اللاحاد اذا كانت حادة قيل سكين حرير وحراد
وصراد وصهف ودليو ومرلو وهدام وحرومف بالصرر
قال النمر ابن شريك

• كأن جزار الغنم او السكين • جز له لمبيض ابطنيه •

ويقال وقعت السكين ووقعتها وهي وقيعة وذربتها بالتخفيف وذربتها

بالتشديد وارهفتها كل ذلك اذا احددتها ويقال ارمضتها بين

حجرين فاذا انكسر حدها قيل انفلت انفلالا وتفللت تفللا وفللتها

فلا وكذلك يقال في السيف قال الشاعر •

• فلا توعدني انني ان تلاقني • معي مشرفي في مضاربه قضم •

ويقال لغمدها قراب وغلاف وقراب انشد المطرز •

• واخرج السكين من قرابها • فاذا ادخلتها في غمدها قلت

غلفتها وقربتها واغلفتها واقربتها الثلاثي مشدد العين وقيل

اقربتها جعلت لها قرابا وقربتها ادخلتها في القراب وغمدتها

بالتخفيف واغمدتها وهذه الالة التي هي السكين

من اكثر الالات الكتاب لا بد من حضورها والا كان عرضة

للعوائق عن جملة امره قال الفقيه العلامة سيدي العربي الفاسي

في نظم المعلوم •

• ولتجعل حولك سكينا اذا • ما قلم عصاك واسم انبذا •

واما المقص فلها ايضا اسماء متعددة منها المقص والمقطع

والمقراض والجلم فاذا اردت الموضع الذي يقص فيه ويقطع

320

قلت

فلت مقص ومقطع بفتح الميم وكذلك مقرض ومجلم والأكثر أن يقال
بالتثنية تقول اشتريت مقصين ومقراضين وجلمين يجعلون كل واحد
من الجزأين مقراضا ومقصا وجلما قال الشاعر
• ولو أنها قرضت بجلمين من شعر • لهوت بحافات الجلمين •
وقد جاء في الشعر واحدا قال سالم بن وابصة
• داويت صدرا طويلا غمره حقدا • منه وقلمت أظفارا بلا جلم •
وقال بعض الأعراب •
• فجليك ما أشطعت الكفو بلمتي • وعلي أن ألقاك بالمقراض •
ويقال جلمت به الشعر بينهما فصصت وقطعت وجلمت وقد قالوا
جزمت بالجزاء ويقال الحد فيهما الزبانيان والقبيتان ولحديهما
الغراران ولجانبيهما اللذان لا يقطعان شيئا الكلان ولحلقتيهما
النعلان وكذلك لتغنى بغير لا أتعب السمعان انشد أبو حاتم
• ونقشته عن تحتيش حتى تنقشا • وقلت له لا تخش شيئا وراءنا •
ويقال للحديدة التي تقوم عليها الشعرة والصوت القليل والكثير وللثقب
بين فيها الوجه وكلاهما وقد قالت الخنساء
• ببيض الصفاح وسمر الرماح • فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا •
ويقال خصفت وخرزت بالزاي والإبرة أثقبت بسهما والخرزة

ح
وفرصت

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وَنحوه لذ • المختصر الرابع في المكتوب فيه •

قال ابن قتيبة الرق الذي يكتب فيه جلد او ورق وقرطاس
بكسر القاف وقرطاس بضمها وقرطس وقرطس قرطاسا
اذا تخرقه وقد قرطسته قرطاسا اذا كتبت فيه وتقول قرطسنا
يا فلان اي جئنا بقرطاس وان كان من خرق مموه كاغد بالدال المهملة
وحكى بالمعجمة وقد يستعمل القرطاس في كل ما يكتب فيها
ويقال لما يكتب فيه صحيفة ومهرق واصله بالفارسية
مهركرد والقضيم والقضيمة • وقال الاعشى
• ورب كريم لا يكدر نعمة • واذا تنوشد بالمهارق انشدا
وقال امرؤ القيس • وبيض شتوي كالقضيمة مذهب •
ويقال السجل والوصر بمعنى واحد ويقال للصك قط
وجمعه قطوط وقطاط وكذلك كتب الجوائز والصلات وقال التغلبي
• والقيتها بالثني من جنب كافر • كذلك اقنو كل قط مضلل •
وقال الله تبارك وتعالى ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم
الحساب فان كان كتابا اكتب فيه بعد محو فهو طرس ويقال
رقنت الكتاب رقنا ولمقته لمقا ونمقته نمقا وتنمقته تنمقا
ونمقته نمقا ونمقته تنميقا وحبرته تحبيرا ونبغته تنبيغا

قال الاعشى
ولا الملك النعمان يوم لقيته • بغبطته يعطي القطوط ويأفق •
وقال المتلمس

الباء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

البا قبل النون ورقشته ترقيشا وزبرقته زبرقة وزبرجته زبرجة وزبرته
تزبيرا وزخرفته زخرفة كل ذلك اذا كتبته كتابة حسنة فاذا
نقطته قلت شكلته شكلا ونقطته نقطا واعجمته اعجاما ورقنته
ترقينا. فصل مرقه

كمسطور الزبور رقشته * بالضحى مرقش يشميه

وقال المرقش

بل هي ووشم كما نمنمت * بنقشها المهارق العري

فبالواو بهذا البيت سمي المرقش مرقشا وقال رؤبة

دار كرقم الكاتب المرقن * فاذا افسد الخط قيل
مجمجه مجمجة وثبجه تثبيجا وشرمجه شرمجة وهلهله هلهلة
ولهلمه لهلمة فاذا لم يبين خطه قيل دخمسه دخمسة
ومجمجه مجمجة وعماه عما وعقله عقلا فاذا دق الحروف
وقارب بعضها من بعض قيل قرمطه قرمطة وقرمع قرمعة فاذا
مد الحروف قيل مشقه مشقا ويقال المشق سرعة الكتابة
وسرعة الطعن ومن تقدم لنا ذلك فاذا عظم الحروف وطولها
قيل صرمه صرما ومطه مطا ومططه تمطيطا فاذا تفوت الكتابة
فالحفة بين الاسطار او في عرض الكتاب فهو اللحق وجمع الحاق

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

غور وحول وثالث لهم • كأنه بين اسطر لحق •

فإذا سوى حروف كتابه ولم يخالف بعضها بعضا قيل جزم يجزم
جزما وخطه مجزوم وجزم ويقال من السطر سطر بالتخفيف وبالتشديد
وسطير ويقال سطْر وسطَر بتسكين الطاء وفتحها وجمع سطر الساكن
أسطر وسطور وجمع سطر المفتوح أسطار ويجوز فيه سطور كما قالوا
أسد وأسود وجمع الجمع أساطير فإذا وضع على الكتاب ترابا بعد الفراغ من
كتبه قال تربته ترابا وتربته تتريبا ومن اللغويين من يقول أتربت ولا يجوز
تربت قال النضر بن شميل كنت يوما عند المأمون وعلي أطمار فقال
يا نضر أتدخل علي في هذا اللباس ثم تجاذبنا الحديث فقال المأمون
حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها وكمالها كان فيه سَداد
من عوز قال النضر فقلت يا أمير المؤمنين حدثني عوف الأعرابي عن الحسن
عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها
كان فيه سِداد من عوز وكان المأمون متكئا فجلس وقال السِّداد
في هذا الموضع لحن قلت نعم قال ما الفرق بينهما فقلت [illegible] بالفتح
القصد في الدين وبالكسر البلغة وما يسد به الشيء قال أتعرف العرب هذا
قلت نعم هذا العرجي من ذرية عثمان بن عفان يقول

324

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ردع داهية وذا

اضاعوني واي فتى اضاعوا ، ليوم كريهة وسداد ثغر ،

كأني لم اكن فيهم وسيطا ، ولم تك نسبتي في آل عمرو ،

فاحتمل وهو يقول ذلك قال فبلغني انه من كان ادبه فلت ما لقي امير المؤمنين وانما

لحق بقيس وكان لحانة فتتبع ذلك امير المؤمنين كما تتبع الفاضل الفضلاء

فقال لي كعب رواية للشعر فقلت اروي الكثير منه فقال انشدني

احسن ما قالت العرب في الحلم فانشدته :

اذا كان دوني من بليت بجهله ، ابيت لنفسي ان اقابل بالجهل ،

وان كان مثلي في محلي من العلا ، هويت اذا حلما وحلما عن المثل ،

وان كنت ادنى منه في الفضل والحجا ، رايت له حق التقدم والفضل ،

فقال ما احسن ما قال انشدني احسن ما قالت في الحزم فانشدته

على كل حال فاجعل الحزم عدة ، لما انت باغيه وعونا على الدهر ،

فان نلت امرا نلته عن عزيمة ، وان قصرت عنه الخطوب فللعذر ،

فقال احسن فيما قال فانشدني احسن ما قالت في استطلاع العزم

فانشدته :

ومن غيلة سالمته فغفرته ، واوقرت منه بعد في التجمل ،

ومن ابرم سيئات عدوه ، بالحسنات لم ياخذ الهوان على ،

هوان في الاشياء امرؤ فهلكا ، لفقد عدو او وداد محب ،

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فقال أما أحسن ما قال وأنشدته ما قاله في التشكي والتعريض فأنشدته

إذ ليعجز الصديق تجنيا ، فأريه أن لهجره أسبابا ،

وإذا ما عتبته أغريته ، فيكون ترك العتاب عتابا ،

وإذا بليت بجاهل متحكم ، حسب المحال من الأمور صوابا ،

أوليته مني السكوت وربما ، كان السكوت عن الجواب جوابا ،

فقال أحسنت ثم قال ما مالك يا نضر قلت أريضة بمرو

أتمززها فقال أفلا نفيدك مالا قلت إن أمير المؤمنين في ذلك

عادته فضل فوقعا برواية وفركها من حكمته وبادر ما كتب فقال إن

أردت أن تترب الكتاب كيف تأمر قلت أقول يا غلام أترب الكتاب

قال فهو ماذا قلت مترب فقال فمن اسحائه قلت يا غلام اسح الكتاب

قال فهو ماذا قلت مسحى قال فمن الطين قلت أقول يا غلام اطن

الكتاب وطن الكتاب قال فهو ماذا قلت مطين ومطان فقال أتربه

واسحه واطنه وامض به إلى الفضل بن سهل فلما أوصلته له قال لي

استحقت أن يأمر لك أمير المؤمنين بخمسين ألفا فقصصت عليه الحديث

فقال لحنت أمير المؤمنين فقلت ما لحن إلا هشيم فأعطاني الفضل

أربعين ألفا أخرى من عنده ه رجوعا إلى ما كنا بصدده

قال ابن قتيبة وإن جعل عليهم زمامة من العيون التي تشغلهم

326

عشر

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

164

ونثرها تنثيرا

عن نشرها قيل اثّرها تأثيرا ونثرها تنثيرا انه يقال انثرت الخشبة
ونشرتها وهو الميشار بالهمزة والميشار من غير همز والمنشار
بالنون ويقال لما يسقط منه الاشارة والوشارة والنشارة وللذي
يفعل ذلك الاشر والناشر والواشر والعود ماشور وموشور ومنشور
ويقال سحوت الكتاب سحوا وسحيته سحيا اذا قشرت منه قشرة واسم
تلك القشرة سحاءة وسحاية والجمع سحاءات وسحاء مكسور
ممدود وسحى مفتوح مقصور وسحايا ولذلك القطعة الصغيرة
من جلد اشد به سحاءة قلت سحيته بالتشديد تسحية ويقال
للسحاءات التي يحزم بها اضباعة وفرض منه جمع محزوم ويقال لها ايضا
اضبارة وضبارة بكسر الضاد وقد ضبرته بالتخفيف وضبّرته بالتشديد
والاضابير ايضا صحف تجمع وتشد ويقال وحيت الكتاب
اوحيه وحيا فانا واح اذا كتبته واوحيت فانا موح وقد
قيل في تفسير قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا اي كتب اليهم قال
الشاعر : ما هيج الشوق من اطلال ✽ اضحت قفارا كوحي الواح ✽
ويقال للخطوط التي يكتبها الكتاب والصبيان ويعرضونها ليرى ايهم
احسن التناشير والتحاسين ويقال للكاتب اذا اسقط شيئا
من كتابه قد اوهمت ايهاما فاذا غلط قيل له قد وهمت وهما

وسحايات

327

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

بالعين على مثال وجلت وجلا فإذا اراد شيئا دونه وهم الى غيره
قيل الدفتر بفتح تمر وهما ساكن العلة على مثال ونزحت تهروزنا وللكتاب
اسماء وقع الاصطلاح عليها من اللغويين فمنها ما يعم جميعها
ومنها ما يخص بعضها من الاشياء العامة الكتاب والصحيفة فانهما
يقعان على جميع انواعها وليس كذلك المصحف لان اصل الاسم ان وقع
في المشهور المتعارف الا على الكتب السماوية المنزلة على الرسل وقد
يستعمل في غير ذلك وهو قليل واما العنوان والزمام والاوارج
والاخونج وهو العنوان فلا تستعمل الا في الكتب المتصرفة في الخدمة
وحساب الخراج والعمال ويقال من الاوارج ارجت تاريجا وورجت
توريجا والرسائل لا تستعمل الا في المخاطبات والمكاتبات والوثائق
والسجلات لا تستعمل الا في الكتب المتصرفة في مجالس القضاة
والحكام وقد تستعمل السجلات في كتب السلاطين والعهود لا تستعمل
الا في كتب الامراء والصكوك والقطوط الغالب عليها ان تستعمل
في كتب الولايات والاقطاعات والاثر اللات والمحاضرات عن
الوظائف والكلف وربما استعملت في غير ذلك والاشهر استعمالها
فيما ذكرناه قال العلامة ابو محمد بن السيد البطليوسي في الاقتضاب
وقد جرت العادة في الاكثر ان يقال سجل الماكان عليه حلة واما الرجستر

328

فيلطى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فيطلى على الجلد وغيره واشتقاق السبح من قولهم اشبع الصبغ اذا انط
ركانه يبقى الاشياء كما يبقيها الصبغ ومن هذا الاشتقاق يوجب ان يقال
السبح لكل ما كتب ولكن العادة بما ذكرناه قبل **واما الطبع**
والختم فانه يقال طبعت الكتاب اطبعه طبعا وختمته ختما وافقته
افقا ويقال للذي يطبع به طابع وطابع وخاتم وخاتم بالفتح
والكسر واما الرجل الذي يطبع ويختم فطابع وخاتم بالكسر لا غير ويقال
للطابع ايضا مطبع وفي الخاتم الذي يختم به لغات خاتم وخاتم
وخيتام وختام وختم **وقال** الاعشى

ع وخاتام

وصهباء طاف يهوديها ، وابرزها وعليها ختم ،

اختلفوا في قوله وعليها ختم فقال قوم اراد الخاتم وقال اخرون
انما ختم فعل ماض اراد وختم عليها واما الطين الذي يختم به
فيقال له ختام وجرجس وجرجوان وجمع قال تعالى ختامه مسك
وقال امرؤ القيس

، ترى اثر القرح في جلده ، كما اثر الختم في الجرجس ،

وقال ملحة الجرمي

، كان فؤادي صرما طبعتما ، بطين من الجولان كتاب اعجم ،

وقال ابو رياش ان الجولان في هذا البيت موضع بالشام

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وذكر ابو عمر والمطرز ان الجعص خاتم الفاغ ويقال اكرمت الكتاب

اذا ختمته قال بعض المفسرين في قوله تعالى اني القي الي كتاب كريم اي مختوم

ويقال الخاتم الملك الحلق والهجار قال المخبل السعدي يذكر ان

رجلا من قومه اعطاه الملك النعمان بن المنذر خاتمه :

واعطي منا الحلق ابيض ماجد * رديف ملوك ما تغب نوافله *

وقال الاغلب العجلي *

ما ان راينا ملكا اغارا * اكثر منه قرة وقارا *

وفارسا يستلب الهجارا *

وذكر المطرز ان الهجار خاتم الفاغ وذكر اشياء كلها مخصوصة

بالفاغ وهي جارية في غيره ويقال للفاغ العقاب والعتوضة المكوية

والعوارن عروله والغول المناوح واجودهم خابل والعواهر اصحاب معايبه

والمناجرون وكلا خصومه واحويهم منافر فلان والزرانية حجابه والسالي

كاتبه والنون دواته والجزاة سكينه والمزابر اقلامه والبونه

صورته مراته والزبرى فمطر الحاضر والاوهار السجلات واحدها وهر

ويقال هزا وهر وهزاوجه والسلام سواد الفاغ والسلاح كيلماته

والاخرية قلنسوته والمطرة محبرته واللبنة بخوره وانشد عليه ثعلبة

لا تقطع الليلة زيه حزمر * الا بعو ليته وعبر *

ع

ز ن

ه

قوله الهجار ركتاب

والسنرل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

والسيور مخروزة اذا ثار من خرزه فاذا كان من صوف فهو مهو الصحائفة
المشعلة واذا كان من كتاب فهو الغلافة والمنهرل ضعيف والتوله والتلوة
فغلته والمشكل حصير والحسبان وسادته والجلد خاتمه والحبكة
كبس خاتم ويقال كمنت الكتاب اذا جعلت عليه طينا وتام من يفعل
ذلك فيقال هو كتاب مكمن كتابه فان الكثرة من ذلك فقل كمينته ويقال لما جعل
فيه الحبر مكينة بلبس الهمز واما الطائع الذي يطبع به الوثائق والرسائل
فيقال له روسم • قال كثير •

• الى النعم البيض الذي وجوهها • دنانير شيفت من قران روسم •

واما العنوان فيقال عنوان وعلوان وعنيان يقال عنونت الكتاب
اعنونه عنونة وعنوانا فهو معنون وعننته اعننه فهو معنون وعنيته
اعنيه تعنينا فهو معنى وعننته اعنه فهو معنون وعنيته اعنيه
تعنية فهو معنى وعنوته اعنوه عنوا فهو معنو اصحهن عنونته فهو
معنون : قال الشاعر •

نجوا باشمط عنوان السجود به • يقطع الليل تسبيحا وقرآنا •

• وقال آخر •

• رأيت لسان المرء رائد عقله • وعنوانه فانظر بماذا تعنون •

فالعلوان باللام مشتق من العلانية والعنوان بالنون مشتق

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

من العنونة بالشيء لان الكتب في القديم كانت لا تطبع فلما طبعت
وعنونت جعل القايل من عنى بهذا الكتاب ولمن عنى كاتبه بهذا
الاشتقاق ولا يصح ذلك على لغة من يقول عنيان بالياء ولا يليق بسائر
اللغات هـ وقال قوم اخرون اصل العنوان الاثر ومنه سمي عنوان الكتاب
واحتجوا بقول الشاعر هـ
ضحوا باشمط عنوان السجود به • يقطع الليل تسبيحا وقرانا •
وهذا القول فيه نظر لانه يلزم في العنوان النحو الاثر الاشتقاق مما
يلزم في عنوان الكتاب هو واما الديوان فانه اسم عجمي عرب بفتح الدال واصله
دوان بالواو المشددة فقلبت الواو الاولى ياء لانكسار ما قبلها ودل على
ذلك قولهم في جمعه دواوين وفي تصغيره دويوين فرجعت الواو حين ذهبت
الكسرة ومن العرب من يقول في جمعه دياوين بالياء قال الشاعر هـ
عداني ان ازورك ام عمرو • دياوين تشقق بالمداد •
قال ابن السيد البطليوسي فكذا رويناه بالياء وفي ديوان شعر وهو
حملا على جمهور الاسماء في الاعلال من وجهين احدهما ان الواو الساكنة
انما تقلب للكسرة التي قبلها اذا كانت غير مدغمة في مثلها نحو ميزان وميعاد
فاذا كانت مدغمة في مثلها نحو ميزان وميعاد صحت نحو اجلواذ واعلواط
والوجه الثاني ان الواو والياء هما ثانيهما في المشهور المستعمل من

صح

بالنون مشتق من عن الشيء يعن اذا عرض
والواو على هذا زايدة ووزنه فعوال وقد
قيل انه مشتق من قولهم عنت الارض
تعنو اذا اظهرت النبات ويقوي هذا
القول ما ذكرناه من قولهم عنوت الكتاب
وعنونته فيلزم على هذا ان يكون وزن
عنوان فعلان ويكون الواو اصليا والنون
زايدة وهو عكس القول الاول ويلزم على
هذا ان تكون اللام في علوان بدلا من النون
كما قالوا جبرين في جبريل واما من قال
عنلته وعنونته بالنون فلا يكون
في هذه اللغة الا من عن يعن اذا عرض
وتكون الواو في عنوان زايدة واللام في
علوان بدلا من النون لا يصح غير ذلك
ومن قال عنته اعنوه على مثال صغته
اصوغه فانه مقلوب من عنونته اعنونه
ومن قال قوم ان العنوان مشتق من العناية
بالشيء

صح

ضائع

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

167

صناعة التصريف انهما اذا اجتمعتا وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو
ياء وادغمت في الياء نحو لويته ليا وطويته طيا ونحو سيد وميت والاصل
في تسميتهم الديوان ديوانا ان كسرى امر الكتاب ان يجتمعوا في دار ويعملوا
حساب السواد في ثلاثة ايام واعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما
يصنعون فنظر اليهم يحسبون باسرع ما يكون وينحون ذلك فعجب
من كثرة حركتهم فقال ديوانه معناه هؤلاء مجانين وقيل شياطين
فسمي موضعهم ديوانا وروي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما انه قال اذا قرأتم شيئا من القرآن ولم تعرفوا تفسيره فاطلبوه
في شعر العرب فانه ديوانها ويقال لغات تسمى الديوان الصحيح وهو
فيجت فلانا جعلته فيجا والفيج الذي يحمل الكتب من بلد الى اخرى واما
فوجتك بالواو فمعناه جمعت فوجا من الناس واما البراءة فهي في
الاصل مصدر من قولك برئت من الامر براءة وجاء اي تبرأت منه تبرءا ويقال
فلان بريء من كذا وهما بريئان وهم برآء على وزن فقهاء فاذا قلت بري ح ايضا
براء بفتح الباء لم تثن ولم تجمع لانه مصدر وصف به ويقال قوم براء
بكسر الباء على وزن ظراف وبراء بفتح الباء وبراء بضمها وهو اسم للجمع
بمنزلة تؤام جمع توأم وعراق جمع عرق وهو العظم بما عليه من اللحم
ونؤوم نعاس وحصر الناقة سقيها ولدها ولم يات شيء من الجمع على

333

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فقال الى ثمانية العاشرة اذا بعضها . ويروى بيت زهير .
. اليكم انا قوم بجسراء . بالعتق والكسر والقرع فاما البراءة
فاسم البراءة المستعملة في صناعة الكتابة فسميت بذلك لمعنيين
احدهما ان يكون من قولهم برئت اليك من الدين براءة ثم اعطيته ما كان
المعطى ومن برئت اليه من الله من الامان اذا تخليت له عليه فكان
المرعى يتبرا من ان يعترضها اهله لرتبة ويتخلى له عما رغب فيه
وقيل انما كان الاصل في ذلك ان الجاني كان اذا جنى جناية
يستحق عليها العقوبة ثم عفا عنه الملك كتب له امانا مما كان
يتوقعه ويخافه فكان يقال كتب لفلان براءة او امانا ثم طال مستعملا
واستعير في غير ذلك فصار في الاشتقاق قضاء وقد جرت عادة الكتاب
ان لا يكتبوا البسملة في اول البراءة اقتداء بسورة براءة التي كتبت في
المصحف بدونها واختلف في العلة في عدم كتابتها بها فقال قوم
وبه قال محمد بن الحنفية لم يفتتح بها لان باسم الله افتتاح للخير واول
براءة وعيد ونقض للعهود وسئل ابي بن كعب رضي الله عنه
ما بال سورة براءة لم تفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم فقال لانها نزلت في اخر
ما نزل من القرآن وكان صلى الله عليه وسلم يامر في كل سورة ببسم الله ولم يامر
في براءة بشيء فضمت الى الانفال لشبهها بها يعني ان امر العهود مذكور في الانفال

ومعنى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

164

ومعناه زلت بنقض العهود وكانت ملتبعة بهما. واما التوقيع في ان العادة جرت ان يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك او من له امر ونهي في اسفل الكتاب المرفوع اليه او على ظهره او في عرضه بابعاد ما يعد او منعه كقول الملك ينظر في هذا ان شاء الله او هذا صحيح وكما يكتب الملك على ظهر الكتاب لتردد لهذا ظلامته او لينظر في امر هذا او نحو ذلك وكما يروى عن جعفر بن يحيى بن خالد انه رفع اليه كتاب يشتكي فيه بعامل فوقع على ظهره يا هذا قد قل شاكروك وكثر شاكوك فاما عدلت واما اعتزلت وقال الخليل بن احمد التوقيع في الكتاب الحاق فيه بعد الفراغ منه واشتقاقه من قولهم وقعت الحديدة بالميقعة وهي المطرقة اذا ضربتها وحمار موقع الظهر اصابته في ظهره دبرة والوقيعة نقرة في صخرة يجتمع فيها الماء قال ذو الرمة

• وقفنا فسلمنا فسلمت كانه • جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع •

فلانه سمي توقيعا لانه تاثير في الكتاب او لانه سبب الى وقوع الامر وانفاذه من قولهم اوقعت الامر فوقع واما التاريخ فيقال ارخت الكتاب تاريخا وهي افصح اللغات وورخته توريخا فهو مورخ ومورخ وارخته مخففة الراء ارخا فهو مارخ وهي اقل اللغات والتاريخ نوعان شمسي وهو المبني على دوران الشمس

335

وقدر على دوران القمر وهو الذي يجري به العمل عند الفقهاء في
الاحكام الشرعية وكانت العرب تورخ بالكواكب العظام والحوادث
المشهورة من قحط او خصب او قتل رجل عظيم او موته او واقعة مشهورة
قال الربيع بن ضبع الفزاري •

• ها انا ذا امل الحياة وقد • ادرك عمري ومولدي حجرا •
• ابا امرئ القيس هل سمعت به • هيهات هيهات طال ذا عمرا •

وقال آخر زمان تنازع الناس موت هشام يعني هشام
ابن الوليد المخزومي وقال النابغة :

• بمريد ساكا عيني فانثني • من الشتاء اليم الحنان •

وقال حميد بن ثور الهلالي •

• وما هي الا في ازار وعلقة • مغار ابن همام على حي خثعما •

وكانوا يورخون بعام الفيل والفجار وبناء الكعبة وبين الفيل والفجار
عشرون سنة وسمي الفجار لانهم فجروا فيه واحلوا اشياء كانوا
يحرمونها وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة وبين بناء الكعبة
ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنين وكانت العرب تورخ بالوقت
الذي جمع فيه ازدشير ملك فارس بعد ان كانوا طوائف ولم يكن في صدر
الاسلام تاريخ الى ان ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافتتح بلاد العجم

ودن

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ودوّن الدّواوين وجبى الخراج وأعطى الأعطية وقيل له ألا تؤرخ فقال
وما التاريخ فقيل شيء كانت تفعله الأعاجم يكتبون في شهر كذا
من سنة كذا فقال عمر هذا حسن فأرّخوا فقال قوم نبدأ بالتاريخ
من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال قوم بل من وفاته وقال قوم بل
من الهجرة ثم اجمعوا على الابتداء من الهجرة ثم اجمعوا على انه في شهر ربيع
الاول وكان مقدم النبي صلى الله عليه المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة
ليلة خلت منه فتقدم التاريخ على الهجرة بشهرين واثنتي عشرة ليلة
وكانوا يكتبون شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر فيذكرون
الشهر مع هذه الثلاثة الاشهر ولا يذكرونه مع غيرها من الشهور والشهور
كلها مذكرة الا شهرا الجمادى الاولى والثانية وهي كلها معارف
جارية مجرى الاسماء الاعلام

المقصد الخامس في المكتوب به

وهو القلم والمزبر بالزاي والمذبر بالذال المعجمة سمي بذلك
لانه يزبر به ويذبر اي يكتب وفرق بعض اللغويين بين زبرت وذبرت
فقال زبرت بالزاي كتبت وذبرت بالذال قرأت وسمي قلما لانه
قلم اي قطع وسوي كما يقلم الظفر وكل عود يقطع ويحز راسه ويقلم

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بعلامة مجموعة قلم ولذلك قيل للسهام اقلام قال الله تعالى اذ يلقون
اقلامهم ايهم يكفل مريم وكانت سهاما مكتوبا عليها اسماؤهم
ويقال للذي يقلم به مقلم ولما يبرى به مبرى ومبراة وقرينته ابريه
بريا وصفيحته صفيحة عن ابن الاعرابي ويقال لما يسقط عن التقليم
القلامة وعن البري البراية وجمع القلم اقلام وقلام كجبل وجبال
واجبال وقيل لاعرابي ما القلم فجعل يفكر ويقلب اصابعه وينظر فيها
فقال لا ادري فقيل توهمه فقال عود قلم راسه وجوانبه كتقليم الاظفر
ويقال للعقدة الكعب واحدها كعب فان كانت فيه عقدة نشيمه وتعسر
مهر الابنة ويقال لما بين العقدتين انبوب واحدها انبوب والمقالم واحدها
مقلم والانابيب والكعوب واحدها تستعمل ايضا في الرماح وفي كل عود
فيه عقد وكذلك الاسرقات كان في القصبة او العود ما كل قيل فيه قادح
وفيه نقد وكذلك في السن والقرن قال جميل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى • وفي الغر من انيابها بالقوادح

قال الهذلي

تبين نيوسا اذا بناكها • يا لم قرنا ارومه نقد

ويقال الباطنة الشحمة والظاهرة اللتيط فان قشرت منه قشرة قلت تلطت
من القلم ليطة اي قشرته واللتيط ايضا اللون قال ابو ذؤيب

صلاة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

• صلاة كميت لبطيها واصفرارها • ويقال للقصب اليراع والاباء وقال فروع
الاباء اطراف القصب والواحد يراعة واباءة قال تميم بن
نويرة يذكر فرسا •
• ظلع الشبيب كان غمر اباءة • ريان ينفض اذا اما يفرع •
ويقال للغصن الذي يوجد بجوف القصبة البيلم والقنصع والقشع
واحدها بيلمة وقنصعة وقشعة فان كان فيه عوج فذلك الزرّ
وكذلك العود قال الشماخ •
• اقام الثقاف والطريدة درءها • كما اخرجت ضغن الشموس المهامز •
والطريدة خشبة صغيرة فيها حزّ تسوى به الرماح ونحوها •
ويقال لغشائه الذي عليه الغلاف واللحاء والغشر فاذا نزعته قلت
قشرته وقشوته ولحمته ولحيته وكشطته ولحوته والخبته وسحفته
وسحيته وسحوته وجلفته وجلمته ووسعته ونحته ويقال لطرفيه اللذين
يكتب بهما السفلة واصلها سن والشعيرتان واحدهما شعيرة فاذا قطعت
طرفيه وسويته للكتابة قلت قططته اقطه قطا وقضمته اقضمه قضما
والقط بالكسر ما يقط عليه والمقط بالفتح الموضع الذي يقط من راسه
قال ابو النجم • ثم نماهم على مقط • وقال المقنع الكندي يصف قلما
• يخر ويقضي من شعيرة انفه • كقلامة الاظفور في تقلامه •

ح
وقشبته

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

فإذا انكسرت سنّه قيل قضم يقضم قضما الجزر يجزر جزرا
وكذلك كل نكسر من سن أو سيف أو رمح أو سكين فإن أخذت من شحمته
بالسكين قلت شحمته أشحمه شحما فإذا لم تكن فيه إلا أخذ منها قلت بطنت
القلم تبطينا وجعرته جعرا وقلم مبطن ومجعور واسم موضع الشحمة
المتزعبنة فإذا لم تكن شحمته ولم تأخذ منها شيئا قلت أشحمته إشحاما
ويقال للشحمة التي تحت بريته القلم الصرة شبهت بقرة الماء بمعلم
وهي اللحمة التي في أصلها كذا قال ابن قتيبة في آلة الكتاب وهو المعروف
ولكنه خالف في أدب الكتاب فقال الليتة اللحمة التي في أصل الأسن بمعلم
والصرع اللحمة التي تقابلها فإن جعلت سني القلم الواحدة أطول
من الأخرى قلت قلم محرف وقد حرفته تحريفا وإن جعلت سنيه مستويتين
قلت قلم مبسوط وقلم جزم فإن سمع له صوت عند الكتابة قيل له
الصريف والصرير والرشو ويقال قلم مذنب بفتح النون أي طويل الذنب
فإذا كثر المداد في رأس القلم حتى يقطر المداد قيل رعف القلم يرعف
رعافا تشبيها برعاف الأنف ومج يمج مجا وأرعف الكاتب إرعافا
وأمج إمجاجا ويقال للكاتب استمدّ ولا ترعف ولا تمجّ ولا تملأ ولا تكثر
من المداد حتى يقطر ويقال للخرقة التي يمسح بها الكاتب الوفيعة بالفاء
وتقول لنا عن أبي عمرو الشيباني أنها الوقيعة بالقاف

ح المجورة

340

المغصر

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

المقصد السادس في الكاتب

ليس المراد هنا بالكاتب خاصة الانسان المأخوذة في رسمه بقولهم
الحيوان الكاتب فان ذلك بالقوة وهذا بالفعل بل المراد بالكاتب هنا
مقابل الشاعر كما يقال فلان كاتب وفلان شاعر فالاول ناثر والثاني ناظم
ويشترط في كل منهما البلاغة التي هي المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة
وليس كل من نظم الكلام يقال له شاعر ولا كل من كتب وان كان خطه في غاية
الحسن والتقويم يقال له كاتب فعلم بهذا ان المترسل البليغ هو الكاتب
سواء كان يكتب ما يراد منه مثل العماد الاصبهاني او كان يلفظه
مثل القاسم الحريري واما الذي يحسن الخط وتقويم الحروف وهو خال عن غير
ذلك فهو الذي قال فيه ابن قتيبة في ادب الكتاب معرضا بكتاب زمانه
وتنقيصهم وهجوهم فانهم فابعد غايته ان تبين التجويد في كتابته ان
يكون حسن الخط قويم الحروف. قال الزجاجي في حواشيه هذا
انما انكره على من اقتصر من الكتاب على تحسين الخط دون ما سواه
من الادب وراى انه قد بلغ الكمال اذ حسن خطه وهذا القدر
كما قال منكر على من قال كان هذا مذهبه وراه مجزيا ورضي به من تبعه
لانه انما صير نفسه بتلك الحال بمنزلة منزور نفاشر وليست هذه من المنازل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

التي يرضى بها كاتب عاقل في نفسه **وأما** حسن الخط فمحمود
في الجملة يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في قوله عز وجل
او اثارة من علم قال الخط الحسن وقال جل ذكره في الحكاية عن يوسف
عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم قال كاتب حاسب
وقال بعض المفسرين في قوله جل ذكره يزيد في الخلق ما يشاء من الفنون
الحسن وقيل الخط الحسن **ويروى** عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الخط الحسن يزيد الحق وضوحا وقال بعض العلماء من جلالة القلم
انه لم يكتب لله كتاب الا به وقيل اللسان اكثر هذرا والقلم ابقى اثرا والكتاب
يقرا في كل زمان واللسان لا يعدو سامعه وقال بعض اذكياء الحساب ف 201
وزن القلم في حساب الجمل نفاع وذلك ان الالف بواحد واللام بثلاثين وزن القلم في حساب الجمل نفاع
والقاف بمائة واللام بثلاثين والميم باربعين ومجموع ذلك مائتان
وواحد وكذلك نفاع للنون خمسون وللفاء ثمانون وللالف واحد وللعين
سبعون فذلك مائتان وواحد فقد استوى حسابهما وقد اكثر
الناس في مدح الكاتب والقلم واتوا في ذلك بكل عجيب فمن ذلك قول
ابي تمام الطائي في الوزير محمد بن عبد الملك المعروف بالزيات وهو من
اجود ما قيل في القلم والكاتب وهو هذا

لك

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

لك القلم الأعلى الذي بشباته ۞ يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
له الخلوات اللاء لولا نجيها ۞ لما احتفلت للملك تلك المحافل
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه ۞ وأري الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعها ۞ بآثاره في الشرق والغرب وابل
فصيح إذا استنطقته وهو راكب ۞ وأعجم إن خاطبته وهو راجل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت ۞ عليه شعاب الفكر وهي حوافل
أطاعته أطراف الرماح وقوضت ۞ لنجواه تقويض الخيام الجحافل
إذا استغزر الذهن الجلي وأقبلت ۞ أعاليه في القرطاس وهي أسافل
وقد رفدته الخنصران وسددت ۞ ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل
رأيت جليلا شأنه وهو مرهف ۞ ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

وقال الفكامي

لك القلم الذي لم يجر يوما ۞ بغاية منطق فكبا بعي
ومنتسب على القرطاس ياسو ۞ ويجرح وهو ذو بال رضي
جلا المقدار أعضب مرشباه ۞ ولا القطع سيفه المحجي

وقال أبو بكر بن دريد

نحيل جليل الخطب أخرس ناطق ۞ يزف بنات اللب طوعا إلى القلب
إذا البر أصغته لتعمل غربه ۞ رأيت بنات الفكر تفضي إلى اللب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ونظر بعض الملوك الى جارية تكتب كتابا فقال

وزادت لدينا حظوة يوم اظرفت • وبين اصبعيها الشمس اللون اهيف •
اصم سميع ساكن متحرك • ينال جسيمات المنى وهو اعجف •

قال ابن مقلة الكاتب على اصناف خمسة كاتب خط وكاتب لفظ وكاتب عقد وكاتب حكم وكاتب تدبير فكاتب الخط هو الوراق والمحرر وكاتب اللفظ هو المترسل وكاتب العقد هو كاتب الحساب الذي يكتب للعمال وكاتب الحكم هو كاتب القضاة ونحوهم ممن يتولى النظر في الاحكام وكاتب التدبير هو كاتب السلطان او كاتب وزير دولته وهولاء الكتاب الخمسة يحتاج كل واحد منهم الى ان يتمهر في علم اللسان حتى يعلم الاعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصور والممدود والوصل والفصل والمذكر والمؤنث ويكون له بصر بالهجاء كالخطا في الكلام وليس على واحد ان يتبحر في علم النحو واللغة امعان المعلمين الذين صنفوا عنهم ورفاعتهم ذلك ولا امعان الفقهاء الذين ارادوا بالاغراق تبيين كلام الله تعالى واستنباط الاحكام والحدود والعقاب بمقاييس كلام العرب ومجازاته وحفظ بعضها انما على الكاتب من ذلك ما لا تسعه جهالته بلغ بمعرفته للحمد ما يخصونه عنه من ممارسة رسائل الائمة كما في ضمن ريحانة الكتاب لابن الخطيب وغير ذلك

قال ابن

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

قال ابن مقلة ونحن نذكر مراتب الكتاب على ما كانت عليه في الزمان
القديم واما اليوم فقد تغيرت عن رسمها المعلوم ولكل دهر
دولة ورجال ولكل حال ادبار واقبال هـ وجملة المراتب
التي ذكرها احدى عشرة مرتبة كاتب الخط وكاتب اللفظ وكاتب
العقد وكاتب المجلس وكاتب العامل وكاتب الجيش وكاتب الحكم
وكاتب المظالم وكاتب الديوان وكاتب الشرطة وكاتب التدبير
ولا نحتاج في هذا المحل الا كاتب التدبير وكاتب الديوان وكاتب
الجيش فهو اعظم مراتب الكتاب لانه كاتب السلطان الذي
يكتب اسراره ويحضر مجلسه وهو الذي يدعى وزير الدولة المرجوع اليه
في جميع انواع الخدمة وهذا احوج الكتاب المذكورين الى ان يكون
له مشاركة في جميع العلوم بعد احكامه لما يحتاج اليه في صناعته
وينبغي ان يكون اكثر علمه التواريخ واخبار الملوك والسير والامثال
والاشعار وعيون الاحاديث وقال ابن رشيق في عمدته ويعرف
المنازل القمرية واعيان النجوم المشهورة ومن ذلك معرفة حساب
فصول السنة ودرجة الشمس من كل ما ينقص الانسان جهله
وقال في الة القضاء ولا باس ان يدخل في تضاعيف سطوره جمل الاشعار
والامثال متمثلا او مقتضبا ويصل بذلك حجته اذا حاور وانما يحسن

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

في مراقبة

ذلك الا العاد ومن دونهم ويستكره ذلك في مخاطبة الملوك والوزراء
الا اذا علم انهم يرغبون فيه فان الملوك الى هذه الانواع من العلوم
اميل وهم بها الهج وقلما يميلون الى غير ذلك من العلوم وبالجملة
فينبغي لهذا الكاتب ان يعتني بتعلم الاشياء التي يعلم ان رئيسه
يميل اليه ويلهج عليه وان يجتنب كلما ينكره الملك وينافره فان
ذلك يحببه اليه ويحط منزلته لديه ويدعوا الملك الى الايثار
له والتقريب والاغضاء على ما فيه من العيوب فقد زعموا ان زيادا
الذي قيل انه اخو معاوية عوتب في تقريبه لحارثة بن بدر الغداني
وكان قد غلب على امره حتى كان لا يحجب عنه شيئا من سره فقيل له كيف
تقربه وانت تعلم اشتهاره بشرب الخمر فقال كيف باطراح رجل
يسايرني منذ دخلت العراق ولم يصطك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت
الى قفاه ولا تاخر عني فلويت عنقي اليه ولا حجب عني الشمس في شتاء
قط ولا الروح في صيف قط ولا سالته عن علم فظننت انه يحسن
غيره واذا اجتمع للكاتب مع التفنن في العلوم والمعارف العجائب
ونزاهة النفس عن الغبائب فقد تناهى في الفضل وحاز غاية النبل
ان شاء الله تعالى واما كاتب الديوان فيحتاج معما قدمناه
من الاوصاف الى ان يكون عارفا باصول الاموال التي تحمل الى بيت المال

346

وافساع

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وأقسام وجوههما وأحكام الأرضين وكذا بيعها وإصلاح أهلها
وما يجوز للإمام أن يقطعه منها ووجوه تفرقة الأموال وسبلها
وما يجوز في ذلك وما لا يجوز وما جرت به العادة مما هو خارج
عن أحكام الشريعة مفوض في حكم الرياسة ووجوه الأموال ثلاثة
فيء وصدقة وغنيمة فالفيء ينقسم خمسة أقسام أحدها ما أفاء
الله على رسوله وعلى المسلمين مما يوجد في بلاد الكفار بعد فتحها
مثل كنز النخيرجان الذي وجد بعد فتح الأهواز وما جرى مجراه والثاني ما
أفاء الله على رسوله وعلى المسلمين من أموال أهل البلاد الذين أجلاهم
الرعب ولم يقاتلوا ولم يوجف عليهم بخيل ولا ركاب والثالث الأرضون
التي صالح عليها أهلها بشيء يؤدونه في كل عام والرابع الأرضون التي
فتحت عنوة وأقرت بأيدي أهلها وجعلوا عمالا للمسلمين فيها ووضع
عليهم فيها الخراج كما فعل عمر رضي الله عنه بالسواد والخامس
جزية أهل الذمة وأما الزكاة فهي الصدقة الواجبة على
المسلمين وقد اختلف المسلمون في الأصناف التي تجب فيها
الزكاة اختلافا يطول ذكره وعلى من تجب الزكاة وعلى من لا تجب فينبغي
للكاتب الديواني أن يعلم ذلك ويتفقه فيه وأما الغنيمة فهي ما

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

غنم المسلمون من بلاد الكفار وعساكرهم وفي احكام الديوان
أمور كثيرة تخالف أحكام القضاة ولهم فيها فصل احكام الديوان
تحكم الحظوظ التي تجري فيها في ديوانه ويلزم من تسبب في الاموال اذا
عرضت والحكام لا يفعلون ذلك وفي ضمان الثمار والغلات وسائر
وجوه الجبايات ولا يبيح ذلك الفقهاء لان تضمين الغلات قبل
الحصاد فيه من المخاطرة التي نهي عنها وبيع الثمار وبيع الثمار قبل ظهور
صلاحها من بيع الغرر وبيع ما لا يملك وقد نهي عن ذلك كله وابواب
الاموال من الجوالي وغيرها فيه ايضا خلاف لما توجبه الاحكام
لان الجوالي مال على رقاب بالاعيان ومترتبات الواحد منهم قبل
محل ما عليه او اسلم بطل ما كان يلزمه وفي وجوه الجبايات من الاسواق
والعراص والطواحين على الانهار التي لا ينفرد بملكها انسان من
المسلمين دون سائرهم مخالفة ايضا لما توجبه احكام الشريعة وجميع
ذلك جار عند الكتاب على مذهب احكام الخراج قال العلامة
ابن الصيرفي في الاقتضاب ثم قال ولاجل هذا رأى قوم من الكتاب ان يجعلوا
مكان تضمين الغلات ويكتبوا بيننا ويلون في ضمان الارحاء ارحاء هنا
في الخراج فيجعلون الجباية خراجا وكذلك في الاسواق وانهم كانوا

صح صح
من قوله انه احكام وزاد ان صاحب الديوان

يجعلون

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

175

يجعلون الجباية فيه كلها ثلاثة عشر كله بين المسلمين واصحاب
الدواوين فكانوا يجعلون تاريخ سني الخراج بحساب الشمس لاجتماع
العجم في الشهور القمرية تنتقل بخلاف الشمسية وكان كثير من
الكتاب اذا ذكروا الحساب الشمسي بين يديه ان يقولوا ويوافق ذلك من
شهور العرب شهر كذا وشهر كذا من سنة كذا من سني الهجرة اذ ذاك
التاريخ عند الكلام بالسنين العربية دون العجمية واما كاتب
الجيش فيحتاج بعد اتقان الحساب الى معرفة مقادير الاطماع اي الرواتب
واوقاتها وارباب ... وضبطهم بالحلى وليعرف وضع بعض ما توجب
منه اذا اسقط الاقوات والغياب

المقصد السابع في المكتوب اليه

وهذا باب مهم يقع فيه الغلط كثير للكتاب لانهم لا يبالون
بمراتب المكاتبين وهو امر كبير يحتاج الكاتب الى معرفة
قدر المكتوب له عند الزمام بالكتابة اليه وما يليق به من
التحلية والتكنية والدعاء في عنونة وعنوانات الادعية التي
تجري في المخاطبات بين الاكفاء والاعلى الى الادنى مثلا والى الادنى
على حسب ما تقتضيه مرتبة المخدوم الزمام الكاتب بالكتابة

349

ومراتب المكاتبين ثلاث مرتبة من فوقه ومرتبة من هو مثله ومرتبة
من دونه وذلك والمرتبة العليا تنقسم ثلاثة اقسام فاعلاها مرتبة
الخليفة ووزيره ومن كان نظير الوزير عنده ثم مرتبة الامراء
ومن جرى مجراهم ممن هو دون الوزير ثم مرتبة العمال واصحاب
الدواوين والمرتبة الوسطى تنقسم ثلاثة اقسام ايضا فاعلاها
مرتبة الشريف من الاصدقاء والعالم والثانية مرتبة الشيخ من
الاخوان الذي يجب توقيره وان لم يكن شريفا ولا عالما والثالثة مرتبة
القريب اذا خلا من هذه الاحوال والمرتبة السفلى تنقسم الى
ثلاثة اقسام ايضا اعلاها من قرب محله من محلك والثانية من
لك رياسة عليه وولاية عليه ممن يتبعك جميعه والثالثة مرتبة
الحاشية ومن جرى مجراهم من الاولياء والخدم ولكل طبقة من هذه
الطبقات مرتبة في المخاطبة ومنزلة متى زيد عليها
او نقص منها وقع في الامر الخلل وعاد ذلك بالطعن وادى
الى القدح والمفاسد وذلك ان الانسان اذا قصر به عما يستحقه
او يرى نفسه اهلا له كان اغضبه ذلك واحنقه والتابع اذا زيد
عن استحقاقه اطغاه ذلك وانهمه الا ان يكون في فضل الحرمة
ما يقتضي التنويه ورفعته عن تلك المنزلة وقد عرفنا ابن جعفر جميع

الكاتب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

ح
والغلام

الكاتب العالم الورع ان مقتضيات المقام **ودليل** ما ذكرنا
في المرتبة العالية ما وقع لصلاح الدين يوسف بن ايوب امير مصر حيث
كتب لامير المغرب يعقوب المنصور الموحدي وخاطبه بامير المسلمين
دون امير المؤمنين فغضب يعقوب فلم يساعده على ما طلب وقد تقدم
هذا بجراية يعقوب المنصور ودليل ما ذكرنا في المرتبة السفلى
ما ذكره المقري في نفح الطيب في ترجمة حسين بن عكاشة بعض امراء
الاندلس قال المقري كان لحسين كاتبا يقال له عبد الحميد بن لاصون
فيه تغفل شديد فامره ان يكتب الى المامون بن ذي النون في شان
حصن دخله النصارى فكتب الى ان قال وقد بلغني ان الحصن الفلاني
دخله النصارى وان شاء الله تعالى [illegible] الواقعة التي ذكرها الله تعالى
في القرآن العظيم بل هي الحادثة الشاهدة باشراط الزمان فانا لله
من عظم المصيبة التي هدت قواعد المسلمين وابقت في قلوبهم
حسرة الى يوم الدين فلما وصل الكتاب الى المامون ضحك حتى
وقع الى الارض وكتب لابن عكاشة جوابه وفيه وقد عهدنا منك ميلا
للعورة نعادل الصغيرة والكبيرة فكيف جاز عليك امر هذا الكاتب
الابله الخلف واسندت اليه الكتب عنك دون ان تطلع عليه
وقد علمت ان عنوان الرجل كتابه ورائد عقله خطابه و[illegible]

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وان شيء يتعجب منه بعد من تغليفه ان سماه الله بالمالح او من حسن

تعبيره للغزاه ووضعه مواضعه او من تورعه عن تاويله الا بتوفيقه

او تفويضه لما ظهر على من يخاطبه او من علمه بشان هذا الحصن الذي لو انه

القسطنطينية العظمى ما زاد على هذه شيئا ولو ان صغيرا يخبر عن علم

الله تعالى لخفي هذا الحصن ناهيك عن غيره حيث لا ثناء وكان عن منقطع

عن بلاد الاسلام خارج عن سلك النظام لا يعبره الا لص فاجر او قاطع طريق

باغ او اصحاب اسم بعض من دينار او لعمرانهم ان لم يغتر ببيعه وله ربح متاعه

فليتشعري ما الذي اعظم في خبر هذا الكاتب الجاهل في المراد منه الذي تعلق

به الغرض وفسر اكمل المعنى المقصود فلينظر ما اراد فصل

في الاقتضاء فينبغي للكاتب ان ينزل كل واحد من هذه الطبقات في مرتبته

التي تليق به على قدر منزلته منه وعلى ما جرت به عادة الكتاب في زمانه

فان العادة تختلف باختلاف الازمنة فيستحسن اهل زمان ما لا

يستحسن اهل زمان اخر ومن مقتضيات هذا المقصد انه يجب على الكاتب

ان يتنبه في مخاطبات النساء فارجة لك ادابا تجب مراعاتها في

ذلك انه لا ينبغي للكاتب ان يبداهن بدعائه بالكرامة ولا بالسعادة

لان كرامة المراة وسعادتها موتها ولا يقال للاحرار منهن تمم الله انعامه

عليك لانهن يكرهن ان يكون شيء عليهن ولا يقال لواحدة منهن بلغ الله

امل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

اما فيه ولا كلام هذا يقتضي فيه الاستقباح ان يكون شي فيهم ولا يقال
لما جعلني الله فداك لان هذا من جنس المغازلة ولا قوله كل شي
وبالجملة يجتنب كل لفظة يقع فيها اشتراك
ويمكن ان تتناول في العرف على ما يقتضيه فان ذلك يعوض من نبل الكاتب
ومن ذلك ما حكي ان اعرابيا مدح زبيدة بنت جعفر بن ابي جعفر
المنصور زوجة الرشيد فقال

ازبيدة ابنة جعفر • طوبى لزائرك المثاب •
تعطين من رجليك ما • تعطي الاكف من الرغاب •

فوثب اليه خدمها وهموا بضربه فمنعتهم وقالت لهم
انما اراد خيرا فاخطا وهو احب ممن اراد شرا فاصاب فوثب
اليه خدمها سمع قولهم شمالك اندى من يمين غيرك
فظن انه اذا قالها كان ذلك ابلغ اعطوه ما امل وعذر قوله
ما جهله والله سبحانه اعلم •

خاتمة نافعة • جالبة ذا وقعة

فيها بعض المواعظ التي تختص بالملوك وتكف من
جماحهم عن السلوك والمواعظ المنقولة في ذلك كثيرة جدا
نحو موعظة الفضيل بن عياض لابي جعفر المنصور العباسي

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ومواعظ الحسن البصري ومواعظ ذي النون المصري ومواعظ العجمي للرشيد
وكانت المواعظ التي تفرز من هؤلاء السادات رضي الله عنهم تؤثر في الموضع
في القلوب لأنهم لا يبالون بأحد ولا يخافون لومة لائم في الله وكانت
الأمراء والخلفاء يطلبون ذلك منهم ومن جماعة من أعاصرهم لأجل لين
قلوبهم لبعضهم فكانوا إذا حضر بين أيديهم الفقراء فيلتمسون في الكلام
بين أيديهم فإذا وعظوه وعظهم على تلك الحالة كما وقع لأبي جعفر المنصور مع
الفضيل بن عياض فإن قلت إن مواعظ الملوك والأمراء اليوم
لما فسد الزمان وعلماء الظلمة بعضهم الآن إذا تجردوا وأعطاهم غيرهم والخلع
عنه بالكلية وذلك لا يمكن فالجواب أن من أعانهم صحبهم
فإن الذي لا يدرك كله لا يترك كله فإن الولاة المتمكن كل التمكن العصي
البر يفعله ليخف الشر وتكثر زيادته وصلاته ما يدرك كما هو وها نحن
نذكر من بعض الولاة ما تنجر بركته وتنتشر منهم ونقتصر في ذلك على
النزر الكافي والقدر المبارك الشافي فمن ذلك ما روي عن
الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال بعث إلي المنصور وإلى محمد
ابن طاوس فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نصبت له وبين يديه
أنطاع قد بسطت والجلاوزة قيام بين أيديهم بالسيوف فأومأ إلينا
فجلسنا فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال لابن طاوس حدثني

عن ابيك

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فقال له نعم حدثني ابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اشد الناس عذابا
يوم القيامة رجل اشركه الله تبارك وتعالى في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه
قال مالك فضممت ثيابي مخافة ان يصيبها دمه فامسك المنصور ساعة ثم قال
عظني يا ابن طاوس فقال اما سمعت يا امير المومنين قول الله العظيم الم تر كيف فعل
ربك باهل العهد المتكبر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها
في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في
البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد
قال مالك فضممت ثيابي ايضا مخافة ان يملأني دمه وامسك ابو جعفر ساعة
حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك
عنه ثم قال ناولنيها فامسك عنه ثم قال ما منعك ان تناولنيها
فقال اخشى ان تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها فقال المنصور قوما عني
انصرفا فقال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك اني اعرف لابن طاوس فضله
وما زال العلماء الخيرون يمنعون المغالطة الى يومهم رحمهم الله تعالى ومن ذلك ايضا ما روي ان
عمر بن عبد العزيز لما بويع بعث الى الحسن البصري وقال له اكتب لي صفة الامام العادل
الناجي من عذاب الله بفضل الله فكتب اليه اعلم يا امير المومنين ان الله جعل الامام العدل
قوام كل مائل وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام
العدل كالراعي الشفيق الذي يرتاد لماشيته اطيب المراعي ويذودها عن المراتع المهلكة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

وحميها من اذى السباع وغيرها وكالاب الحانى على ولده يسعى لهم صغارا او يعلمهم كبارا
يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته وكالام الشفيقة على ولدها تسهر بسهره
وتسكن بسكونه وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته وكالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه وتفسد
بفساده والامام العادل قائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينقاد الى الله
ويقودهم فلا تكن يا امير المومنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله
فبدد المال واعقر الاهل واطاع العيال وشردهم واعلم ان الله انزل الحدود ليزجر بها عن
الخبائث والفواحش فكيف الحيلة اذا اتاها من يليها وانزل القصاص حياة للعباد فكيف اذا
قتلهم من يقتص لهم واعلم يا امير المومنين ان لك منزلا غير منزلك الذي انت به يطول
فيه ثواؤك ويفارق عنك احباؤك فاذكر الموت وما بعده وقلة اشياعك وانصارك عنده
وتزود ليوم يفر فيه المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا تحكم في عباد الله
بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين
فتبوء باوزارك واوزارهم وتحمل اثقالك مع اثقالهم ولا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن
انظر الى قدرتك غدا وانت موقوف بين يدي ربك في مجمع الملائكة والمرسلين وقد عنت الوجوه
للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما واعلم انه يا امير المومنين وان لم ابلغ من صفة في عظتي
ما بلغه اولوا النهى فلم آل من قبلي شفقة ونصحا فاجعل كتابي اليك كمداو حبيبه
يسقيه الادوية الكريهة لما يرجو له من العافية والصحة والسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته ودخل محمد بن واسع على بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري وهو

ليم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

أمير علي العراقي في يوم شديد الحر وبلال في جبينه وعليه الثلج فقال له بلال يا أبا عبد الله كيف
ترى بيتنا هذا فقال إن بيتك لطيب والجنة أطيب منه وذكر النار يلهي عنه قال فما تقول في
القدر فقال علي حين إنك إذا مت القبور فبعث فيهم ما فيهم شغلا عن القدر قال ادع الله لي قال
ما تصنع بدعائي وعلى بابك كذا وكذا من خلق الله كل واحد يقول إنك ظلمته ودعاؤهم
يرتفع قبل دعائي فلا تظلم أحدا لاختتام الدعاء أجره فصل في المواعظ يجب
أن توضع بالقوة والشدة على النفس بحيث لا يقع في ميل الرخصة ولكن لا ينبغي أن
تبلغ إلى القنوط والإياس من رحمة الله الغفور الغفار الرحيم فإنه ما قوبل شيء في
رحمة الله إلا ضاق واتسعت الرحمة لا سيما لمذنب الأمة نعم من طمع في رحمة الله
فليرحم خليقة الله فإنه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الراحمون يرحمهم الرحمان
وورد أيضا من لا يرحم الناس منعه الله من رحمته وورد ارحموا من في الأرض يرحمكم من في
السماء وفي حديث قدسي ما يمنع من القنوط وما يدل على سعادة من رجاه في رحمة الله
منزله يقول الله تبارك وتعالى يا ابن آدم ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك
ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك
بقرابها مغفرة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

ابن آدم
إنك
لو بلغت ذنوبك عنان
السماء ثم استغفرتني غفرت
لك ولا أبالي يا ابن آدم
إنك

353

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca